

للامتنعي



هَذَا الْكِتَابُ

حين أصدر كولن ولسون كتابه هذا اللامتنعي ، كان لا يزال في الرابعة والعشرين من عمره ...

وقد أثار الكتاب ، ولا يزال يثير ، مناقشات لا تنتهي مرجعها إلى أنه يعالج ، لأول مرة ، موضوعاً جديداً ، وهو موضوع نفسية الإنسان اللامتنعي ، الإنسان الذي لا ينتمي إلى حزب أو عقيدة ، ويجترأ ظله العملاق في طريقة المظلمة ، مشملاً حيناً ومتمرداً حيناً آخر .

ويقوم كولن ولسون بهذه المعالجة على ضوء دراسة واسعة لشخصية اللامتنعي كما تتجلى في آثار كبار الكتاب والفنانين ، فيخلط آثار كافكا ودستوفسكي وهمنغواي وكامو وسارتر ولينش وفان كوخ ولورنس وهنري بارون وسوامر تحليلياً يأخذ بتجامع القلوب ، ويسطر أسوأ ساطعة على روائع هؤلاء الكتاب والفنانين .

وقد قال أحد النقاد ان « اللامتنعي » هو اعظم كتاب في التحليل صدر في اوروبا منذ كتاب « سقوط الغرب » لاشتهجار ... وقال آخر : اننا لا نكاد نصدق أن مؤلفه فتى في الرابعة والعشرين ...

وانطلق كولن ولسون بعد ذلك يكتب ويكتب حتى أصبح اليوم من قادة المفكرين في العالم كله .

كولن ولسون

اللامنتيمي

دراسة تحليلية لأفكار البيرغسون في الغرب المعاصر

نقله إلى العربية
أنتيس زكي صحن

مكتبة دار الآداب - بيروت

مباحثات فكرية لا منتفى

OUTSIDER

راجحت هذه النظمه وشاع استعمالها، حتى صارت مستعملة في لوكس
السياسة والمثليات. مما ان نشر الكتاب البريطاني كولين ولسون كتابه
«اللامنتي» The outsider عام ١٩٥٦، والذي جمع فيه خليطا من الفكر
الوجودية، والفكرية والفكرية الفلسفية الكلاسيكية الشبكية. وبعد انتشار
الرومانتيكيزم الانجليز والكل من القرن العشرين. والتواقيع الروس في اواخر
القرن - حول - حركة الفكر - بسبب مؤلفه الذي من المنهج. وقد جمع ولسون
تحت اسم اللامنتي كتابا وفلسفة مختلفة مثل هيركس، وشالو، وبرانس
والفكرهيمسواي الامراتي. جعلهم جماعة لا يربطها رابط معين ولا لاية مشتركة
فكرية. وبذلك لم يكن من الممكن ان يتحدد النظمه معنى استلزامي خاص بعينه.
ومع ذلك فإن الكلمة جعلت بعض اللالات. واشتدت الى رواية فكرية معينة ذات من
الافراء باستخدامها. امينا في علم الاجتماع. واجبات في علم النفس. وفيها في
النقد الادبي. او في المثليات السياسية. وبين انتشار بعض النقد الى حركة الفكر
البريطاني ايرستر التي قل فيها ان الفكر يمثل دائما الى ان يكون «لامنتيا»
لا يربطها بينها وبين قول النقد الفرنسي الواحد ان الفكر يختلف دائما مع الفرد
ويحتمل دائما. الواقع الفكر منه مفهوم «اللامنتي» بأنه يشير الى نوع معين
من مدعي الفن. يتناولون في الحقيقة الى فكر فلسفي او الى مؤلف اختلاقي يقتضونه في
القوم ويريدون شرطا أساسيا حتى ينفذ ان يواصل مع هذا الواقع. ولكن الفكر
السياسي الشبكي استخدم مصطلح «اللامنتي» لكي يجمع الفيلسوف البريطانيون
للحتمية مع المؤسسات الفقهية حتى ولو كانوا مؤمنين بنفس الفكرة التي تقوم
عليها مؤسساتهم والقوم يريدون ان مؤسسات القوم اشرفت عن الفكرة التي تعين
تسليها بها (وهذا واقع هذا المؤلف الى من الفيلسوف المشبكي على الاحزاب الشيوعية
المختلفة في بلادهم. والفيلسوف البريطانيون الذين رفضوا الفكر في الحتمية وفي الفلسفة
وفي جنوب افريقيا او رفضوا العمل لمبادئ سياسة الغرب - الخ) وكان هناك
النفس الامتدادي - الغربي والشرقي على السواء - يؤول - للالتقاء - علاقة من
علاقات الحيز النفسي من التفكير مع الواقع - كما يرى علماء الاجتماع الغربيون -
الذين يرون خصوصية - انه ليس معلمان ان يكون اللامنتي فوريا. وصاحب مثل
عليه.

سجل حتمية
الاصنام الحتمية
١٩/١/٥١

تقديم

هناك دائماً نوع من الأشخاص ، يعتبر ذا أهمية خاصة ، وتجتمع فيه الصفات التي يمكن أن تجعله صورة صادقة لعصره . وتجد هذا النوع بطلاً في عصر : وثالثاً في عصر ثامن ، وأحد أفراد حاشية البلاط في عصر ثالث ، وقديماً في عصر رابع . فإلى هو النوع الذي يظهر في عصرنا اليوم ؟ هذا العصر الذي تمتد بعد داروين وفرويد وآينشتاين والفيزياء الذرية ؟ إن هذا الكتاب الرابع يقدم لنا الجواب على ذلك ، إنه اللامتسمي .

يعرف وليس اللامتسمي بقوله إنه الإنسان الذي ينسك ما تنهض عليه الحياة الإنسانية من أساس واه ، والذي يشعر بأن الاضطراب والفوضوية هما أعظم تحدياً من النظام الذي يؤمن به قومه . لقد رأى الماضي اشخاصاً مثل هذا توفرت لديهم مثل هذه الرؤى المفرقة إلا أن هذا النوع لم يمثل عصره يوماً كما يفعل الآن . لقد قدم لنا وليس ، بأخيه هذا المجهود على عاتقه ، كتاباً عظيم الأهمية بالنسبة لنا ، قد كنا نريد حقاً أن نجد حلولاً لمشاكل عصرنا .

يعتبر لنا وليس مثلاً على اللامتسمي النموذجي في الأدب الحديث ، فبدلاً من نطل قصة باريوس (الجحيم) ، الذي يلجأ إلى عرقته في الفندق ليطلق بانها وحش لمرقب الآخرين من تحت في الحائط . إنه كما يقول باريوس : يرى أكثر وأعمق مما يجب . وهو لا يرى إلا القومى . وتعطينا كرامة هرج.

الحقوق محفوظة
لدار الآداب - بيروت

الطبعة الأولى

والز الاخيرة ، العقل في متغير حدود الاحتمال ، فليس يمثل هذا الاستقالات .
 فهنا عند رجلا غاش حياته كلها بشياً ، وفجأة يرى الحق امامه ، فيصرخ
 مدعياً : انما لم يكن ذاهباً الى اي مكان ... ويتبع . وليس طبيعة اللامتني
 خلال قصة كامو ، الغريب ، - واعمال ارنست همنغواي الاولى ، وبطريقة
 لشد طرافة في مسرحية كرافتفيل باركر ، الحياة السرية ، ليعود بعد ذلك
 الى بحث اللامتني الرومانسي في فصل كامل .

ويقر وليس بأن الجو الذي يتميز به عالم اللامتني المعاصر ، جو كوميدي جداً .
 ان هؤلاء الأشخاص لا يرفضون الحياة فحسب ، وانما يعادونها الكثير منهم .
 ان علمهم المجرد من القيم هو عالم اشخاص بالغين ، والفرق بين عالم البالغين
 وعالم الاطفال هو احد الفروق الرئيسية بين عالم القرن العشرين وعالم القرن التاسع
 عشر . لقد كان لامتني القرن التاسع عشر قلقاً لا يتصور ان يكون نيلسيا
 منشأها ، (في الوقت الذي كان فيه الفلاسفة يشبهون مربي البقر) (الكاوبوي)
 حين يتنافسون في لعبة من ألعابهم) ، ولم يستطع لامتني القرن التاسع عشر
 ان يعتقد بأن الخطأ كامن في الطبيعة الانسانية ، لأن الفلسفة التي كانت غالبة
 على ذلك العصر كانت تقول بأن الكمال الانساني شيء يمكن ان يتحقق .
 ولهذا فقد ظن ان الخطأ يكمن فيه هو . وكان يعتبر أمراً طبعياً بالنسبة
 اليه ان يكون مريضاً مثل شيلر وان يتناول المخدرات مثل كولريج وان
 يموت شاباً مثل شيلي . ويتبع . وليس اللامتني الرومانسي في (آلام فرم)
 لغوته ، وفي القصص اشيلر ، وكثيرين غيرهم ، مثل نيك وهولدرلين
 ورومان وماراميه وولكه وبروست .

على أن مشكلة اللامتني هي في جوهرها مشكلة حية ، ولهذا فان وليس
 يعود من الادب الى الحياة نفسها فيعتبر فان كوخ واث . ي . لورنس ونجسكي
 لا متنين . انه يجتازهم بامتيازهم نماذج ثلاثة للامتني يتميز كل واحد منهم
 بميزات خاصة يناقش بها الآخرون في لا النائية . ميزات في العقلية والشعور
 والحسد . الا اننا نجد ان الطريق التي شقها كل واحد من هؤلاء لم تكن مثمرة في جد

فاتها . ذلك ان الامر المهم بقدر اوج وعسكي الى الجود في حين لم يكن
 التحرك لورنس العقلي ليقول نرجون عسكي . وينتهي وليس الى ان اهم
 ما يستغل بال الامتني هو عدم رغبة في ان يكون لامتني . الا انه لا يستطيع
 ان يتحلل بين كونه لامتني . انه لا يريد ان يكون يورجولياً عادياً . فليس
 ذلك داخل الصريح . ان مشكلته هي . كيف يطلق ان الامام ؟ الا ان لورنس
 وجسكي وفان كوخ اما عانوا الى اخلف . فالدعوى جميعاً .

وهكذا فان اللامتني ليس محبوباً . انه فقط أكثر حساسية من اولئك الأشخاص
 المتعادين صحيحي العقل . انه يبدأ نوع من التوراث الداخلية . نرى كيف
 يستطيع ان يربطها باأما الجواب الذي يظهر على صاحب العقل فهو . أرسله
 ان الحلل الصافي . - الا ان هذا لا يمكن ان يعبر جواباً بالسبب . اما
 الجواب الذي يكشف عنه بحث وليس هذا فلا بد انه جواب ديني . ان مشكلته
 اللامتني هي في انفسها مشكلة أخرية . ولا تعقد بذلك الحرية السياسية طبعاً .
 وانما الحرية تعناها الروحي العتيق . وان جوهر الدين هو الحرية ولهذا . فقال
 ما نجد اللامتني يلجأ الى مثل هذا الحل . اذا فليس له ان يجد حلاً .

يريد اللامتني ان يكون حراً . وهو يرى ان صحيح العقل ليس حراً .
 ولقد وجد نيتشه . الذي يشاؤه وليس بالبحث أيضاً . حلاً في إحصاء العالم
 بأن جميع الناس يجب ان يكونوا لامتنين . اما لا يمتدوا لتولي فقد حرموا
 من القسم بتسليمهم بأنكار الذات باعتبار انه جوهر المسيحية . وينتهي هذا
 الفصل بدم متويفسكي الذي يخلص له وليس معظم ما تبقى من الكلمات ، حلة
 أعماله لحيلة دقيماً . ذلك لأن أعمال هذا الكاتب تعهد الشريك لظهورات جديدة
 ويرى اللامتني ان الدين لا يمكن ان يكون جواباً على مشكلته . وعليه فقد
 يعود كما فعل جورج فوكس ليشتير بفساد العالم . وسأله . لو انه يجد الجواب في
 اعتقاده بذلك بان البشر جميعاً يجب ان يتبعوا بنائية الجحيل . ونقوموا هذا الى
 الحلول التي وجدها هناك الشرق . الذين يظن ان من بينهم مربي زوا
 كرسنا أبحثه خطأ وأما . ويلوح معظم البشر في مفر اثنان سري . اما ان نرسلنا

أرواحاً متراخلة ، وهنا نجد ان الأساس الذي تنهض عليه كل واحدة من هاتين الجماعتين هو : كين متطرفاً . ان القديس المسيحي يجرب وهو معلق على صليبه نوعاً من العبطة العنيفة الزهية . على انه اذا كان مثل هذا التطرف مقروصاً قرصاً كمنوبة ، فان اللامتني سيقول . بانه تطرف عديم الفائدة . بل مضر . ان قيمة التطرف هي في حيوية الارادة الكامنة فيه .

وعكلاً نجد ان البحث الذي ينتهي منه . ولسن في هذا الكتاب يتصل شيئاً فشيئاً حتى يشكل حلقة كاملة : « اني لا اعدف الى انجاد حل صحيح كامل لتساكل اللامتني ، وانما اعدف الى بيان ان مثل هذه الحلول ، والمحاولات التي بذلت في سبيلها موجودة فعلاً » . وقد حقق ولسن هذا تماماً . فاذا اعتبرنا هذا الكتاب بحثاً عن الشخصيات المهمة في الادب الحديث ، وعن افكار هذا الادب فاننا نجد ان ذلك وحده يجعله يستحق القراءة ، عن جدارة : الا انه اكثر من ذلك بمراحل كثيرة . انه في الحقيقة سجل حافل للأمراض الروحية التي يعانيها البشر في منتصف القرن العشرين ، وانه يمثل تحدياً لكل فكر .

ان مؤلف هذا الكتاب هو الآن في الرابعة والعشرين من عمره ...

(مقدمة الناشر الانكليزي للطبعة العاشرة - ١٩٥٦)

الفصل الأول

بلد العميان

يلوح اللامتني من النظرة الاولى مشكلة اجتماعية ، انه الرجل العائض . وعل مطيح الترام ، في الهواء الطلق ، تجلس فتاة ، ترتفع أذبال تومها قليلاً ، الا ان توقفاً في حركة المرور . يفضلي عنها ، فيستعد الترام شيئاً فشيئاً عنقياً وكأنه كابوس .

« الشارع مملوء بالاثواب المتأرجحة المعلقة في الاتجاهين والتي تعلن من نفسها بمرح ، والأذبال ترتفع ، الأذبال التي ترتفع ولا ترتفع !

« اني ارى نفسي في المرأة الطويلة القسبة المعلقة في واجهة ذلك المحل ، قادمًا يلوح على الشحوب والنعاس . كنت اريد امرأة واحدة ، اني اريد النساء جميعاً . اني اعث علهن بين من حولي من النساء . واحدة بعد الأخرى ، (١) . هذه السطور من قصة هنري باربوس « الجميع » تدلنا على مظاهر معينة من اللامتني . فطلة يسير على شارع من شوارع باريس ، تفصله الرغبات المشتعلة فيه عن غيره من الناس الحديثة . وان الحاجة التي يحسها في نفسه للنساء ليست حيوانية تماماً ، فهو يستمر غائلاً :

« تراجع بشأن الأرقام ظهرت المصادر المتعددة وآخر الكتاب

« ولم نستطع المقاومة . فتبعت دواليبي بصورة عريضة . لبعت امرئاً كانت
ترقبني من زوايتها ثم سرنا جنباً الى جنب . وفلا بعض الكلمات . وأخذنا معها
الى بيتها . ومرت المشهد المعروف . ومن . وكأنه سقوط عصف معاصي .

« ورايت نفسي على الرصيف ثانية . لا أشعر بالبطارية التي كنت أنفي
نفسني بها . وإنما أحس بالاضطراب مني . كنت وكأنني لا أرى الأشياء
على حقيقتها . كنت أرى أكثر من اللازم . وأعمى من اللازم .

ويظل البطل بلا اسم خلال صفحات الكتاب . انه الرجل اللامسي الذي
يعيش خارجاً . يأتي الى باريس من الريف ويجد وظيفة في أحد البنوك . وعرفة
لدى اخي الأمر . ويجلس في غرفته وحيداً متأمل . وليس لدى هذا الرجل
شيء من الشغف . لا غاية يحققها . لا مشاعر ذات قيمة لينحسرها . ولا أمل شيئاً
ولا استحق شيئاً . وبالرغم من ذلك . اشعر بالحاجة الى تعويض . (٢) وهو
لا يكثر للدين . « اما البحث الفلسفي فانه يلوح عديم المعنى . لا شيء يمكن
إختياره . لا شيء يمكن تبويبه . اما الحقيقة . فما ترى ماذا يعنون بها ؟ (٣)
وتنتقل افكاره بصورة غامضة عن حب قديم . وما فيه من ملاذ جنسية . الى
الموت .. « الموت . اهم الأفكار إطلاقاً » . ثم يعود الى مشاكله اليومية . يجب
ان اكسب مالاً . وفجأة يرى ضوئاً متعبكاً على الجدار . انه متبعث من
الغرفة التالية . ويقف على الفراش ويراقب الغرفة التالية . انني انظر وأرى ..
الغرفة التالية تدعوني الى عزمها . (٤) وهكذا تبدأ القصة . فهو يقف على الفراش
كل يوم ويراقب الحياة الدائرة في الغرفة التالية من ثقب في الجدار . ويظل على
تلك الحال شهراً كاملاً . يراقب من مكانه الجانبي مكانه المشبب . كانت
مغامرته الاولى هي ان يراقب امرأة كانت قد شغلت تلك الغرفة لتقتفي فيها
الليل . « وكان يلهو ويحتمل بينه وبين نفسه كلاماً راعياً تتعرق . ان هذه الصفحات
تتميز بالاثارة المتعمدة المتهمة بها كتاب فرنسا بعد الحرب . بحيث يستطيع
كثيرو روجرو ان يكتب قائلين : « تعالج الوجودية الحياة كما تعالجها قصة » .
وثاني المرحلة المهمة . فيحاول في اليوم التالي ان يعيد تمثيل ذلك المشهد في

خياله . فبمثل في ذلك . قائماً كما فطيل في محاولته لتحويل اللامع الحسية
التي كانت له مع حبيته السابقة : « تركت نفسي تغرق في محاولة لاختراع
عاصيل كافية لأعادة التجربة بنفس شلتها . أنها تأخذ أشد الوضوحات المارة .
كلها . كلا . وليس ذلك حقيقياً . هذه كلمات ميتة لا تستطيع ان توصلني
الى شيء ما كان . » (٥)

وفي نهاية القصة يقدم البعض بطل القصة اللامسي الى روائي كان يقص على
الطاعة لفاضيل قصة قال انه مستر في كتابها . وبما للاتفاق العجيب . ذلك
ان القصة التي يقصها الروائي تدور على رجل يقف جدار غرفة ليرقب كل ما
يحدث في الغرفة التالية . ويتفحص الروائي هذا ككل ما كان قد رواه الكاتب .
ويجيب سامعوه بالفضة : « ايراهو . نأجح هائل . اما اللامسي فيستمع بكأفة .
ويستمر الروائي قائلاً : « انني وقد عدت ان قلب الانسانية لم يجد شيئاً أصلياً
في هذا التاريكاتور الصامت . لقد كان من السطحية بحيث انه كان راضياً . انه
السان مجرد من خارجيته . وذلك هو ما يزيد ان صورته . وبهذا يحيل البعض الى
الخيال . « اميل ان الى الحقيقة . وهذا بشر اللامسي بأن ما رآه كان الحقيقة (٦)
ونقرر الآن . ونحن نقرأ هذه القصة بعد نصف قرن من تأليفها .
لا نستطيع ان نعد شيئاً نغاره من حقيقة الروائي . حقيقة البطل : ان المشاهد التي
رأها الغرفة التالية تذكرنا أحياناً بـ « وأحياناً أخرى يبدو متوهمكسكي حين
يرى الأخير متعباً يصير افكاره أكثر من غيابه ولباغها على الناس والحوادث .
على ان يربوس نفسه . كما ان هذا المثل الأعلى . يلحظ عن الحقيقة . هو
من الانتباهات التي تمكن تغييرها بوصوح في أمت القرن العشرين .

ان لامسي يربوس تلك كل مميزات هذا النوع . فهل هو لا منه لانه
حالب وسوداوي . بل على هو سوداوي بسبب عقلة حقيقة نافذة الى الوحدة ؟
ان باله مشغول بالجنس والفرقة والمرض عند البداية . انه يستعيد لنا في بداية
القصة حديث أحد المتعالمين بعد الغداه عن رجل كان قد الخصب . حق فناء
صغيرة . وبصمت الجميع . بيها يلاحظ اللامسي الآخرين بأعماق وهم

يسمعون إلى التفاصيل البشعة :

« شرحت أم شابة بمغادرة المكان مع طفلها ، إلا أنها لم تستطع النهوض . وكان أحد الرجال البسطاء يتفحص بصعوبة . بينما كان هناك رجل آخر تحمزه ملاحم البورجوازيين المحايدة تحدث صاحبة الشابة بأحاديث تافهة ، وبصعوبة شديدة ، وينظر إليها وكأنه يريد أن ينقل إلى أعماقها ، ونحس بأن نظراته النافذة أقوى من أن تحتمل فيخجل من ذلك » . (٧)

إن حالة اللامتمي هذه ضد المجتمع واضحة كل الوضوح ، فالرجال والنساء جميعاً يملكون هذه الدوافع الخطرة اللامسة ، إلا أنهم يغطونها عن أنفسهم وعن الآخرين ، وليست أديانهم وفلسفاتهم إلا محاولات لصقل وتهدين شيء حيواني عيب غير منظم ، غير متحمل ، وهو لا يتم لأنه يريد أن يجد الحقيقة . تلك هي حالته ، إلا أن شلوهذه وانطوائه يفللان من ظهورها . أنها تلوح في الواقع ، محاولة للتبرير الذاتي ، يقوم بها إنسان يعرف أنه منحط ، مريض ، موزع النفس . أجل إن هناك توزع نفسي . إن الرجل الذي يرقب المرأة وهي تتعري ، له ما للفرقة من عين حراء . إلا أن الرجل الذي يرى عاشقين شابين يجلسان معاً لأول مرة ، ويشير إليها بالعطف والتعجب الرقيق ، ليس حيوانياً بل هو إنساني جداً . على أن الفرد والإنسان يستقران في جسد واحد ، فإذا تحققت رغبات الفرد اختفى ليحل محله الإنسان الذي يشتر من شهوات الفرد .

تلك هي مشكلة اللامتمي ، وستواجهها بأشكال عديدة في صفحات هذا الكتاب ، وعلى مستوى ميثافيزيكي ، مع الإشارة إلى مارتلر وكامو (حيث تدعى المشكلة بالوجودية) ، وعلى مستوى ديني ، مع دوستويفسكي ، الذي اغتصب فتاة صغيرة وكان مسؤولاً عن موتها أيضاً . على أن المشكلة هي في جميع الحالات واحدة ، وأما الغاية من ذلك هي نيل كل ما هو بعيد عن المشكلة .

فأما ياروبس فإنه يقول إن كون بطله يرى أعظم من اللازم هو ما يجعله لا متمنياً ، وبضيف أيضاً أنه لا يملك نوعاً ما ، لا رسالة يقوم بتحقيقها ... الخ

وستطرح أن تلاحظ من تاريخ بطله الشخصي ، خلال فصول القصة ، أننا لا نستطيع أن نشك في قوله هذا ، إذ لا ريب في أن البطل عادي ، لا يعرف كيف يكتب رسالة إلى محل شوكولاته . بينما يطلع الكتاب بالعبارة المذكورة والكليشيات . ويجب أن نؤكد على هذا ، لأننا نريد أن نتجنب كل ما يعرقلنا على اعتبار اللامتمي فناً ، فإذا فعلنا ذلك بسطنا السؤال التالي أكثر من اللازم : مرض هو أم بصيرة ؟ وليس في كثير من الفنانين العظام شيء من اللامتمي . لقد كان شكسبير ودانتي وكيتس جميعاً ، وبكل وضوح ، أشخاصاً طبيعيين متطابقين مع المجتمع ككل الاتفاق ، وليس فيهم شيء يمكن أن يقال عنه أنه مرض أو نقص عصبي . فأنما كيتس الذي يميز تمييزاً رومانسياً شديداً بين الشاعر والإنسان العادي فإنه لا يملك شيئاً من عقد النفس أو النور البجيا الحسية في صميم ذهنه ، لا شيء من معاني مستوى د. ه. لورانس الاجتماعي ، لا شيء من حاجة جيمس جويس إلى الاعلان عن تفوقه العقلي ، وفوق ذلك كله ، لا توافق مع منطوق أكسبل بطل قصة فيبر . هو ليل آدم التي احبب بها كيتس كل الاعجاب . وكيتس بالإضافة إلى ذلك ، يعتبر قاعدة واسماً بين الشعراء العظام أكثر منه شاعراً فقط . قد يكون اللامتمي فناً ، إلا أنه ليس من الضروري أن يكون الفنان لا متمنياً .

إن ما يمكن أن يقال في معرض تحييز اللامتمي يوحى معنى من الغرابة واللاصفية . لقد كتب كيتس نفسه أن يرثي قبل موته بعام واحد قائلاً : « اني اشعر وكأنني ميت منذ زمن ، وأني إنما أعيش الآن حياة ما بعد الموت » . ذلك هو معنى اللاصفية ، الذي يمكن أن يرقى في صفاء شديدة الضياء . إلا أن الأعصاب القوية والصحة الجيدة تجعل ذلك أمراً غير ممكن ، فغير أن ذلك قد يكون لأن هذا الرجل الذي يتمتع بصحة جيدة يفكر بالأشياء الأخرى دون أن ينظر في الاتجاه الذي يكمن فيه الشك ، لأن من ينظر في هذا الاتجاه لا يستطيع أن يرى العالم كما كان يراه عليه من قبل من استقامة . لقد أرانا ياروبس أن اللامتمي إنسان لا يستطيع الحياة في عالم البورجوازيين المربح المتعزل ، أو غير

ما يراه ويلمسه في الواقع . . . انه يرى اكثر وافق من اللازم . . . وان ما يراه لا يعده القوضي . ان البورجوازي يرى العالم مكاناً منظماً تنظيمياً جوهرياً يوجد فيه عنصر مطلق مربع غير متعلق . . . الا ان اشتغال البورجوازي بدقائق حياته اليومية يجعله مضطراً الى اعماله هذا العنصر . أما اللاشمسي فانه لا يرى العالم معقولاً ولا يراه منظماً . . . وحين يقذف بمعاليه القوضوية في وجه دعاة البورجوازي ، فليس ذلك لأنه يشعر بالرغبة في غفلة مغالي الاحترام باهانة لائلتها . . . وانما لأنه يحس بشعور يبعث على الكتابة . شعور بأن الحقيقة يجب أن تظل معها كلف الأمر . . . وإلا فلن يكون الإصلاح ممكناً . . . بل ان هذه الحقيقة يجب ان تظل حتى اذا لم يكن هنالك أمل ما . . . ان السودج الذي نتحدث عنه الآن يعتبر أغرب النادج . . . ان اللاشمسي انسان استبقت على القوضي ، ولم يجد سبباً يدفعه الى الاعتقاد بأن القوضي ايجابية بالنسبة الى الحياة بأنها جرمومة الحياة . ان عبارة « توهيوهو » التي تعني « فوضى » في القبالة اليهودية هي وبكل بساطة حالة يكمن فيها النظام ، فالبيضة هي فوضى الطائر . . . إلا ان الحقيقة برغم ذلك يجب ان تظل والقوضي يجب ان تواجه .

ان آخر اعمال هاج . ولز يعطينا مثلاً على هذا الاستيقاظ . ألا يعتبر هذا نوعاً من الالهام اذ نرى في « العقل في سبهي حدود الاحوال » شيئاً مثل هذا :

« يجد الكاتب ميباً معقولاً يديره الى الاعتقاد بأنه قد حدثت خلال مدة يمكن حسابها بالاسابيع والشهور لا بالقرون : تغيرات جوهريّة في الظروف التي سارت عليها الحياة منذ بدايتها . ليست الحياة الانسانية فحسب وانما كل وجود يتبع باذراك ذاتي . فاذا كان تفكيره هذا صائباً . . . فان نهاية كل شيء . . . تعود بالحياة صارت قريبة جداً بحيث لا يمكن تجنبها . وسيطيك بعد هذا النتائج التي ساقى الواقع عقله اليها . وهو يظن انك ستجد فيها من المتعة ما يدفعك الى تراسها . إلا أنه لا يحاول أن يفرض عليك ذلك . . . (A) » ان الجملة الأخيرة جذابة بالملاحظة لمظهرها الغريب . ان اعتقاد ويلز في ان الحياة سائرة الى نهايتها هو ، كما يقول ويلز نفسه ، رأي خائلي ، فاذا كان ذلك

صحيحاً فانه يعني كمال ما جاء في ذلك الكرسي . ما دام يعني الحياة وما فيها من طرف اشياء . ان ويلز يوضح . من غير ان يشعر بالتناقض . انه يكتب تحت ظروف تدعو اليها الدراسة العلمية التي اضطرته الى محاولة مسح العالم وتوضيح افكاره الى الحدود التي تسمح بها قابليته . . . ان ادكاه المتجدد يجد نفسه في مواجهة حقائق غريبة مقنعة لها من القوة والسيطرة ما يجعله . . . أو كان واحداً من أولئك الناس المتطوفين للعقول الذين غداي نالنا نسمي بهم . . . يفكر ليل نهار بتركيز مضمعن وتفكير وبكماء ذهني عبقه في الكارثة النهائية التي ستواجه الجنس البشري . أما نحن فلنا من هذا الطراز . . . وانما نحن نعيش في خرابنا الماضية . . . لا لحوانث المستقبل معها كانت لا يمكن تجنبها . . . (٩)

ويقول ويلز في معرض تعليقه على كتاب سابق يدعى « قهر الزمن » ما يلي : « ان مثل هذا القهر الذي يقره هذا الكتاب هو من صنع الزمن لا الانسان . . . و ان الزمن هو كالجداول الجاري ابداً . الذي يحمل ابناءه سعيداً . . . وهم يتلاشون كما يتلاشى الحلم عند مطلع الفجر . . . (١٠) »

ذلك هو نضالهم شكبير الاصيل سواء في ماكيث أو تيموث . وانما لغة مدعشة من رحل كان مليئة حياته واعطاء : « بذلك حياتك ان هي لم تصحبك . . . الرجل المتفاني صاحب « بشر كالآفة » و « بوتوييا حديلة » . ويصرح ويلز قائلاً : « انه اذا كان الفارزي يود متابعته ، فانه سيذكر له السبب الذي حداه الى تغيير نظره الى الامور :

« انه الواقع يتبع بمرور وقوة على أولئك الذين يستطيعون ان يطلقوا ادعائهم حرة . . . مواجهة السؤال المحير الذي اوبك الكاتب . انهم يكشفون ان غربة حقيقة قد دخلت هذه الحياة . . . ان ولع الكاتب المتنازع هو في سببه الامور بالعد . ومن الأكثياء التي يتألم : ان نين سيقود هذا ؟ وكان من الطبيعي ان الغير سيكون له حدود اشياء وحوادث جديدة سوف تظهر . . . إلا انها ستظهر بصورة معقولة . . . محتلفة في الداء ذلك بالتسلسل الطبيعي في الحياة . . .

وهذا قد كان في غائنا الواضع المضطرب دائماً المراضن يقول بأنه سيكون هناك اصلاح نهائي في الحياة العقلية . لقد كان ذلك السؤال الخلاب : أي شكل سينتج هذا المظهر العقلي الجديد ؟ أي فوق مستوى البشر ؟ أي يونغياً أو أي لا شيء . سينتج في هذا السحاب العابر وهذا الاضطراب ؟ وعلى هذا الأساس بدأ الكاتب يركز ذهنه . لقد فعل كل ما في وسعه لتعقب ذلك المظهر العالي نحو ما تنتهي إليه تلك العقلي في مظهرها الجديد في قصة الحياة . وكلما وزن الحقائق الموجودة أمامه ، كان أقل قدرة على استخلاص أي ميل أو أي اتجاه ، فلم تعد التغيرات نظامية ، وكلما ابتعد في تقديره للاتجاهات التي تلوح أنها تأخذها ، تعاطف ذلك الشعب . أن الحوادث التي حدثت حتى الآن تتميز بنوع من العقولية المنطقية ، تماماً كما يفرض قانون المجازية الأجرام السماوية . أما الآن فيلوح أن ذلك السلس قد احتجى وأن كل شيء ينتج كينها كان وأينما كان بسرعة متزايدة بانتظام ... واختفى نموذج الأشياء المنتظر جديها . (١٦) .

وتجد هذه الأفكار نفسها موسعة ومعادة في الصفحات التالية ، دون أن ترى كيف وصل إليها الكاتب . لقد دخلت الحياة غرابية قاسية ، ثم وعين نمر في اشعاع فاس من البدع التي لا يمكن حتى هذه اللحظة تصديقها . وكلما نشط التحليل ، تقصفت الشعور بالانزواء العقلي . ، ان شلثة السبأ أمام أعيننا ، وتلك الشاشة هي واقع وجودنا . ان حينا وكثرنا ، حروبنا ومعاركنا ليست أكثر من أطراف ترقص فوق تلك الشاشة ، هي في عدم وجودها كالأحلام .

(هـ) أفديشير غراه البروفسور وايت غيد بأن ويلز يعتبر نموذجاً جيداً لـ "أوت-جيه-تير" (تجربة الطبيعة) ، أي أنه يعتبره مثلاً ، نظراً إلى تقسيم الطبيعة إلى الأجزاء كما هي : (أي الأشياء التي يتم العلم بها) ، والإنشاء كما يفهمها الإنسان ، (أي الأشياء التي يتم بها التمييز والفكر) ، وأن شعور ويلز بأن العقل والطبيعة لم يعودا شيئاً واحداً نتيجة لطريقة سلوكه لا شك في أن قصة وايت غيد (الصفة الصوتية) تتم بنفس القارة التي تنشأ الكمال في تفهم العقل والطبيعة ، ذلك الكمال الذي ألبسته أنا أيضاً في هذا الكتاب . إن معادلة تفكير البروفسور وايت غيد بتفكير غراه يمكنها أن تغطي شعوراً قوياً على المشاكل الإنسانية المعاصرة .

هناك صفاً اختلافات كثيرة بين سلوك ويلز وسلوك بابل بارويس ، إلا أن فيها معاً سلوكاً للاعتناء نفسه . عدم قبول الحياة ، الحياة الإنسانية التي تعيشها الكائنات السياسية وسط المجتمع الإنساني . كل منهما يقول : مثل هذه الحياة كمثل الحلم . فهي ليست حقيقية . ويلدب ويلز إلى أبعد مما يدفع إليه بارويس في اتجاه التفكي للنام . وينتهي فصله الأول قائلاً : " ليس هناك من طريق إلى الخارج أو إلى الداخل أو إلى الداخل " ، وليس هناك من شك في أن ويلز يرى بقدر ما يعتني الأمر أكثر من اللازم ، وأعمق من اللازم . أن هذه المعرفة تشبه طريقاً مسدوداً أو النهاية الميتة التي وصل إليها جبروليس بطل الوقت . " أي صحيح بعد كل تلك المعرفة ؟ " .

لقد وعد ويلز باعتلاء الأسباب التي دفعته إلى بلوغ مثل هذه الآراء الخاطلة . إلا أنه لم يفعل شيئاً من ذلك في بقية الكراس (التي لا يعدو ٩٠ صفحة) . وأما بعد لصراحة السابق ويكرده : " نأثرتا الفعل الناتج المكسب عليه " ، وعلوينا القاسية للكون التي لا تتسع معها نهضة ، " لا نموذج لأي نوع " . إنه يتحدث بصورة غامضة عن تعابير آينشتاين : سرعة الضوء ، وصناعة الزائدين (الطريقة التي يستعملها الجيولوجيون لتحديد عمر الأرض) ، بل إنه يناقش قواه الأصلي بأن الحياة كلها هي في نهايتها ، ويقول أن هذا الأساس الذاتي للتفكير هو الذي سيختفي . وينقد ، أن الهجوم وهي في تجربتها العلمية قد أصبحت قدوة فعلية . ان يفسح المجال حيوان أحسن منه استعداداً لتوجهه المصير الحقيقي على الإنسانية . وفي الصفحات الأخيرة من الكراس يراه جبروليس التي كان يذكرها لبسائل السؤال التالي : هل يمكن إلقاء الحصار ؟

والأنا ان طبعي الحاصر يضطري أن أشك في أنه لم يكون هناك أقلية تشهد الحياة وهي تنسج إلى جانبها التي لا يمكن أحداً . (١٦) . يصر هذا الكراس اشتدرة تشاؤمية في الأدب الحديث بعد كتابات من الوقت ، الفاروق . قائلاً بأن البيوت فهو في جوهره هي : " كما شعورنا ذلك نفسه هي رأس ويلز لولا أصرا " على الأدب بأنه يتحدث عن حقيقة واحدة .

عن واقع موضوعي .

ولن يدعشنا أن نعلم أن هذا الكرسي لقي قليلاً من العناية من معاصري ويلز .
إن تصديق النتائج التي خلص إليها ويلز في نهاية كتراسه يتطلب ما كان في يد
شوينهاور من سلاح جنلي صارم في « العالم كرايدة وفكرة » أو في « تدهور
العرب » و« لينجلر » . لقد سمعت كاتباً معاصراً لويلز يعقبه بأنه « انفجار من
العات ضد عالم رفض أن يتخذ منه مسيحاً » . على أننا إذا قبلنا بالمستوى الذي
كتبه عليه - متفقين مع كل عبارة من عباراته - شعرنا بأننا في المشاكل التي
تلوح متداخلة مع نفسها . فلماذا كتب ذلك إذا كان يعتقد بأنه ليس هنالك من
أمل في الانقاذ ؟ وإذا كانت النتائج التي وصل إليها تنفي حياته الماضية والمستقبل
المحتمل لكل الجنس البشري . فإين مبلغ بنا الأمر ؟ يرى ويلز أننا لن نكون
ذاهبين إلى أي مكان - كنا نتبع ضلالتنا معضدين بأن أية حركة هي أفضل
من لا شيء . بينما الحقيقة هي أن العكس ، الاحركة ، هي الجواب النهائي .
جواب السؤال : ماذا نصنع البشر لو رأوا الأشياء كما هي ؟

هنالك بعد شلح بين اكتشاف المسر بولي « بدل حيائك أن هي لم تعجيك »
وبين « لا طريق هنالك إلى الخارج أو إلى ما حول أو إلى الداخل » .
لقد قادنا باربوس إلى منتصف الطريق نحو الحقيقة حين قال « الحقيقة ،
أرى ماذا يعنون بها . تلك العبارة التي يمكن أن تسدها عبارة « التغيير »
يستطيع أن يبدل شيئاً ؟ » أما ويلز فقد صار بنا المسافة كلها وأوصلنا إلى
باب مشكلة الوجودي : أجب أن ينفي الفكر الحياة ؟

هنالك نقطة أخرى من نقاط المقاربة بين باربوس وويلز يجب أن نعلق
عليها قبل انتقالنا إلى مظهر آخر من مظاهر اللامتنس . ذلك أن بطل باربوس
هو لامن حين نقابله ، بل من المحتمل أنه كان لا متمياً دائماً . أما ويلز فقد
كان متمياً طيلة حياته . لقد أجهز واجباته نحو المجتمع دون كلل ، وزوده
بصالحات منازرة ليجعل نفسه أفضل . لقد كان ويلز الروحية العلمية محسنة ،
وقد استعرض تاريخ الحياة واستخلص نتائج كثيرة ، وكان في ذلك يعتمد من

حفلة الانساكلويديين الفرنسيين . لم ينقطع أبداً عن جمع الحقائق والتخمين .
كان متوقفاً من عبارة « الحقيقة ؟ ترى ماذا يعنون بها ؟ » أن تكون كذبة
استنتاجاً ملخصاً لمختلف الافكار التي دارت حول الحقيقة في تاريخ الحضارات
السبع . أنه لأمر عجز أن يصبح الإنسان لا متمياً ، عجز أن يفرج أننا
نجد أنفسنا مضطرين إلى البحث عن سبب بدني لهذا التبدل . كان ويلز
مريضاً متمياً حين كتب « العقل في منتهى حدود الاحتمال » . ألا يمكننا إذا
أن نقبل هذا كتيب رئيسي كامن وراء هذا الكرسي ؟

لسوء الحظ لا ، فقد صرح ويلز بأن استنتاجاته موضوعية ، فإذا كان الأمر
كذلك فإن قولنا بأنه كان مريضاً حين كتبها لا يعدو قولنا بأنه كان يرتدي
وشاحاً . إن واجبتنا هو أن نتيقن ما إذا كان من الممكن أن نرى هذا العالم بالطريقة
التي تجعل استنتاجات ويلز لا يمكن تحجسها ، وإن نقرر ما إذا كانت مثل
هذه الطريقة في النظر إلى الأشياء هي أكثر صحة ، أكثر موضوعية من الطريقة
التي نعودنا عليها . وحتى إذا قررنا مقلداً بأن الجواب سيكون : لا ، فإنا
سنعلم كثيراً من قمرنا على تغيير وجهة نظرنا .

بدعي اللامتنس مثل الذي يدعيه بطل قصة ويلز « بطل العيان » ، أي أنه هو
وحده الذي يستطيع أن يرى . أنه يزد على من يشبهه بالمرض والنزاجيا قائلاً :
« الامور في بلاد العيان ملك » . أن حاله هي في الواقع كونه الوحيد الذي
يعرف بأنه مريض في حضارة لا تعلم بأنها مريضة . ويذهب لا متمون معينون
سمعت أمرهم في الصفحات القادمة إلى أبعد من ذلك ، إذ يصرحون بأن
الطبيعة الانسانية هي المريضة وأن اللامتنس هو الإنسان الذي يواجه هذه الحقيقة
المؤلة . هؤلاء لا يعنون الآن ، لأننا في وضعية سلبية يقول اللامتنس أنها جوهر
العالم كما يراه هو . تلك هي « الحقيقة ؟ ترى ماذا يعنون بها ؟ » و « لا طريق
هنالك إلى الخارج أو إلى ما حول أو إلى الداخل » ، وإلى هذا يجب أن
نصرف انتباهنا الآن .

حين جعل باربوس بطله يسأل السؤال الاول لم يكن يدرك أنه إنما كان

يشرح أساس مشكلة فيلسوف التاريخ كيركغور في كتابه من عام ١٨٤٤. كان سورين كيركغور قد قرر أيضاً أن البحث الفلسفي لا معنى له. وكان يستند في ذلك إلى ما استند عليه ويلز من أن: الواقع يعني الفلسفة، أو كما قال كيركغور: الوجود يعنيها. فلما هجوم كيركغور فقد كان موجهاً ضد هيجل الميثافيزيكي الألماني، الذي كان، مثل ويلز تقريباً، يحاول أن يبرز علاقة الله بالإنسان بالكلام عن هدف التاريخ ومكان الإنسان في الفراغ والزمن. كان كيركغور قد ذا روحية دينية عميقة، فلاح له ذلك كله سطحياً فضلاً فقال: «إذا أردت أن تفهمي، فسي ضمن نظام، التي كنت رمزاً حياً، التي أنا...»

من الواضح أن مثل هذا الرفض للمنطق والتحليل العلميين نتاج عبودية. إن غلبنا معنى على القرصنة القائلة بأن عبارة «كل الأجسام تسقط بسرعة ٣٢» فلهذا في التالية ضمن منطقة الجاذبية الأرضية، معنى محدد. فإذا رفضت صحة المنطق فلهذا يصبح هدراً، وإذا لم ترفضها: فلهذا من الصعب جداً، إذا ظلت تتبع هذه الخطوط، أن تقوم ويلز أو جون ستراوت بل. ولهذا فإن كيركغور يصوغ ذلك في العبارة التالية: هل من الممكن قيام نظام وجودي أو عبارة أخرى؟ هل يستطيع أحد أن يعيش طسقة دون أن يعني الحياة أو الفلسفة؟ يقول كيركغور عيياً على هذا السؤال: لا، وإنما يستطيع الإنسان أن يعيش حياة دون أن يعطي أي معنى للحياة أو الدين. ولا نحتاج أن التوقف هذا التأمل في السبب الذي قادنا إلى هذه النتيجة، وإنما الذي يستحق الملاحظة هنا هو أن هذا التأكيد على القيم السبحية لم يمنع من مهاجمة الكنيسة بعنف لأنها حلت المشكلة على حساب الحياة وجعلتها تلائم المسيحية. لقد كان كيركغور وبنسبة متكررين قسرين، وقد مرحاً يفكر أيتها لا متشباهة. ولهذا يجب علينا أن نبحث في أنماطها عن دفاع قوي عن اللاهوتي وبركزة، وذلك ما نجده لديها بسهولة. قد تم إنشاء كيركغور فلسفة كان اللاهوتي نقطة انطلاقها، ونحن اليوم نستعمل عبارة كيركغور: في الإشارة إليها فنقول: الوجودية. ونحن نطيع أفكار كيركغور في ألمانيا حوالي عام ١٩٢٠. نجد الأساس لذلك التفكير

واستعملوا منها النتائج المادية واستعملوا طريقة في التحليل لبناء ما يدعى بالفلسفة الوجودية. وهذا فأنهم انا حاولوا تأكيد من الغموض والقوة على ميثافيزيكية هيجل ثانية. نج ذلك أن اشتهرت الوجودية في فرنسا في أعمال جان بول سارتر واليه كم هو اللذين أعداداً التأكد على اللاهوتي، ووصلوا في النهاية إلى نتائج الخاصة في عظمها السؤال: كيف تعاش الفلسفة؟ وقد فعل سارتر ذلك في «مذهب السلام» الذي سجنه في الفصول القادمة. أما كما هو فقد قال: «أنا لا متبياً». ويجب علينا أن نتحقق كلاً من هذين عن عدة: جمع سارتر بمهارة فائدة في أول قصصه: الفتيان، وكل الفئات التي انحصارها حتى الآن في معرض حبيبتنا عن ويلز وباربوس: اللاحقة. رفض الأمر المثاليين الغضبية، وأخيراً «شاشة السينما» التي تعترض الوجود العادي والتي لا طريق فيها إلى الخارج أو ما حول أو إلى الداخل. إن الفتيان، هي سبيل حائل للتورخ يدعى روكاتان لا يملك ما يملكه ويلز من اليقظة التاريخ العلمي، وإنما هو مؤرخ أدبي يعني بديمومة حياة سبيلي بارع من الهيئة الديالوجية يدعى رولبون. يعيش روكاتان وحيداً في غفلة من العالم. أما حياته فهي سبيل متصل من الاغاث، والاحاديث الدائرة في المكتبات، والاتصالات الجنسية مع مهاجرة الكارينو: أغنيى وحيداً، وحيداً تماماً، ولا أمل أحداً الملاحق، لا أتحذ شيئاً ولا اضلي شيئاً...»

إلا أن سلسلة من الألام تضيقه فتدفع على الشكوى، وينقطع حيزاً مسطحة لاهوتها أولاً على الماء، وقبلاً... وأثبت شيئاً ملثمي بالاشترار، ولست أدري ماذا كان ذلك، الخجرام البجي... وبقي بالخير ويعيد المكان. (١٦٣)

لما سجن روكاتان فهو محاولة لاسياغ الموضوعية على ما يحدث له. إنه سجن في ذاكرته ويتضح ماضيه. كان قد حدث شيء ما في الهند القسبية... أحد زملائه يوماً إلى بعثة أثرية في البنغال. وكان على وشك قبولها... حين وقبلاً، لتتقطعت من اعطامة ست سنوات... ولم استطع أن أفهم... لست في الهند القسبية. ولما كنت أفعل هناك. ولهذا كنت أسأله

أولئك الناس . ولماذا تجوزت مالم يمي بكل تلك الغرابة ؟ كان أمامي بحر رايض
بكتل وجول . بحر هائل . نافذ لا طعم له . ولم أر بوضوح ماذا كان .
إلا أنه ملأني بالاضيقال . حتى أنني لم أعد أستطيع النظر إليه . (١٤٤)
لا شك في حدوث شيء ما وراء كل ذلك . هناك حياته الاعتيادية . وكأنه
الفرح التي تملأها . من معنى وهدف وفائدة . وهناك تلك الاعياد . أو
بعبارة أخرى تلك الدوافع المقيمة التي تغلب أعمق حياته العادية . أن السبب واضح
فهو يلاحظ الأشياء بجدّة وأمانة أكثر مما يجب . وهو ، كغيره ، يسأل عن كل
شيء . إلى أين سيؤدي ذلك ؟ أنه لا يتفكك يلاحظ الأشياء . الله يعلو على صاحب
الكازينو قائلاً : « حين يخلو الكازينو يخلو رأسه أيضاً . » أن حياة هؤلاء الناس
هي مصادفات تعتمد على الحوادث . فإذا توقفت الحوادث . أي لم يحدث
شيء . فأنهم يتوقفون عن الكينونة . أفلح من أولئك جميعاً هم الضالون . أولئك
« الكلاب القدرة » الذين يرى لوحاتهم في معرض المذنبه الفني أولئك المشهورون
في المجتمع . الرافقون من الفسهم . الماكثون من أن الحياة ملكهم وإن وجودهم
ضروري لها . وهنا يعود فقد روكانان على نفسه . كان هو أيضاً قد قيل
معاني كثيرة بعد الآن أنها لم تكن كذلك . هو أيضاً يعتمد على الحوادث .
وبينا هو في كازينو مزدحم . لواء يخشى النظر إلى قذح من البيرة .
« إلا أنني لا أستطيع أن أوضح ما أرى . إلى كائن من كان . . أنني
أغوص إلى أعماق الماء . . إلى الخوف . . » (١٤٥)

وبعد أيام قليل . يصف الظروف التي يجابه فيها الثيان وصفاً دقيقاً . أن
اختبره يترك هذه المرة على حالات يتطلون صاحب الكازينو . وبهذا يرى
أن هذا الثيان هو تأكيد على دئمة محيط روكانان . (يذهب سائر إلى أبعده
هذا ذهب إليه أي كاتب من قبل . في التأكيد على : الظلام والقدارة -
أن لم يبق أن أعطى خيس جويس أو دومونسكي مثل هذا التأثير
عند وصفها العقل الغارق في المذابة الجسدية .) أن ذلك يتفكك مشاعر
روكانان . ذلك الضد الروحي الذي يقابل هذا الشهوع الجسدي العنيف .

« ليس الثيان في داخلي . أنني أعرض به في عارجز . هناك في
المنفذ . في الخلالات . في كل مكان حولي . أنه يتصل مع الكائن .
المنفذ شيئاً واحداً والا في داخل ذلك الشيء . » (١٤٦)

فيعبر روكانان مثل ويلز . على طبيعة الأنعام الموضوعة . أو يذبح
بعدم اسطوانة ويبعث صوت مطربة زجاجة نبي . بعض تلك الألام .
أما يشع منها تحضي الثيان :

« شعرت حين ملأ صوتها تلك السكون . بأن جسدي بدأ يتصلب .
أن الثيان يبدأ ينهي . وفجأة أبعث بأن كوني على مثل هذه
الصلابة . هذا الانعراج . أمر لا يتقبل . كنت في « الموسيقى »
أنا هناك دوائر من النار تحيط بها حلقات من الدخان . » (١٤٧)

لا حاجة بنا إلى تحليل هذه التجربة . فلما التجربة الحالية القديمة
التي حيث دم النظم والخلق .

« التي مخوف وأجس بأن جسدي صار في مثل هذه آلة الضبط . كانت في
معارف حقيقة . غير أنني لا أستطيع استعادة شيء من التفاصيل . إلا
أنني قد كنتع الخواص العنيف . لقد طفت غارة . « وركب ورائي مادراً
مبعث بخارج الأنهار . وتغلغلت في لغات . شافاً . طريق إلى مادن الشرق .
كانت لي مشاع . وكنت قد كلفحت حد . حال . إلا أنني أشعر أن
بداي . لاستعادة ذلك كله شيء بجوار أدرة اسطوانة بالعكس . »

أنه لا شأني بالأشغال الفنية . التي غير الفكر . والفكر رب العالم بعض ملامح
العلم الذي يشع به من كاد ضيقاً عذري ليعمل ذلك . هناك شيء « تراجم »
لا . « ج . الف » . الشعور المتعلم بالانحياز الفكرية التي تشرع بعض الإحاديث
« . بل أن ذلك أيضاً تركي أن يعبر ملأ . وقتاً . أو . . .
طبع الألهة العنصر تعني النظام . حتى في دم من بعض تلك الألام .
جد في هذا السجل تعلم من . و . . . الألهة بغيره شيئاً
شيئاً على الجدار فقط . على الآن غسل له . على الدائرة . الدائرة التي

تجيب الحوادث تابعها ونمساكها ، ويرتكب تلك الفعل معتقداً في نفسه عن
المعنى على الأشياء التي يراها ونفسها محب . أما شكوكية هيوم - التي تصيح
في فطرية - مدبرة . على أن كل ما يراه ويلسه لا يمكن تمييزه ، لا تميزه
الذاكرة ، كصورة شيء مألوف مأخوذة من زاوية غير مألوقة . انه يظفر الى
بشعده ويشغل في تمييزه ، واقتم مقصراً ، انه يفعد ، إلا أن الكتلة
تبقى على شعقي . انها ترفض أن تنطلق وتستقر على الشيء . كأن الأشياء
قد ملقت من اصحابها التي في وسط الأشياء . الأشياء اللامعة . (١٨)
ونائية طبيعة الافهام الكاملة حين يخلص في الحقيقة العامة معاً النظر في
جذور شجرة الكتمان :

و لم أستطع أن أتذكر أنه كان جديراً لقد اخضت الكليات ، واخضت معها
مدلولات الأشياء . وطرق سعالها . ونقاط الاشارة الصحيحة التي يتبعها الناس
على منطوقها . كنت جالساً ... أمام هذه الكتلة المعقدة لعقيداً وحشياً
تماماً ، الأمر الذي انجاني ... بل تركني مكتوم الانفاس . لم أكن أفهم
معنى كلمة الوجود قبل الأيام القليلة الماضية . كنت مثل الآخرين ،
وكنت أقول مثلهم : ان المحيط أنحصر وان تلك البقعة البيضاء الموجودة
هناك هي أحد طيور النورس . إلا أنني لم أكن أشعر أن ذلك الطائر كان
موجوداً . وفيما رفع الوجود البرقع عن نفسه .. لقد فقد ملاصق الجفت
المجرد ، وصار صيغة الأشياء . ولاح كأن هذا الجذر يحول بالوجود .
أشعري هذه الأشياء بالقلق . كنت أود لو كانت هذه الأشياء موجودة
أقل من هذه الجبرية . يخفاف أكثر ، يتجزأ أشد . (١٩)

وهنا يصل الى نهاية الاحتجاز النفسي ، فتحل الأشياء صارت بفتية . ان
تجربته مألوقة لذاتها ، خاصة حين تواجه الأشخاص الآخرين . شععية أو اعتقاد
يستطيع أن يفرس عنه بالرغم من مقاومتها . بل انه المديئة نفسها ، بل فيها
من فوضى في حركة المرور ، والكائنات البشرية ، تستطيع أن تستبطر على
شخصه ضعيفة وتشرها بلا معناها . ورو كاننا نحس بهذا اللامعنى في مواجهة

الأشياء ، ويبدون هذا المعنى الذي ينتظر من اذنه ان تبعه على تلك الأشياء
صريح ، وجوده سحيفاً . أما العرضية . بجمع هيوم - فقد تدبورت . وهذا
المسألة هناك معامرات . ان سجل رولون يمكن ان يعتبر معاداة الصريح
الاعتقاد الذي . لانها أضلت ضرورية على حياة رولون لم تكن هناك
مسألة . ولم تكن الحوادث تتبع احدها الاخرى فانك قد تصي . بل ان
كان الإنسان آمن من رؤية الوجود الخالص الفارسي هو وسيله التي يستطيع
سج الوجه الذي يولد ذلك الأشياء .

و اما هناك الذي ان لم تكن هناك عرضية أو معنى تحصل ٢ ان ساذج
يعبر حياة هؤلاء : الإنسان هو عاطفة غير عادية . لا اختيار هناك
في . أليس كذلك . وانما هناك حيوية تقدم الجدوى مع معرفة هذه
الشيء . و تميزه عن الجدوى مع حكم . معارفها .

بل ان رو كاننا هذا كان يرى الأشياء على معناها ويطاها في السابق ، في
و بعض لك الأيام . كانا هناك معنى وسية ولغة تنبع أخرى بصورة
لا يمكن ان تكون . ويتبعه وو كاننا لا يستطيع ان يخلق شيئاً من ذلك ٢
أشياء ابتداءً دفاعياً . و تواقفه يراها الناس فها بعد ، يشعرون بأنه كانت حاله
أشياء انعدام الفهم . ميرك الحاضر ادك وترك حياة رولون ، يجب ان تكون
في هذه الطريقة أخرى للحياة . و طريقة جديدة . وهذا ينتهي السجل

مستوى . وهناك مثل طفل ياربوس ، ففرقه في حذو أدركه الا انه يذهب
الى . أمم (أو) كما يذهب الى رجل . وحب الخلق له . لقد بلغ سلوكه نهاية
و . أليس كذلك . والإنسان هو عاطفة مع عديده . ان هذه العبرة تصلح مخلصاً
لنفسه . والعمل في جنهي حضوره . حيث هو الإقصاء التام ، كما في كتاب
أول . و العار هو . و هو اناء مدي . عن الكتاب القليلة . و هذا . و كاننا
في . في سجال . و لك العبداء . فهو و هذه المذكرات تتحقق . ولم كان الناس
مستمعين . في انفسهم انك حياة الحياة . تلك لأن الأمور . في بلاد الحضان
ذلك . ان السجلات هذه هي مذكورة على لا شيء . انهي لا تفسد قوتها ولا

امتيازات ، وانما تفقده الامكان . وللهلك فيه القوة على الاداء . ان عالم هذه الملكية هو عالم بلا قيم .

هذه هي الوضعية التي مجلبنا اليها بطل باربوس . والتي تلوح بالهزيمة في رغبة التي افارثها اذبال النساء المرتفعة ، ولم يكن راعياً في الاتصال الجنسي ، وانما كان يريد نوعاً من الحرية لا يمكن تعريفه ، يشتمل في النساء وفي غريزتين المستور . كانت الرغبة الجنسية موجودة في ذلك كله ، الا انها لم تكن لوحدها . فقد كان هو مستاء معلوماً كالبايون باشيوارا ثائر ضد ريكس المسرعة وفسادها الالقيقات . « الا انني مع ذلك اريد شيئاً من التعويض » . وبالرغم من المادية التي فرضت عليه لا يعوته حتى يؤكد لديه انه « لا يملك شيئاً ولا يستحق شيئاً » ، فانه يشعر بأنه يملك حقاً في في ماذا ؟ الحرية ؟ انها كلمة امي . استعملها . اننا نتفحص الجحيم » . ياشين عن تعريف له دون جلوى . لقد قرر سارتز وويلر ان الانسان ليس حراً مطلقاً . وانه من الحق والخفاقة بحيث لا يلاحظ ذلك . واذن ، فما هو ذلك الشيء الذي هو من حق اللامتنس . يفلنا هذا السؤال الى ناحية اخرى : الى لامتنس توفر لديهم شيء من لا ادراك لطبيعة الحرية .

الفصل الثاني

عالم بلا قيم

على اللامتنس الى التعبير عن نفسه بمصطلحات وجودية ، ولا يجهل المفهوم بين الروح والجسد ، أو الانسان والطبيعة ، ذلك ان مثل هسند الافكار تتجس تفكيراً دينياً وفلسفة في حين انه يرفضها معاً . ان التمييز الوحيد الذي يسه هو بين الوجود والعدم . وفي ذلك يقول بطل باربوس : الموت ، انه العم الافكار املاً .

مثل باربوس . وويلر مفهومين مختلفين للمشكلة . فلما مفهوم باربوس فيمكنه ان يقال عنه انه تجريبي . ذلك ان بطله ليس تفكيراً ، فهو يقبل العيش . وانما يرفض قيم هذا العيش . اما ويلر فيبتعد أكثر في رفضه ، بل ان نتائجته تتصل الى حد النهلستية (الاباحية المادية) ، ونتائجته هذه مثل نتائج هيزم : استدلالية . اما في حالة روكاشان ، فانه يصل الى نتائجته بواسطة تعاون العقل والتجربة ، الا انه يدفع الى حد النهلستية بواسطة العنصر العقلي أيضاً . ان شعاع الامر في (الفاد) . بأنه من مستوى تجريبي لم يؤثر عليه التفكير الاستدلالي ، انه يأتيه من امره رغبة نجني . بعض تلك الايام ، ان العقل يقود الى الطريق المسدود ، ولكن اذا كان هناك حل فانه يجب ان يوجد ، لا في العقل . وانما في تفحص التجربة .

الا أننا يجب أن نحفظ في أذهاننا بالأحوال المظلمة القائل بأنه قد لا يكون هناك حل. وعلى كل حال يجب علينا الآن أن نخصص هذا المفهوم التجريبي. ان لا نمتني اليه كما هو أكثر تجريبية من لا متني بباربوس ، بل انه ليذكر أقل منه ، وليس لديه قوالم ، ولا مشاعر غير اعتيادية ليضعها ، بل انه لا يملك شيئاً من المشاعر.

عاشت امي اليوم أو بالأمس ، انني لست متأكدًا ، (١) ان هذه النعمة تذكرني في الغريب ، كما ان هذه القصة تحافظ على تقليد الجحيم ، و العيان ، في أن البطل يحجل يومياته . ونرى هنا أن مرسول شاب جزائري تكشف الصفحة الأولى عن شخصيته : انه يقصد محبوه سابقاً اياه ان يعطيه اجازة ليحضر دفن أمه ، يقول :

« آسف يا سيدي ، غير انها ليست غلطتي كما لكدي » . ولاحظ في هذا ذلك انني لم أكن في حاجة أن أقول ذلك ، ... لأن عليه هو أن يعبر عن شؤوه تخوي في هذا الصدد . فلما كان مرسول قد شعر بموت أمه ، لم اعتذر ولكنه وكما يكشف القارئ ، لم يشعر بذلك الا قليلاً . ولا يعني ذلك انه خائب ، أو متعب من العالم . ان أماله من المأمن هم أقرب الى وشيان في أهداف ، للكاتب ب. ج. ودعاوس . الله يتبع بالطعام والشراب والاستحمام الشمسي ، والذهاب الى السينما ، انه يعيش في الحاضر . وهو يروي بآ موت أمه بطريقة موضوعية ، غير انه لا يحس بذلك . لقد أزع ذلك فيه حقاً ، لانه اضطر الى ان يسهر الليل بكامله ، أما ما عدا ذلك . فانه لم يتأثر بشيء . وهو يذهب في اليوم التالي للسياحة ، ويبدأ علاقة مع فتاة جديدة ، وتتطور علاقتها بصورة سريعة وتضمن لنفسه صفحة من القصة فقط ، اذا شاهدنا طلاً مضحكاً ، ثم يعودان الى قفصه هو ، لساناً معاً . وبعد أن ترحل في الصباح : « نجت حتى العاشرة » ، تم رفيت في فراشي حتى الظهر أدهن السكاكر (٣) .

ذلك هو الجو الذي يصوره الموت أيضاً في الأرض الظفر : « انني أقرأ كثيراً في الليل » وأجيب الى الجنوب في الشتاء ، وان ما يلاحظنا عند المقارنة

هو عدم حدوث الانفجارات المظلمة في كتاب كاهو ، ان ايس هناك ما يوحى ان كاهو يريدنا أن نقوم برسول كل مولد النافذ ، أو التي ، وفيه الاثيرية في مرسول فهو اذاته ، فان الفتاة تناله ان يزوجها فورا في الحال . ثم سألني ثانية عما اذا كنت أعنيها ، فاجبتها بأن سؤاليها لا شيء ، أو انه قريب من الاثني عشر . الا أنني أنفتحت التي لم أكن أعنيها (١٤) .

مت هذه الامانة من عدم الاكثارات لسائل الضمير . انه لا يعجز أجرة يا على أي شيء . فلماذا يكتب لا ويصاحب مرسول أحد النساء . ثم نجد بعد مشر كأ في دار قديم بين السار ورجل عربي . وينتهي يوم آخر على السار وينتهي ذلك اليوم بأن يعجب مرسول العربي لميموت . لقد كمال الأمر . فاما من الشخص . غير أن العربي لم يكن مسلحاً ، كما انه لم يكن هناك فهو . الا أنه بعد نفسه في المحكمة بتهمة القتل . وهذا يفت كل شئنا بوصفه لا مبرراً منه . فان من يرتكب جريمة القتل يجب ، على الأقل ، أن تكون لديه دافعة عد في تلك الجريمة . وبعد مرسول ان كل ما يستطيع أن يفعله لئلا المأمة هو أن يركب ويمنج . مقهوراً ارضاقه هذا الحادثة المروعة . غير انه عدم الكثرة التي يقفوه في البداية يحذر مستوحيه ، فلا يملكون الا ان يحسوا ذلك في منتهى الوحشة . وبعد الآن الى أمه . فلماذا لم يات عليه مراً ؟ لم يكن معها . وهذا القدر أدناه أيضاً حده .

ولصالح أدلة كد حازه انني كتبتموها مع اني لم يكن يعني شيئاً كثيراً . و كان القاضي رجلاً متديناً طلياً . جبرلاً على البسمة من الله مستبد به . في ذلك مرسول لا . من الموح جداً أن يتوب المرء من خطايه . فلماذا كان الله مع شؤوه من عبته . فيقدم الى مرسول صليلاً ويطلب منه ان يترك الا ان مرسول ينظر اليه بعنف . بل هذا لا يعني شيئاً . بل انه يرا من المرسول والايض أي شيء . موت ؟

انتم تسمونه مرسولاً ، وهذا يعود كاهو الى اهلها الشريرة بعد ان كان غمراً مرسولاً . الرجاء مراعاة المنة بمرسولك . يسمح ان المديني القدم وفع

يقول بصوت غميق مؤثر :

« يا حضرات المحققين ، أود أن تلاحظوا أن هذا الرجل ذهب في اليوم التالي لوفاة أمه إلى بركة السباحة ، وهناك بدأ علاقة غرامية مع إحدى الفتيات وذهب معها لمشاهدة فلم هنري .. ذلك هو كل ما أود أن أقوله » . (٥)

أجل ، كان ذلك كل ما يحتاج إليه ، لأن ميرسول يحكم عليه بالأعدام ، ويؤوده القيس في زناياته ملجأ عليه بالثوب . ولجأه يرى ميرسول نفسه غير قادر على تحمل كل هذا الحس ، فبسك يباقة القيس ويعصب عليه جام غيظه : « لقد كان واقفاً من نفسه جداً ، كما ترى ، إلا أن أية حقيقة من حقائقه لم تكن لتساوي خصلة واحدة من شعر امرأة » .

.... لا شيء .. لا شيء مهم أقل أهمية ، وقد عرفت جيداً لماذا .. لقد كان يحب علي من أفق مستقبل المظلم نسيم مستمر بغي .. وكان ذلك السيم يعادل كل الأفكار التي حاول الناس أن يحشروها في ذهني خلال السنوات اللاحقة التي عشناها .

.... كل شيء سيجم عليه بالموت يوماً ما ، وسيأتي دوره أيضاً كالأخرين . ترى أي فرق هنالك إذا كان سيعدم بعد أن اتهم بالقتل ، لأنه لم يهلك في جنازة أمه ، ما دام كل شيء سيتهيئ إلى النهاية نفسها بعد حين من الزمن » . (٦)

وتهدية أفكاره الأخيرة قبل نومه في ليلة أعدامه ، إلى نوع من الإدراك : « لا بد أن أمتي شعرت ، حين اقترب الموت منها مثل هذا الاقتراب ، بشعور من يقف على حافة الحرية مستعداً لبدا حياة جديدة . وأنا أيضاً شعرت باستعدادي لأبداً الحياة من جديد . أنه بلوح أن هذا الغضب المتدفق قد نطقني ، وأفرغني من الأمل ، وبينما كنت أحلق في السماء المظلمة ... فتحت قلبي إلى علم الاكتراث الكوني التديع .. لقد كان شعوري بذلك كشعوري بنفسي .. جعلني أدرك أنني كنت سعيداً ، وأني ما زلت سعيداً . كل ما بقي لي ، لكي أقل من شعوري بالوحدة ، هو أن أأمل أنصاح المكان في ساعة أعدامي بالفتش الذين سوف يخبروني بصراحات السباب والمعنات » . (٧)

لقد كشفت الصفحات الأخيرة من القصة عن سر ميرسول ، عن سبب عدم الإدانة . وكان ذلك السبب هو شعوره بالاحقية . وقد ظل يعيش حياته كلها نفس المعنى الذي عاش به روكاتان : كل هذا هو غير حقيقي ، غير أن معنى الاحقية لا يعنيه كما عذب روكاتان ولا منتمي الفصل الأول ، لأنه يقبل الحياة . فهو الشمس والطعام وأجساد الفتيات ، ويقبل الاحقية أيضاً . إنما كان الأمر الذي أوقفه « اتفاقاً وحشياً مرعباً » كما يقول ويلز ، هو المحاكمة . لقد أبغظه توقع الموت . فثبت فيه ما بث الغثيان في روكاتان ، غير أن بقلته كانت « بقلته ما يعنيه الأمر » متأخرة جداً ، إلا أنها أعطته على الأقل فكرة عن معنى الحرية . الحرية هي الفكاك من الاحقية . « لقد كنت سعيداً ولم أزل سعيداً » . ولكن أين هي حقيقة كونه سعيداً ؟ إذا كانت السعادة ما تزال محببة عن الإدراك يتار كيف من الاحقية ؟ لقد وضع مناوئز إدراك ميرسول في عبارة : « الحرية هي الرعب » ، وهو يلاحظ في « معاهدة الصمت » أنه لم يشعر بكامل حريته وحياة إلا في أيام الحرب ، حين كان يعمل في المقاومة السرية . وهو في خوف دائم من الحياة والموت . أنه لمن الواضح أنه الحرية ليست كونك تفعل ما تريد ، إنما شدة الإرادة ، وهي تظهر في التي ترفض تحدد الإنسان وتبعث الحياة في أودائه .

ال قارئه ليدعته تشابه أعمال كامو مع أعمال فرانز كافكا . ذلك أن كافكا يبرز مفهوم الاحقية بالتفصيل في استعمال أسلوب الحلم . يستفظ بطل المسح ، ذات صباح قبيح نفسه قد تحول إلى خنفساء كبيرة . أما في « المحاكمة » فإن البطل يقبض عليه ويعدم دون أن يعرف لماذا . ويلوح المصير ارتباطاً بهذا السؤال : إذا كنت تعتقد بأن الحياة حقيقية ، إذا رأيت في هذا ؟ بل أنه الأيامه : صراح عزيتك والا ..

« أولئك الذين يشلون في التشريع عريانهم يلاقون كوارث مفاجئة ، أعداءه والمحاكمة والأعدام . أو التحول إلى شكل أعطى من أشكال الحياة . رد أن « مسح » كافكا يعبر أمراً صادقاً في رأيي يودي من البيت

بدكرنا كتاب في الغريب . بكتاب حديث آخر نعالج مشكلة الحزبة
أيضاً وهو رنست مبنوي . لذلك ان المستوى الذي نرىنا اياه الغريب
هو نفسه ذلك الذي ينجلي في انفسهم . واذن الجنب . واذن ان مقارنتها
الواحدة بالآخرى توضح لنا ان اعمال مبنوي كلها لها دلالتها على مشكلة
اللامتناهي الوجودي . ان مساهمة مبنوي في هذا الأمر تستحق الاهتمام من
علمه الرواية .

نفس لنا « وطن الجنب » قصة جندي امريكي عاد من الحرب بعد
سنة ١٩١٩ بقتل . وكان كيريز هذا قد التحق بجامعة مقلدة قبل ان يشارك
في الحرب . أما حين عاد فانه قلده كل اتصال بربطه بعائلته وحياته السابقة .
وليس هنالك من يرجع في الأسفار الى تجاربه السابقة . في ايام الحرب .
ما عدا القصص الواقعية على أي حال .

امتثلت اعراق كيريز بكونها لكل ما حدث له في الحرب . وكان
ذلك بسبب الاكاذيب التي رواها . انه كل تلك الاوقات التي كان بإمكانها
ان يجعله يشعر بالوضوح الداخلي والقدرة . حين كان يفكر بها . كحل تلك
الاوقات التي كان يفعل فيها شيئاً واحداً ، الشيء الوحيد الذي يفعله الانبياء
بسهولة وبصورة طليعية . وحين كان في امكانه ان يفعل شيئاً آخر ، كل تلك
الاوقات ففقدت الآن رسوخها وتوحيدها المتأخرة . بل نلشت هي نفسها . (٢٠)
التي هي في بلاده ينوع من الميول يجعله يقضي اوقاته بين القراءة والمرتعات .
له يربطه فانه ما . غير انه لا يستطيع ان يتغلب على حواره ليرجع نفسه بالبحث
عن واحدة . ونظامه . أنه ذات حجاب عندما كان يتناول طعام الافطار . فقلته :
« اعلق الله لكل انسان عملاً » . ولهذا لا نجد بداً بحسنة في ملكته .
ان هذا الذي نقوله انه يعتبر لا معنى بالنسبة الى اللامتناهي . ولهذا يجبنا قائله :
« است في ملكته » .

« انا جميعاً في ملكته » .

ويجيب كيريز باليقين والاختيار : « كالعادة » . وسأله انه :

« ألا تحب انك يا عزيزي » .

« نعم » .

« هذا اليه حد المسعة . وطلع حبله . ثم يتكلم : « قبول كيريز
« ان لا أحب أهدأ » .

لم يكن ذلك بعيداً على حال . فانه لم يستطع ان يخرجه . لم يستطع
ان يجعلوا تلك الأمور . « تار من الخشب ان يقول ذلك . وحيث كيريز
« لم يكن ذلك . فانه مبعوث من شيء . « ولم أفسد ان أولئك التي لا احسنه .

« نعم » .

« أنا لك » . وقد حلتك بجانب فاني حين كنت مثلاً صغيراً جداً .

« نعم كيريز » . « الرضى » . « العتيق » (٢١) . وتفسير أنه على أن يتركها معاً
« ويصلها » . « لا أنه لا يستطيع أن يصل حين سأله أن يفعل ذلك .
« ولعل لما بعد ذلك . انه حاول ان يحب حياته المتقيد . وان عيانه ما
« حله بعدد . . كان قد شعر بالأسف لأنه ، التي جعله يكذب . . وأنه
« بعد . « يجب ان كاتاس سبني ليبحث فيها من قبل .

ان الشاب قوي جداً . كيريز وبين عقل تام . مرسولاً . مع فاروق
« واحد . هو ان حالة كيريز العقلية هي نتيجة تعاريف من نوع واحد . في حين
« ان حالة مرسول العقلية هي نتيجة جداً بالنسبة اليه . وأولاً ذلك لاستطاع ان
« يصح ذلك . « في جوان الأمور . على ان هذا التعاريف هو جيداً . (٢٢) « مرسوله
« ان حالة المرسول الداخلي والمردود . في ليلة الأمام . وكانت ذلك متأخر
« طراً . في حين أن كيريز وجد معنى نظرية حدثان تجاربه السابقة في
« الحرب . « أنا الآن . وقد عاد الى بلاده . فانه يشعر انه هذه التجربة
« ان لا يتخلى ان الذي في تجاربه . « انه لا يملك اني . فعل فيها شيئاً واحداً .
« الشيء الوحيد . في حالة الانسان بسهولة ومنصورة طليعية . « ان لديه
« ان من المعنى . « خرجاً من بعدد لا يصح بالنسبة . « بالاعمال . ان تجاربه
« هي انك انما عمل . « به بعدد . « ان ذلك تجاربه من بعدد .

استيقاظك محاولاً أن تتذكر من كان معك ، بينما تجد العالم كله شيئاً لا حقيقياً غارقاً في الظلام ... » (١١) . ونحن يبدأ فردريك هنري معفوفة الغزمية مع الممرضة ، قائلة لا تحتاج إلا إلى عبارات ثلاث ...

« لقد قلت لك تحيي ، أليس كذلك ؟ »

أجل ، كنت كاذباً ، لقد أحييتك ، ولم أقل ذلك من قبل ... » (١٢)
انه يجد نفسه في مثل وضعية ميربول وكريز ، فالجيب مستحيل حين يكون هناك معنى متسلط من اللاحقيقية ، انه لا يدرك انه يحيا حقاً إلا حين يجد نفسه جريحاً في ميلانو ، والممرضة نفسها تحتر عليه ، وهنا ثلاثي اللاحقيقية ويبدل جو الغريب ليصبح جواً آخر يشبه ذلك الذي تجده في « ترستان وايزولت » التي يعتبرها همنغواي روميو وجوليت بالنسبة اليه . ان « وداع السلاح » قصة رائعة تتوق عند المقارنة أية قصة من نوعها ، أي قصص الرسائل في الأدب الحديث . ويتميز كل مشهد من مشاهدنا بحجوبة رائعة غثيفة . كما ان همنغواي يبلغ في المشهد الذي يصور فيه موت كاترين وهي تضع طفلها تلك الروعة التي تتجلى في المشهد الأخير من « ترستان وايزولت » .

لقد قبض همنغواي بقوة على تلك التجارب التي جعلته يشعر بالجزود والوضوح الداخلي ، كما أنه يربط في هذه القصة قابليته على التأثير على القارئ ، ذلك التأثير الذي يقصده سارتر حين يقول على لسان بطاء ...
« انني مأخوذ ، وأحس بأن جسي هاديء هدوء آلة الضبط . »

أما المراحل التالية في أعمال همنغواي فلها أقل ازواض . كانت المشكلة لديه هي كيفية الانطلاق من الجدية والشدة التي تخلقها الحرب الموجودة دائماً في ماضيه . وان محاولاته العديدة في التعبير المخطر ، وحيد الاحكام وسط البخار المائجة ، وأخيراً استعانةه إلى أسبانيا حال اندلاع الحرب الأهلية فيها . تلك فلها محاولات تكشف عن فشله في حل مشكلته . ان القاعدة التي اتبعها في كتبه التالية تلوح وكأنه حصل عليها من تفكيره في العناصر التي اعتقد بأنها كانت لسبب في نجاحه الفني السابق . الواقعية ، العتق ، والجنس ، والحرب ،

معيناً ايها الشيء من الاختلاف . وان العناصر التي تسبب اعمالة الأولى أجواءها الفريدة ، المؤلفة من مزيج من اليأس الديني والغموض الطبيعي الياداني ، تلك العناصر اختفت وحل محلها عناصر يمكننا أن نجد لها لدى ستة قهرمين من كتاب اميركا ، أو في الواقع لدى الماديين الثارطين السوفيت . وبالرغم من ذلك فإن جانباً من اعماله الأخيرة ينتج في اظهار مرحلة جديدة من مراحل مشكلة الاستمعي ، لا نجد لها عند ميربول أو كريكيل . ذلك ان معنى اللاحقيقية يتلاشى عند فردريك هنري وسط اضطراب الحرب ، ونحن نحس عبه لكاترين . (ويجب ان نلاحظ هنا أن كاترين كانت تحبه منذ زمن بعيد قبل أن يدرك هو حبه لها ، كما انها أشد حماساً فطرياً ، وأفضل تأثراً بالجزء منه) . ان الشعور بأن الكلمة النهائية هي للسلبية ، موت كاترين ، هو ادراك الفصح من الشعور بأنه ليس هناك شيء ذو أهمية . وتحتوي قصصه القصيرة التي كتبها بعد سنة ١٩٣٠ على عبارات يمكن أن تعتبر أمثلة لعقيدة همنغواي واسلوبه . ولنبداً بفردريك هنري حين يرى كاترين وهي تموت :

« سموت كاترين . لقد كان ذلك ما فعلته انت أيضاً . فقد مت ، ولم تكن لتعلم غلام كان يدور الأمر ، لم يكن لديك الوقت الكافي لتعلم . لقد فارقك في النهاية ، ونستطيع أن نصلق ، ابق قريباً وسيقتلونك . » (١٣)

لو الضابط في قصة « في بلد آخر » ، حين تموت زوجته :
« يجب على المرء ألا يتزوج . واذا كان عليه أن يفقد كل شيء .
فانه يجب أن لا يضع نفسه في موقف يفقد فيه ذلك . يجب عليه أن يجد أشياء لا يمكن أن يفقدها . » (١٤)

أو رأى المشوه القاسي الشاب في « القامور والراهبة والراهير » :
« الذين أفنون الشعوب ... أما الآن فلك الانقضاء هو أفنون الشعوب . بالإضافة إلى الوطنية . فدا من الانقضاء الجنسي ؟ أليس ذلك أيضاً أفنون الشعوب ؟ على أن الشراب هو الأفنون الحاكم ، الأفنون الرائع . مع أن بعض الناس

يقضون الراديو ، الذي يعتبر أيقونة آخر للشعوب ... (١٥)

هناك أيضاً الدل المعجز في قصة « مكان تظلمت » الذي وصل .. « لا عجب شيئاً » ، وليس فيك شيء ، إذن فلا أحد معك .. « وهنا تصبح مواجهة الموت مواجهة اللاوعي » ، مواجهة السلاشي في الحياة : ان القصة الوحيدة الباقية هي الشجاعة « كما يرى ايها سالتياغو في « الشيع والجر » حين يقول : « من الممكن تدمير الانسان » ولكن ليس من الممكن قهره » . على أن هذه الشجاعة مشكوك فيها ، لأن الموت يقضيها ، في حين أن الأسباب التي تجعلها هي عادة أفيون الشعوب . هناك قصة قصيرة كتبها همنغواي قبل عام ١٩٣٣ وهي تعبر عن فلسفته في الحياة باعتصار تلك هي التجربة الفاضلة في الأسلوب ، التي تدعى « التاريخ الطبيعي للأموث » . انه يبدأ هذه القصة تحدث منك بارك عن القدسية التي « تقع نهاياتنا » ، فيذكر كيف أن الطقس ينهك في الصحراء ، ويرى زهرة صغيرة فيتساءل : « هل يمكن لذلك الذي خلق وسقى وانضج هذا الشيء الذي يلوح بغير أهمية » . هل يمكن له أن ينظر بلا اكتراث الى شقاء المخلوقات التي خلقها لمبدأ لصورته ؟ ويتشجع بهذا فيواصل سيره حتى يجد الماء . أما همنغواي فيتساءل : « هل يمكننا أن ندرس التاريخ الطبيعي دون أن يردنا اعتنا وحينا وأملنا ، تلك الأشياء التي نحتاج اليها كل واحد منا في سفره خلال مصاعب الحياة ؟ » هنا يرى إذن أي الحام يمكننا أن نتوخى من الأموات . (١٦)

وتصبح القصة بعد ذلك وصفاً ماعزاً للجناب الحزب ، فيذكر اليغفال المحطلة السقان في « أزمير » : « التي يدفعها الجنود لتغرق في المستنقعات ... « متبين رسماً آخر مثل كويبا لصورها ، بالرغم من التي اذا أردت أن أزداد ألوهم جرياً ، لا أستطيع أن ادعي بأنهم تمتوا حقاً حضور رسام مثل كويبا ، لأنه لم يكن هناك إلا كويبا واحد ، مات منذ زمن بعيد » ، ولأنه من المشكوك فيه أن هذه الخيوانات ، اذا كانت قادرة على الكلام ، سرغب في تمثيل تصوريي لورملتها ، وأما أراما على الأكثر متدعو أحداً لبرحها وينقلها من عذابها . (١٧)

واعتبر كل النادج التي يختارها همنغواي « لحقل ملاحظاته » عتيقة ودموية : « ان أول ما تجده عن الأموات هو أنهم يموتون كالحوانات حين يصعبهم صدمة سريعة كافية . اني لا أعرف ذلك بصورة أكيدة ، إلا أنني أستطيع أن أقول أن معظم البشر يموتون كالحوانات ، لا كالشعر (١٨) » . أنا في معرض الموت الطبيعي ، فانه يقول : « اني أريد أن أرى الموت كل من يدعي بأنه انساني » ، لأرى الوجود التيل الذي يدعي به . ان « التاريخ الطبيعي للأموات » تعتبر أوفج الأمثلة على وجودية همنغواي ، اما ان عبارة « معظم الناس يموتون كالحوانات » ، لا كالشر ، هي جوابه على ادعاء انساني بكامل الانسان . انه لا يستطيع أن يؤمن بالرب الذي يدعو اليه الأسع بتلر وباليه في دعاوهم ، لأن هذه الفكرة تلوح تحيلة الى جانب صفات الوجود الحشة : ان اقرب عباراته الى المثل الأعلى الذي هي « يجب أن نجد أشياء لا يمكن أن يفقدنا » ، على أنه سرعان ما يرجع عن هذا حين يقول « ليس هناك شيء لا يمكن فقدانه » ، وهذا لا يعني ان الحياة عديمة القيمة ، بل بالعكس ، ان الحياة هي الأمر الوحيد الذي له قيمة ، في حين أن الافكار هي التي لا قيمة لها .

أرجح ان مساهمة همنغواي في مشكلة اللاوعي مليئة ، إلا ان الفحص الدقيق وربما فيه عدة صفات إيجابية . هناك الأمثلة ، والحب الشديد للأشياء الطبيعية ، والروح فعيمة الأولى بصورة خاصة دراسة لخاصية ، وغالباً ما يجد القارئ نفسه فيها غطلقاً بالدهاء ونائر ، حيث أنه يشعر بأن هذا البحث لا يد سيقوده الى شيء ما . إلا أن هذا يتلاشى في كتاباته بعد عام ١٩٣٠ ، أي في الوقت الذي بدأ فيه نجاحه الاقتصادي حين صار شخصية عامة وشيئاً مسرّ اسطورة . كان يتغلب من روح التفصيل وعدم المبالاة باللفة أو الألم التي تلوح في وداع السلاح ، أن تعود الى شيء . إلا أنهم يفعل ذلك ، ولم تعد تحس : في قصص ما بعد سنة ١٩٢٩ ، كما كما تحس به من روح في حضرة همنغواي كصفان عظيم ، كما

أن همنغواي نفسه ، المفكر الذي كان قد قرأ كل غريب غطفت الأشياء واختار منها
جواهر اعتقاده ، يلوح وكأنه قد انقضت تماماً .

قد لا يكون بصيبي في لومنا همنغواي على تأثره ببنجاحه . فإن المشكلة
صعبة جداً . ولا يقول سارتر في « الوجود والعدم » الا قليلاً عما قاله همنغواي
في « وداع للسلاح » ، ولهذا فإن سارتر باعتبار أسلحته العقلية القوية ، فشل
في إيجاد موقف أخلاقي . إن فلسفته الخاصة « بالسلم » والقائلة بأنه ما دامت
الطرق كلها ستقود الى اللامكان ، فإنه لا بهم أي الطرق تختار لتلقي فيه بشاشتنا
وفعاليتنا . كانت هذه الفلسفة قد سبقها اكتشاف هنري بطل قصة همنغواي ،
أن الشعور باللاحتمالية يغطي لديه خلافاً يجد نفسه بخارفاً في الحرب .

على أننا إذا قلنا كما هو همنغواي سارتر ، لا نجد ما على ما هو عليه من
فكر قاطع . إن كامو يتوسع أكثر في « أسطورة سيسيف » في الأشياء التي قالها
في نهاية « الغريب » ، ويستنتج أن الحرية يمكن أن تكون مواجهة الموت ،
يستطيع أن يعرفها المتحرر أو المحكوم عليه بالأعدام ، أما بالنسبة الى الخبي
الفعال فإنها مستحيلة . وهو يدرس في « ثورة الإنسان » حالة هذه الثورة
ضد المجتمع لدى أشخاص مثل دوساد وبابرون ، ثم يخصص محاولات
تختلف الفلسفات العقلية الاجتماعية التي قامت بالبحث عن المثل الأعلى للحرية
التي يشهد مثل هذا التأثر . ولهذا فإنه يلوح مستحيلاً أن تقبل بعد « الغريب »
و « أسطورة سيسيف » أي جواب أخلاقي لمشكلة حرية الإنسان . إن كامو
يراجع هذا الاستنتاج في نهاية « ثورة الإنسان » ويصطدم بنفس مع سارتر
الذي قادت نظريته في « السلم » أو الارتباط الى اعتناق شبيهة عمودية ،
وهكذا يلعب كل منها في طريق غطفت ، بعد أن كانا رفيقين في الوجودية .
أما همنغواي ، فإنه لم يفكر في جواب أخلاقي ، أو في الحقيقة ، بأي
جواب عدا ما يخص فلسفته القريبة من التسلسل بالفضيلة ، وعدم الاكتراث
بالله أو الأمم ، وكان ذلك هو الأمر الوحيد الذي شكاه منه القراء الماركسيون
عند همنغواي .

لقد أوضحنا إذن كيف أن مشكلة الحرية ليست مشكلة أخلاقية . ومن
الممكن أن تعتبر مشكلة لامشي باربوس مشكلة عدم اتفاق أخلاقي .
ومن الممكن أيضاً اعتبار كرامن ويلز قضية محال نفسي ، غير أن مشكلة
« الثوران » تفت صامدة أمام أي هجوم ، عدا الهجوم الذي يستخدم الثقة
الماركسيكية . في حين إن كامو وهمنغواي يميلان الى الأشياء إذا استخدمنا
معها اللغة الأدبية المخلوقة . على أن هنا أمر مشترك الى نهاية هذا الفصل ،
انعود الآن الى مواصلة بحثنا عن : الحرية واللاحتمالية .

الحرية تعني حرية الإرادة ، وهذا أمر واضح في الكلمة ذاتها . إلا أن هذه
الإرادة لا تستطيع أن تعمل إلا حين يكون هناك دافع ، فإما لم يكن هناك
دافع ، لم يكن هناك إرادة . تحت أن الدافع ينشأ عن الاعتقاد ، فإما لم يكن
شيئاً ما لم تعتقد بأنه ممكن وذو معنى . ويجب أن يكون هذا الاعتقاد اعتقاداً في
« شيء » ، أي أن هذا الاعتقاد يعني عما هو حقيقي . وعليه فإن الحرية تعتمد
على الحقيقي . أما معنى اللاحتمالية لدى اللامشي فإنه يرى حريته من
« لا شيء » ، فوجد أن ممارسته لهذه الحرية مستحيلة في عالم لا حقيقي ،
كاستحالة القفز حين يكون المرء في حالة السقوط الى أسفل .

والتوسع في الحالة التي يفهمها لنا شكل من كامو وهمنغواي فيما يخص
الحرية الإنسانية . وهنا يجب علينا أن نعود الى مسرحية ظهرت لخارلي
الرائيل ياركر عام ١٩٢٠ ، هي « الحياة السرية » ، فإذا اقتبسنا الفقرة
التالية من « تاريخ كامبرج » للوزير للأدب الانكليزي « لجورج سامبسون » ،
قالا سندرك مدى أهميتها في تلك المرحلة :

« الحياة السرية » : مسرحية بحيرة مريكة من مسرحيات ما بعد الحرب ،
أولها العالم العقلي متقلصاً الى روحية « هيلسية » ، ولا شيء فيها من التركيز
الدراماتيكي ، وإنما يلعب الأشخاص فيها ويأبون فقط ، ويلوح الحب فيها
شيئاً لا دفاع فيه ، شيئاً لا أمة فيه ولا منع ، أما الحوار فهو عبارة مسرحي
اعرابي ، ونارة أخرى فلسفي حبر ، كما لو كان المشككون لا يكونون دائماً

يلفهمهم إلى الكلام أكثر من برعيتهم في سؤال الألغاز التي لا يمكن أن
تحل . ولا يظن أن كتاباً آخر استطاع أن يوحى بالأفلاسي الروسي الذي
سببه الحرب كهذا الكتاب . (٢٩٩)

تهنئ هذه المسرحية على سياسة حزب الاحرار لما بعد الحرب .
ويتركز الاهتمام فيها على شخصين رئيسيين ، هما ايفان ستراود ، وهو
سياسي قديم ، في منتصف العمر ، وابنه اوليفر كوفيليت ، الذي عاد من
الحرب ناقصاً إحدى ذراعيه . أما هيكل المسرحية فابيضاحه سهل . فقد
كان ستراود يشغل بالسياسة قبل الحرب ، إلا أنه تقاضى مع رئيس الحزب
واستقال . أما الآن فإن الحزب يريد أن يعزله .

أما اوليفر ، فإنه يعود من الحرب مشوهاً ويذهب إلى المدينة بحثاً عن عمل ،
ويقض عليه بتهمة الفوضى ، ويسرد ذلك لأنه خلصه من نقابات المدينة .
إن الأمر الوحيد الذي يجبره هو ايفان ستراود ، ولا يعرف اوليفر في بداية
المسرحية أن ستراود هو أبوه . كان اوليفر يتظلم من عقوبة ستراود
الجارية وإرادته القوية أن تكون سبباً في نجاحه في حقل ما . ويزيد اوليفر
أن يعرف لماذا فشل ستراود .

تبدأ المسرحية بمشهد غريب في بيت ستراود ، الذي يقع على ساحل البحر ،
حيث يقعد ستراود وجهاة من رفقاء السابقين في المبرمة ، يجتمعون بكون تريستان
وايسلوت ، جل البائس ، ويستهون من الغناء ثم يتحدثون عن ذكرياتهم في أيام
الصبا ، حين بدأ سالومونز بالحديث عن عقيدته كسياسي عملي .

وسالومونز : لن تستطيع أن تنظم ما ليك إذا لم تشترك في حزب صليبية .
لا تدع السن والدين والوطنية تهتك ولو للحققة واحدة بألك تنهي أكثر
ما تفعل ، وأما فقد بجانب القفس ، حيث يتلجج الأبر مبلغ رمي الانبياء
بالخيانة . والآن يجب أني انصرف .

البائس - قبل أن نحصل على جواب ؟

سالومونز - ليست الاجوبة الا أصداء . (٣٠٠)

وحتى . جوان كوستي . التي كانت ستراود يحياها منذ زمن بعيد قبل
التي كتبت بالثقة إليه أومح أوراك اليقين حقه في كل شيء .

جوان - يجب علي أن أقول للسنو الآن ، كما فعلت أوراك من أجل الحزب ،
في ذلك يعني كيف انصرف في البؤس الحاجة . (٣٠١)

في مشاهد والديها في الحرب ، وكانت النار قد التهمت بينها
وكانت قد . أنها تنكي . معلقة إلى البحر بها يرحل الصيوق ،
والذي في الداخل لوانت الفصل الثاني من تريستان - ثلاث المشاهد
أصابع . بعد تخطيط السارة على المشهد الأول .

جميعه دون المسرحية ثلاثة من الترتيب المسرحي تجعلها غير مألوفة
الجمهور إلا أن هناك بعض الأساليب التي تتفق الإقتباس . هناك أيضاً
تأثير على في بيت ستراود وجوان حين تكون شقيقة ستراود في لندن ، إذ أنها
تتحدث عنها بألمة دماً . وتضمنان عزلة طهراتها القادمة ، وتعرف جوان بأنها
المرأة المحببة ستراود ، هي أنها تنصرف على أومح كلاً على حق في انقباضها إلى
البحر . فأنها لو فعلاً ذلك لأغيب على جهاة . بل لتناولها ذلك . وتساو بعد
ذلك جوان قصة الذي حذر اوليفر . إذ لم ينجح ؟ لهذا لا يتبع الآن بالثقة
بالأمر . ذلك الشيفين المعبرين . أما جوان فعل ذلك فليس هو هو المسرحية .

وسالومونز - حتى من جيلهم شيطنة . فإذ كانت أكثر في يوم ما
والتي الشجيرة على ذلك . فلو ما في عالمي . إلا أن تلك القصة لم
تسبب أي شيء .

جوان - حتى . فإذ لتابع حسد ويقول .

أومح - كما يظن نفسه من معارضة الاستمارة . هناك الكثير من
الأمور . التي يشهد قائلها الأعداء بالامور . الذين يطلب عليهم
الظهور . والذين ينفون ويقطعون الصغيرة ماذا سمعتم . وماذا عن
الذين . فإذ أن سمعوا أو ينادون عليها . فوجدت أنها شديدة .

أوليفر : دجينا من ذكر هؤلاء الناس المزعجين الذين يهتفون عند الحرب قائلاً أنا تحتاج إلى حرب خفيفة .

جوان : وأين هو العدو ؟

أوليفر : لو كنت أعلم أين هو لما حصلت هناك بالأساء غير أنا نحتاج بسهولة . (٢٦)

والرغم من ذلك فإنه ما يزال يحتفظ بضم أفكار معينة : الشجاعة والنظام . وتساءله جوان : ألا قل لي كيف يكره المرء الناس ؟ فيجيبها قائلاً : لا أظن أنني أعلم .

أوليفر : أنك لا تستطيعين أن تحبي الغوغاء ، أليس كذلك ؟ أنك ان فعلت ذلك صرت مثلهم . ثائرة متافكة متعجبة - سكيرة إذا شئت . أما أنا فقد تعلمت كيف أكون خفيفاً إلى الجسد الذي يجعلني أكرههم . هناك نظام في الفردوس . . . (٢٧)

هذه ذهن أوليفر وسراود بضمها في شكل نظام . وأدركت أنه الإنسان إذا كان بلا ريب ، إلا أنها مع ذلك يبدو كأنه لا الإيمان بالله هو نوع من الإيمان . ذلك لأن الوجودي يجب أن يرى ، وليس الجدل ، لا لأنه يقبل على عقله .

ولست مشكلة سراود ديمائكية . ولا يستطيع أحد أن يستخلص منها شيئاً من الأثارة - جعلها تتحقق الظهور على المسرح ، على أن كرتين . أذكر أوتنجر لنا المشكلة في هاتين الحاديتين أيضاً تماماً . ولم يعد علاقة إلى خلق مواقف جديدة ليرينا أوليفر وسراود شخصين جملتان تعلم كل الاختيار ، وأما يربنا سراود مشغولاً بعملية التصويت الانتخابي ، يساعد في ذلك أوليفر باعتباره مسكر ترو الخاضع ، بينما يرى جوان ويستيري وهي على شفا الموت في أوجها . إن هذا يضطر سراود إلى ترك هذه الانتخابية في كل شيء ومن أجل استعادة المعنى الرمزي التي كان قد وجد يوماً ما . أنه يترك لتدين في مساء يوم الانتخاب ، تير : أن جوان ويستيري توت قبل أن يعمل إلى مائة مائة . وهذا

الذي تفتنه خائراً وسط كل هذا ، ذلك لأنه لا يجد نهاية مارة ، لا خطاً مسرحياً للحادث المصنوع .

وبعيد المشهد الأخير من المسرحية أصله المشهد الأول ، إذ يتحدث أوليفر على رجل سراود إلى المبلولير اللورد كلوميرير الذي يمكن أن يعتبر مثلاً على السوادح القادي . في الحياة ، مثل حاله لوثر ، غير أنه فلسفة ليست ملدبة إلى هذا الحد . فهو مثالي غامض ، عجيب ، إلى جانب كونه رجل أعمال ناجحاً .

أولوميرير : أتم أظن أنكم حاد الصديق والعضلة : حسناً ، نعال وود .

عمل الذي تطلع فيه أقلام اليوم . وحاول أن تجد ما إذا كان ذلك صحيحاً .

أوليفر : لو زوت معك من يعني غير الأقلام ، الأقلام وحدها ، ولا شيء غير الأقلام .

أولوميرير : لي تخيلني بشيء المثل ، أكرهني أنا لو أردنا أن نصنع شئ خفيف عبارة فعلن ذلك بواسطة الدين ؟

أوليفر : هل أنت شيطان إذن ؟ يا سيدي اللورد ، تحول أزواج الشر إلى وشات الألام ؟

أولوميرير : أوجه ألا يكون ذلك صحيحاً ؟ يا منو كاوليت ؟

أوليفر : لو كنت كذلك . فاني أوجهك أن تدلي إلى الطريق لأخرجك من هنا . (٢٨)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٢٩)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٣٠)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٣١)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٣٢)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٣٣)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٣٤)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٣٥)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٣٦)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٣٧)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٣٨)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٣٩)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٤٠)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٤١)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٤٢)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٤٣)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٤٤)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٤٥)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٤٦)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٤٧)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٤٨)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٤٩)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٥٠)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٥١)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٥٢)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٥٣)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٥٤)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٥٥)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٥٦)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٥٧)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٥٨)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٥٩)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٦٠)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٦١)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٦٢)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٦٣)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٦٤)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٦٥)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٦٦)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٦٧)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٦٨)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٦٩)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٧٠)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٧١)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٧٢)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٧٣)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٧٤)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٧٥)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٧٦)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٧٧)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٧٨)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٧٩)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٨٠)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٨١)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٨٢)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٨٣)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٨٤)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٨٥)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٨٦)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٨٧)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٨٨)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٨٩)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٩٠)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٩١)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٩٢)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٩٣)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٩٤)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٩٥)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٩٦)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٩٧)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٩٨)

أوليفر : أوجهك من هنا . (٩٩)

أوليفر : أوجهك من هنا . (١٠٠)

سوزان : هذا هو مكانه الوحيد .

اوليفر : لو عاد هو او غيره ، ودخز الأغلبية المتهاة منا

سوزان : لماذا لم تتزوجيه جوان ؟ لو كانت فعلت ذلك لئلا يعض

السعادة على الأقل ، ولساعد ذلك كثيراً ..

اوليفر : (كمن يملك مجهوداً آخر) انك تماليني لماذا لا تحقق الحياة

التيهايات السارة والناجح الجميلة .. لم تتضح لك الأمور بعد لظهي ؟

سوزان : لا تتخز بي ثالية يا اوليفر .

اوليفر : انني آسف .. لقد فعلت ذلك لأنني اعتشك . (٢٩)

لما خاتمة المسرحية فانها لا تلوح خاتمة حقيقية جمال من الاسواق :

سوزان : الا تريد ان ترتفع وسط هؤلاء الاموات ؟

اوليفر : كلا ..

سوزان : ستكون كذلك ، بطريقة ما ..

اوليفر : ايدعشك ان تعلني انني اعتشك يا سوزان ؟ (يخرج) (٣٠)

لا ابل هناك في بيت احد من عالم الاموات : لأن ذلك يعني وجود ذوافع

جديدة وآمال جديدة .. بل ايمان جديد . لقد استعملت في بداية هذا

الفصل عبارة « اللغة الدينية » ، وقد حان الوقت لشرح هذه العبارة . ان سترود

يسأل اوليفر في بداية الفصل الثالث ان يتأكد له من صحة إحدى العبارات المقبولة .

« سترود : هلا اعطيني الانجيل ؟ انني اريد ان ألوح شيئاً .. اظن

انها موجودة في ...

اوليفر : ما هي العبارة ؟

سترود : يا إلهي ، خذ حياتي لأنني لست افضل من آتاني . أليس ذلك

اقرب الى التضدية وخيبة الأمل الحديثة من جانب إيليا ؟ ترى لماذا يفرض

انه موجود ؟ (٣١)

تلك هي المشكلة ، فان سترود أيضاً يفرض انه موجود ، ويتأكد ان يفعل

اوليفر .. ولحم انهما لا يفعلان ذلك صراحة ، وهنالك رغبة عند كل الامتين

في « التقدم » ، الا ان سترود يدرك ادراكاً أكثر عما يجب ان ذلك التقدم

المعروف ليس تقدماً اجتماعياً . « ليس أفضل من آتاني » - أي أنه ليس احكم

نهم ولا أقل ثقافة ، ما دام خاضعاً لتواشي الضعف والحاجات نفسها ، تلك

التي خضعوا لها . وما يزال الانسان عبداً لحيطه المباشر ، تماماً كما كان آباءه

الذين عاشوا في الاكواح البدائية . أعطاه أعلى درجات الفكر وأسمى ما وصل

إليه العقل فيما يخص مكان الانسان في الكون ومعنى التاريخ . ويستجد أن ذلك

تلك يصح حياة لديه اذا كان جائعاً ، أو متضايقاً من صراخ أحد الاطفال في

الأم . يس . انه مرتبط بالضعف . وعسى سترود واوليفر بهذا كله ، الا ان احساسها

هذا ليس قوياً بما يكفي ليحطها مبالين الى القيام بمحاولة في هذا الصدد . انه

الضعف الانساني ، ونحن نقول حواء سترود في نهاية الفصل الثاني لأنها لا

تستطيع أن تتزوج . نرى سترود يتسم وحده : « رحمتك يا إلهي ، يا من

أعطى المخلوقات لتقاضي دون ان تفهم لماذا . » (٣٢)

انه لا يقضي الله ، وإنما يبدى استغرابه من الألم الذي يحس به ، ومن نقطة

الضعف جزء الضعف الانساني . ان قصة هنتغواي التي تدور على الضابط

الذي لموت زوجته هي في الحقيقة تأمل طويل في هذا الضعف ، ونحن نعلم ان

مطل هذا التأمل لا يقود الا الى التفكير الديني . وكذلك يفعل هنتغواي حين يقول :

« ... ان بعد شيئاً لا يمكن أن يفقده . » ويقود هذا بالتالي الى تفكير نوع من

الاحاطة التي لا يتركز على النظام ونذ التواضع . انه يقود الى ادراك أن الانسان

ليس كائنات ثابتة تغير . يتبدل .. انه شخص ما في يوم ما ، وهو شخص آخر في

يوم آخر . انه يسى بسهولة ، ويعيش في لحظة ، ونافراً ما يمارس قوة الإرادة

وحسن اذا فعل فانه يستسلم بسرعة اذا انه يشي حيلة الاصل ويتحول عنه

الى هدف آخر . ولا يحب اذا احس الشراء مثل هذا البأس حين يلوح لهم

يوم غداً . على الشعور حالة من الادراك أشد عمقا ، ان يعطون مباشرة أنهم

لا يستطيعون ان يفكروا شيئاً للحصول مثل هذه الحالة . وتقولنا هذه الفكرة

المسيرة في أعمال جوارو وكامو . وهنتغواي . والواضحة في أعمال ككتاب مثل

من الموت . ولكنهم يمكنهم . الى السؤال التالي : وكيف يستطيع
الإنسان أن يتصور الموت ؟ كيف يستطيع أن يتقبل من عبوديته ظروف لا
تلك أفعال يمكنها خالية من النتائج علواً مطلقاً . لأنه يلوح أنه يعتقد
بالله . لا يستطيع أن يفعل شيئاً في هذا الصدد .

على أننا لنأخذ في مركز يسمح لنا بتفحص هذا السؤال ومناقشته ذلك أن
نرى مفهوم الشعراء لهذه المشكلة . أي المفهوم الرومانسي . وأن نحاول أن
نعرف ان أية درجة يمكن تطوير هذا المفهوم لتوسع نطاقه . ولهذا فإن شعراء
المشكلة محاولة السيطرة إنما يعتمد على الملاحظات التي تظهر في العمل القادم .

الفصل الثالث

اللا متعني الرومانسي

إن عظيم اللا متعني الوجودي كبريه جيداً . أن هؤلاء الناس مقيتون ، ضد
الحياة . لأنهم يجلسون في غرفهم ، يميزون من الدوافع ، يظنون أنه ليس هناك
دور ميتة معقول . تفعل شيء آخر . أن هذا العالم المجرد من القيم . هو عالم بالغبين
في الساحة . في حين أن عالم الطفل أقدس وأن جوده فواح . بالأمل . ويلوح عذون
أنه في عيش الميلاد وكأنه غلام جديد ، إلا أن اللا متعني مريض الزوج ،
أن خلفه العالم الجديد إنما يبعث على الرعب ، لأنه يمثل بالنسبة إليه آية
عالم الخفاء . ويكتسبه الشبهة تشعب خطوط الاستبطانة . والذي يلوح
وأنه يقف به دون الخبرة .

هذا الفرق بين عالم الطفل ، عالم البالغ هو في الوقت نفسه أحد الفروق
التي تميز بين عالم القرن التاسع عشر . عالم القرن العشرين . وقد لاحظ أن الفروقات
التي تميز بين عالم القرن التاسع عشر . أي مثل ج . م . مل وجاكسون وهاينز
والتي تميز بين عالم القرن العشرين . أي مثل ج . م . مل وجاكسون وهاينز
والتي تميز بين عالم القرن العشرين . أي مثل ج . م . مل وجاكسون وهاينز
والتي تميز بين عالم القرن العشرين . أي مثل ج . م . مل وجاكسون وهاينز

بعض بنا ، نحن الذين عاصرنا حربين عالميتين ، ونعيش في زمن القنبلة الذرية ، أن نتذكر اننا كالبالغين الذين يلومون أطفالاً . ولم تكن استدلالية القرنين الثامن عشر والتاسع عشر عديمة الجدوى ، او حالة مزعجة من حالات العقل ، وانما كانت فترة نقالية لا علة فيها ، نقالية لم يجهد نفسها كثيراً ، ولم تنهض في منطلقها بعيداً ، لانها شعرت بالحيرة شعوراً لم يتوفر لها من قبل ، بل كثيراً ما شوهد حكماء العصر الفيكتوري وهم يرقصون ويهتفون في منازلهم .

ونجد ان اللامنتهي في مثل هذه الاحوال هو ذلك الشخص الذي لا يغفل الى هذا الحواس . وقد يكون ذلك لأنه لم يستطع ان يدرك مقدماً ان تلك الطوباوية التي كانت ستؤسس قبل نهاية القرن ستكون حقيقة واقعة . وعلى كل حال ، فقد كان يعتبر طفلاً في عصره لأنه كان يستمد مقوماته من الارض . انه لا يستطيع ان يكون متشاكساً تهلياً مثل سارتر وكامو في عصر كان الفلاسفة فيه يشبهون رعاة البقر (الكادوبز) حين يقومون بلعبة من ألعابهم . ولم يستطع أن يعتقد بأن الخطأ كامن في الطبيعة الانسانية لان البحث العقلي كان قد نفى ذلك ، بالإضافة الى قبحه كل ما كان شائعاً من العقائد الخاطئة كمفيدة الخطيئة الاولى مثلاً . كان عليه ان يعتقد بأن الخطأ كامن فيه هو ، وليس فيه الطبيعة الانسانية التي ادعت الفلسفات التي كانت غالبة على ذلك العصر بإمكانية ابتلاعها الكمال . تبع ذلك ان اعتبر اللامنتهي انساناً . وليس من هذا العالم ، فاذا مات شاباً مثل شيلي او كان مريضاً مثله نوباليس وشيلر ، او مديناً على المخدرات مثله كولبرج ، فان ذلك كله شيء من الطبيعي أن يحدث له ، ولم يبق له . لكي يشفي معنى من الاحترام على حياته ، الا أن يدعي بأنه مثالي اولاديني حالم . في حين كان البرجوازي يقره على حقه في الحياة . فكان لهذا اللامنتهي مكان في هذا المجتمع باعتباره حلاً غير عملي . ذلك هو الموقف الذي تجده في بداية القرن الماضي في أوروبا . وقد اختراع تجزئته هذا اللامنتهي الخيالي في نفسه «آلام فراتر» . حيث ترى فراتر من ذلك التوجع من الشعراء الشبان المتعاقبين المتألمين الشاحين ، والرجال في وقت واحد ، في حين نجد أن الغاشق الذي

بالبه الاسمي كان يختز في القرن الثامن عشر شخصية خولية :

« يستطيع الوجه الشاحب أن يثير عطفها ؟ »

اذا فشل الوجه المستلهم صحتة في أن يفعل ذلك ؟ » (١)

الا أن فراتر الشاب لا يأتي بوجه شاحب ، وانما يقلب شاحب . وثبتت ذلك « اللصوص » و « دون كارلوس » « شيلر » . ويضع نيتشه على لسان احد المعكرين القول التالي : « لو علم الله بقصة « اللصوص » لما خلق العالم ، أجل ان هذه القصة ترفع من القيم الانسانية وتفي بوجود المقدس الى هذا الحد . كذلك فعل نوباليس ، العالم الرومانسي ، الذي خلق هايبريخ فون أوفتر ولكن ، الشاعر الذي قدر له منذ يوم مولده مستقبل عظيم في الشعر . وانتقلت الرومانسية الالمانية الى الكفرا حيث ترجم كولبرج أعمال شيلر ونشر بايرونا ، وشيلر هارولد » . أما « آليستور » شيلي فهو شاب يذوب شوقاً ، أمي لأنه لا يستطيع أن يجد في هذه الارض فتاة تشبه تلك الفتاة التي عاينته مرة في حلم من أحلامه . ان هذا الحلم نفسه يوحى الى هايبريخ فون أوفتر « نحن بطريق مستقبله : « وعلى مبعدة لاجت صخور ضيائية زرقاء تسطع على جوانبها عزوق اللعب وكان ما حوله يفيض بالقضاء الهادي الجليل ، في حين كانت السماء فوقه صافية الأديم » . (٢)

ويكتب ولم موديس بعد نصف قرن من ذلك عن رؤيا طوباوية الاجتماعية ، فيقول فيها في حلم جون بول : « قائلان ان اللامنتهي الرومانسي « يحلم بعوالم جديدة » . انه ليس فعلاً . لا لليب الذي وجدناه في حالة ابقان ستراند ، وانما لأنه حالم بطبيعته ولأنه « المعني الحامل في يوم من أيام الفراغ » . ونستطيع أن نشعر بين « فراتر » و « توليو كروجر » « لوماس مان » . انه يعتبر أبياً اطفالاً بأرويس « رجل ثقب الحائط » . وروكانان وميرسول . ان القرن العشرين ، ان يقدمه اليها بطريقة جديدة ، انما يشعر بالحاجة الى وقعة في عيطه الحاسر به ، ولما تصبح معالجة هذه الصكرة أكثر دقة وتحليل . حيث تحتفي

الفلل وكهوف الجبال من المشهد، ليرى بطل باوبوس في غرفته في مدينة حديثة، إلا أنه ما يزال رومانسياً، كما أنه ما يزال مشغولاً بفكرة أن عبقته بلوح غير قابل لاشباع رغباته. إنه يخشى ألا يكون العالم مخلوقاً لمواجهة متطلبات الروحانية البشرية. وهو يلوح اليوم متزعجاً خائفاً، ويخشى أن يموت وهو مترنح غيب، لا يملك شيئاً عدا الفلذل من التجارب التي تشبع جزءاً قليلاً من رغباته لتخفزه غل النهوض من فراشه في الصباح.

ولستطيع أن نلاحظ التبدل الذي حصل في تقديم مشكلة اللامتنعي الذي كاتب مثل جيمس جويس، الذي احتفظ لنفسه بوضع قدم في قضيتي الواقعي الرومانسي والواقعي الاجتماعي، ذلك أن إقناته «ستيفن ديدالوس» يبدأ حياته باعتباره نعداً ليكون شاعراً :

«ضايقة صراخ الأطفال وهم يلعبون، وجعله أصواتهم الحفقاء يشعر بأنه يختلف عن غيره من الأطفال، ولم يكن راعياً في القلب، وإنما كان يريد أن يلقي في هذا العالم بالصورة المعنوية التي يحفظ بها في ذهنه دائماً، ولم يستطع أن يعرف أين يجدها أو كيف.» (٣)

ويكتب جويس قائلاً :

«لقد دفعه ذلك الاضطراب في المساء إلى التجوال بين الخنادق عميقاً عن مرسيدس (بطله قصة دوماس - الكونت دي مونت كريستو)، وملاً نفسه بدم رضى غامض حين نظر إلى أروصفة السفن وإلى النهر والاقصى، إلا أنه استمر في تجواله هنا وهناك، يوماً بعد الآخر، وكأنه كان يبحث حقاً عن الشيء الذي حازه...»

يشبه هذا الأسلوب أسلوب مايروس الايقوري في إيقاعه، وهو يعمل طابع التزم المقاتليسي لأن الكاتب يعتمد فيه أن يوحى بما يشبه جو الاختلاص. ويجد عكس هذا الأسلوب تماماً في صفحات «الملاحظات» : «ويصلر صوت كبريه عن التلبية السبح الذي كان يجلس على درجات السلم السفلى، فالتفت إليه ذكسون قائلاً: بفسوت رقيق :

— هل تكلم أحد الملائكة ؟

والتفت كراولي أيضاً، وقال بعنف ولكن بدون غضب :

— كوكانس، هل تعلم أنك أقدر الشياطين الذين رأيتهم في حياتي ؟ (٤)

إن المخططين الأول والثاني هما أسلوب «معن حامل في يوم من أيام الفراغ» ، أما المقطع الثالث فتشتمل فيه رغبة عنيفة في «التمسك بالحقيقة بدلاً عن الخيال» ولم تكن كتابة مثل هذا الأسلوب ممكنة قبل عام ١٩٢٠. ويمثل هذان الأسلوبان نموذجين لفهم اللامتنعي الواقعي الذي بحثناه في الفصلين السابقين وفهمهم اللامتنعي الرومانسي :

إن الفرق بين هذين الأسلوبين كبير جداً، إذ بينما يسأل الواقعي : «الحقيقة ؟ ترى ماذا يعنون بها؟» لا يحلم الرومانسي بمثل هذا السؤال، وإنما يقول : «أين أستطيع أن أجد الحقيقة ؟» وهو لا يشك في : (٥) كما جاء في كلمات شاعر آخر بدأ حياته لامتنعياً رومانسياً :

«إن ما تبحث عنه مليون شقة في هذا العالم

لا بد موجود في مكان ما...»

ونجد هنا أنه قد حل محل السلوك الوجودي نوع آخر هو سلوك المثالي الاعطالوني، الذي يبحث عن الفكرة (الصورة المعنوية التي تراها روحه دائماً) : إن ما نرى كما نراه في «الغيثان» لا يتصور جويس كما نراه في «صورة الصان شام» مطلقاً، كما أن دعوة ميني إلى «أن أصنع في مصنع روحي صغير لي خبسي للاخلاق» لا تمكن أن يفت إلى جانب الاعتقاد بأنه «لا مقابلة هناك» على أنه إذا كان مفهومنا صحيحاً فإن اللامتنعين الواقعي والرومانسي يشبه كان في الأمر عام، ذلك لأننا نفترض أن الإنسان يصبح لامتنعياً حين يعيش في أدراكه بضعة أسئلة دعوناها (بمحاكاة اللامتنعي) : «إن الغرض من هذا الفصل هو معرفة مشاكل اللامتنعي كما يعبر عنها اللامتنعي الرومانسي، ولهذا فإنه يتفكر في الذكر أي واحد من الشعراء أو كتاب القصة الرومانسيين، فتجد

ويغير هينس يقبل حقيقته ، وثريته قصصه عن التاريخ الشخصي ، التي تبدأ ، بهرمان لودويج ، عام ١٩٠٢ كم كان تأثره بحرية عظمى ، حينئذ ، الطريق الوسط ، التي ظهرت في عام ١٩١٦ فهي آخر ما في تلك السلسلة ، وانقطع حين بعد ذلك لمدة ثلاثة أعوام ، ثمك في خلاف نظره ان الأمور تتبدل كثيراً ، ذلك أن شغفه وقيل الخفايا ، والتدافع تلكا ، مست كلها طويلاً غلباً في دمه دفعه الى الاعتقاد بأنه يجب أن يجد النظر في الحالة السابقة ، فاستكشف ان كل تلك الاعمال كانت عديمة القيمة ، ولما تلك شيئاً من التفاصيل عن هذه الفترة ، غير انه حين عاد هينس الى الطريق في العالم الاسمي من جديد بقصة « صبيان » انتصحت نتائج كل المحاولات التي بذل في الاصلاح وإعادة البناء ، ولاحت الدراسة النفسية في هذه الحقبة أشد تطلعا ووعوداً ، كما لاح تخصصه للقيم التي عفاً ما كان عليه من قبل ، واعتبر « صبيان » نموذجاً لقوة هذا الكتاب الرائعة على مضادة الزمان المعني الذي عاينه ، مما جعلها تستحق ان تقارن بعودة من تدبرك المائدة بعد الفترة التي فصلها جيولوجياً ، وعليه فان « صبيان » والقصاص الأربع التي تلحقها تستحق منا تحليلاً شاملاً .

ولكن ، قبل أن نبدأ بهذا التحليل ، يجب علينا أن لا نجهل عملاً آخر من أعماله كتبه قبل الحرب ، ذلك هو الكراس الصغير الذي يشبه « العقل في منتهى حدود » الاخائي ، لويلر ، في حجمه والتي يدعى « نظرة في القومى » ويحتوي هذا الكراس على مطلق عن دوستوفسكي ، لولها عن الاخوة كارامازوف والثاني من « الاخوة » . وبينما هينس حين ينشور الاعمال ، وقصص الاخلاق في أوروبا ، الثابتين ذكرناهما عند بحثنا تكاملاً وطاراً ، (انه رفض لكل خلق قويم وفصيل أصيلة من أجل بلوغ دمه وشأنه) . وقد تنبأ هينس بظهور الفكر الروسي ، الحطوف الكابوسي الذي لا يعود انساناً ذاتي التفكير ، وانما هو غلاف وجودي ، نفس كل الفكر ، أو ميلاً كارامازوف بدون ايذان أو إثباتاً إيقاظاً مغايرين له .

ان يطلو وراء كل الحدود النفسية وراء النظرة الطبيعية وراء

الاعمال ، انه الانسان الذي يقبض على فكرة تحرير نفسه ، ومن جانب آخر علمه وراء المودة غالية وراء الفجاء ، وراء الشخصية الفردية . ان انسان آل كذا ، لا يجب ان لا يحب شيئاً ، ولكنه يحب كل شيء ، انه شيء ، بلاني ، ان روسي غلافى ، وهو لا يستطيع أن يعتبر في شكله هذا انساناً حياً ، وانما يستطيع فقط أن يقضي هذه الحياة . . . (٩)

هذا « صبيان » ، فمحاولة بناء نظام من القيم لا يمكن ان يكون تحت يد الشخص الروسي . . . ان « صبيان » بعنوانها الثاني (قصة شاب) تدور ان حد ما « صورة الفنان شاباً » . ويقول اميل منكوف ، الذي يكتب حين هذه القصة عن حياته ، في المقدمة ما يلي :

« انه حياة الانسان في طريقه الى نفسه . . . ولم يحصل انسان ما على الادراك النفسي حتى الآن ، الا ان ذلك هو ما يريد كل انسان ، ومن الناس من يحاول تحقيق ذلك باسمه ، وقيل مناصلاً ، ومنهم من يبدلون شهوة أقل ، الا ان الجميع يمشون معهم بخارامو للضمير ، والروحية وفشور البشر . حتى النهاية (٦) بدأ الفصل الرابع بذكر حالة القسامية ، ان يعرف اميل منكوف في طفولته « صبيان » ، وحدث في لولها الذي ضم عالم الطبيعة المتوسط ، والبيت العظيم ، ان الاعمال التي قادت الى حياته المستقلة . وقد قيل في هذا العالم الرابع ، واللب والضمير المذنب والاضرار ، والعنف ، والاتجاهات المصادمة الحب والعداء والانجيل والكنيسة . وفيه قال المستقبل انما يتبعه في هذا العالم ، لودويج الصفاء ، جيللاً مثلاً . »

هذا العالم الثاني فهو أقرب الى الجحيم واليأس ، حيث يجد بعض الشعاع والحيث الطائف ، ان هناك الزمان من الحوادث المسمر المبري . حدثت مغزياً ولاني . . . ذلك هناك المستلخ والسبح ، والسيارة ، والسيارات والسيارات . . . وفي ذاتها في أمتعتها ، وانجيل الحداثة ، والضمير الكيفية التي يروى من الضمير والظلم والمخبر . . . وكان العالم حياً ان يقول بيت هذا بيتاً . . . انما . . . وبعد ان تكون هناك اشياء اخرى . . . انجيل ثلاث حلاله . . .

أشياء غريبة ، وكان هناك بحسب ، إلا أنني كنت أجدهم مهزباً من ذلك كله حين أشاء ، على صدر أبي الخلود ، (٧)

كانت صليبة عتيقة استكبر أن يكتشف أن ذلك العالم المظلم قادر على الخروج عن حدوده وانفتاح حذره البيت أيضاً ، حيث لا يعود في استطاعته أن يلجأ إل فيه . أنه ليكتذب ليلاك استعدان أصداقته ، ويعد نفسه في قبضة أرائك كرومر أحد أجلاف المدينة وأن أحد الحكيرين . وبعد نفسه مضطراً إلى ارتقاء كرومر يسرق من البيت ويخضع أهله ، وهكذا يجد نفسه بعيداً بإرادته عن ذلك العالم المظلم .

كانت حيالي في ذلك الوقت جتونا . كنت خجولاً ، فطشت معذباً وكأني شبح وسط ذلك السلام المظلم في البيت ، (٨)

المشكلة واضحة إذن ، فهناك نظام تقوم عليه حياة من القوي . ويقسم بحسب حلاً هذه المشكلة في الفصل الثاني ، فهناك صبي في مدينة أميل ستكبر يدعى ماكس دميان ، يلوح عليه أنه أشد نضجاً من بقية أطفاله ويحدث دميان مع ستكبر في موضوع الأنجيل ، هابيل وقابيل الذين عثلان العالمين ، ويوحى إليه بأن قصة الأنجيل هذه ما هي إلا مثال يفسره الذين عن الواقع ، ويقول بأنه ربما لم يكن قابيل شريراً إلى حد الحد لفضل إخاءه بدافع الخس ، ربما كان هناك شيء آخر في الموضوع ، كأن يكون في ملاحج وجهه ما يوحي بالذكاء أو الشجاعة ، مما جعل البشر يخافونه ، ويجترعون قصة علامة قابيل ليخفوا بها جنتهم .

ويرتلك ستكبر حين يسمع بالقصة عبودية هذا التعبير ، فهي إشكيها هذا أمّا يعني الانحدار إلى العالم المظلم قد لا يكون شراً إلى هذا الحد ، وإنما هو علامة من علامات الشجاعة والذكاء . وقد يكون هذا الذكي الشجاع دميان نفسه الذي تقول الشاعرات الدائرة حوله أي له علاقات جديدة مع تكبر من القوي . بل مع أمه ! في حين أن دميان هذا هو الذي يجرؤ ستكبر من واحة أرائك كرومر الشريرة ، ويوحى إليه بأنه أمّا يصحبه إليه لأنه أسمى من رفاته الأشرار ، لأنه

أفلا ، أعني من أفكارهم الفلذة . إلا أن ستكبر لا يملك الشجاعة الكافية ليعيش هذه النتائج التي يقدمها إليه دميان . بل أنه سرعان ما يعود إلى سلام البيت وأهله بعد حلاصه من قبضة كرومر ، وفيخي أخايله الحسية التقليدية ، وهو الأول . تصور العظة التي نفس به المهندسون . ولا يترك ستكبر إلا بعد هذه حلولة أنه يجب أن يتوجه بانتمائه إلى دميان نفسه ، لا إلى أهله ، ذلك لأنه وقد عاد إلى فكرته السابقة عن النظام ، لم يفعل أكثر من أن يصبح باهواً عن القوي . إلا أن عليه القوي ما يزال موجوداً .

أما في الكتاب ، فتجد فيها وصفاً لمأهنة ستكبر ونقطة الجسدية . إلا أن هذه النقطة لا يزال يعمل فيها ، أنه لا يستطيع أن يتخلص من القوي بمجرد عدم النظر إليها . ويظهر دميان ثانية ، في حين يلوح ستكبر في حواشي . ويضع دميان ستكبر أن أنه ، فيجد هذا فيها جدياً على مثله الجالس تشككه أطلان . أنها تثل الطبيعة والحياء والام ، أو ليث ، التي تلي في الاستعداد . ولهم البعد محاولة من ذوات مثل الجارية ، مما يجلب أول القارئ اللام والملي الذي كانت تحليلات بحسب الدقيقة قدر كثرت أنشأه خلال القصة . وذلك هو القوي الذي نعده في معظم قصص بحسب ، والتي وردت من سببه من الرومانسيين .

في الأدب ملاحج دميان ، واضحة مع هذا . فالمشكلة هي مشكلة الأوزاك العظم . ذلك لأن قول حالة النظام والعيش في ظلها لا يكتفي ، وإنما هو الأخير . وهذا لا يفسد إلا بوعي مثل هذا الجدل إلى الحقيقة . فبأنه لا يكتفي بالإنسان القوي . وهذا هو الفصل على ثلاثة الألفين بعد هذه القصة ، وذلك هو ما يتويج إليه . في كتاب الدعوة مروراً بالأسطورة القديمة ، وكتاب على الإنسان . في أي نوع الفكر والحد ، ومساواة هذه الأفكار نفسها حتى نلصق أعمالاً . في رواية ، ويرى النظام في القصة بأن الذي ، الشر ليس صليبي ، وإنما هو

الإنسان نحو اتفاق بورجوازي . . (١٧)

ليس ذلك الإنسان علقولاً كاملاً ، وإنما هو عبد للروح ، أنه احتمال وعيد
يخشى منه أكثر من كونه مرغوباً ، لأن الطريق الوحيدة التي تبث منهجة إلا في
جزء صغير منها . أنها مخلوقة بالعذاب والكوارث والذهول المزعج ، وإن ذلك
الجزء الصغير المبهمة هو مشقة مهنية اليوم ، وتخطأ أذكراهم قدام . . (١٨)
يعلم ستيفن وولف جيداً لماذا هو شقي متعب من العمل . الله يعلم ذلك
لأنه لن يترك ما هو هذه ليتعب بكل حياته .

وأنه يقرر أن يسي أن تمسكه اليأس بالقي . وتمسكه اليأس بالحياة
بمخلان الطريقة الوحيدة الاكيدة نحو الموت المخلد . . (١٩)

ويعرف حاله أنه حتى إذا اشهر الانساني كمعقري عالمي ، فإن ذلك راجع
إلى قدرته العظيمة على التسليم ومعاذة الطلاب ، وإلى عدم إكراهه للسل
البورجوازية ، وتصبره على تلك الوحدة المنطوقة التي تنضي صفة السيرة على
محيط العالم البورجوازي وتجعله نوعاً من الاثير البارد حول أولئك الذين
يقاسون من أجل أن يصبحوا بشرًا ، تلك الوحدة التي نشبه وحدة المسيح
معلناً على صليبه . . (٢٠)

ولقد اكتشف ستيفن وولف هذا أنه ما يزال في بداية الطريق
الطويلة نحو هذا التوافق المثالي كلا ، إن العودة إلى الطبيعة ثانية طريق
مزيفة تقود إلى لا مكان ، أنها تقود إلى العذاب واليأس . . كل شيء علقول .
حتى أبسط الأشياء ، هو في أساسه خاطيء . متعدد . إن الطريق إلى البرادة
إلى اللاعقل ، إلى الله ، تقود باستمرار . لا إلى الخلف ، إلى القالب أو
الطفل ، وإنما أبعد نحو المظلمة . . اعني نحو الحياة الإنسانية وبدلاً من
أن تقوم بتضييق عالمك وتضييق روحك ، متابع العالم كله في وروحك بها
كلارك ذلك . . (٢١)

وأما الفكرة الأخيرة في هذه المقالة فأنها تذكرنا بفكرة ولكره عن
مراثيات توبيش ، الذي يستطلع من إلهامه الشاعر أن يرضى والخصم الحياة

الإنسانية كمثل .

لو كان بين المخلدين - لو كان قد بلغ ذلك الهدف الذي يلوح أن
هذه الطريق الطبيعية تؤدي إليه - فأنشد دعشته لو نظر إلى الخلف . . إلى
كل ذلك الذهاب والاياب ، كل ذلك التردد والتعرج والوعورة التي تصف
بها السالك . . أي مزيج من التشجيع والهم ، الأسف والغيطة ، سيبدو في
إنشائه لهذا السيقن (٢٢)

عما تشبه هذه المقاطع إلى طريق الخلاص الذي يبحث عنه الانساني . أنه
يضي على هذه التخطات بقوة . هذه اللحظات التي يترك فيها النجاة وهذه ،
لأنه في مثل هذه اللحظات يقوم بوضع القواعد التي تساعد في التفرغ
هو هذه رغم أنه يضع الاتجاه . وليس من الضروري أن تضيف إلى هذه القواعد
أي شيء آخر . أيضاً ، لأن أهدافهم لا تختلف في شيء عن هدفه .

تعد أيضاً أن هذه المقالة تلقي بعض الضوء على ما قصده نيس في قصة
« سيارلا » . فإن سيارلا كان ضد النظام الديني الذي « شق العالم وبسطه
الروح » ، ولكنه حين خلق عنه مسوح الرعب ، مثل في أن « يأخذ العالم كله
في روحه » . وأما والعكس . شق روحه لتحتوي على عيشة بيت فحسب .
إن المجهود الذي بذل في « توسيع الروح » يجب أن يكون حاصلاً لنظام
جديد . لا يمكن تحقيق شيء بالاتساع عن الإرادة . كل ذلك يعرفه ستيفن
وأرادته الشقي جيداً . إلا أنه يفضل أن لا يعرفه .

كان من المثل أن تكون مقالة عن ستيفن وولف . حاجة الكتاب ،
أما عندما حسن الصفحات المائة الأولى منه . . ولم يفعل هاري شيئاً أكثر
من أنه نظم مجموعة تعليقات . . وكان عليه أن يعاني التجارب التي
سجلها تحليله وأدباً . السبب إليه . وعليه لم يتحقق من قصة الخاربيز
للشمس . شيء في هذه القصة أكثر من الثالث

وتنهي عن قراءة المقالة فحسن . يأس من هاري وهايك وضيق شديد ، في
العودة المساء إلى ذلك هو يجب أن يكون . ويقرر أن يكون

هذه آخر مرة نرى فيه فيها إلى مثل هذا الشيء ، وألا قاله ميتي في المرة القادمة
قل أن يبلغ هذا الحد ، ويعد هذا الصلابة ، فيزني قليلاً ، ويغام .
تمثل المذلة كما يراها القاري . أقوى بواقعي الكلمات التحليلية ، إلا أنه ما يزال
أعاص هيس وأجاد لم يشع عليه أن يربط نفسه بغيره من جنين وولف أن يبق
الحياة ثانية ويحفل من فكرة فل نفس ، ففعل ذلك في سلسلة من الجولات عبر
عائلة الوقوع . كان الرجل الذي عمل السالونير قد ذكر اسم فندق ما
ونظف هائل إلى ذلك الضيق حيث ينشئ بناءً ذي حد من أحده يله وتعلمه
الرفق وتعلمه يستمع إلى موسيقى الجاز وتقدم إلى السيدات من ، وإلى دابلو
الذي لوحه الشمس ، وإلى ما ياء الفتاة التي يعمز جهاً بالانارة الجنية المنيقة ،
التي تجدها في مرآته حين يعود إلى بيته ذات ليلة . وفي ذلك حلال تجريب
حسية كذلك التي تمرداً سيلاً ، ويستعد هائل كل ما فيه وهو في الفراش مع
أزواج ، فيجده حادلاً ، بالهائي (الامر الذي لم يستطع أن يفعله وكان كلاً من) .

وقالت قاتلي عن الخفافاء جميع الحيات . وعرفت في بعض من البيعة والحرث
حيث انتشرت . ثم كانت لي حباتي مملئة . وكم كانت روح سبيح وودف الشبهة
مكتنفة بالخواب العلية المتلذذة . كانت حباتي قد أصبحت ناعاً متصلة . بعد
أن جابني في تلك الشاعرات المحروقة التي ليس فيها إلا الشقاء . والتي لم تعد إلا
نفاً أكلي شيء . بل إنها قادتني إلى اللانسي . ولم تكن من مودة العظم التي تبيضه
عليها الأشياء الانسانية . على أنها غنفت لروايات . أو روايات يمكن أن يغير بها
أنت كانت . حياة نيلة وشم ما كان فيها من شقاء . ولكن ما يتجسد من أمر داخل
الطريق الضيق إلى الموت . فقد كانت لي حباتي وحسرة نيلة . وقد جاءني
هذه الحياة من مصدر غريب . ولكنها لم تعتمد على المحطات والبرهان .
لما اعتصمت على الخواب . (١٧)

تلكنا أن نذكر هذه التجربة جوهر الرومانسية الأميل المتأخر من الأدب المسرحية والموسيقى العلة اللانها ، وقد أصبحت نوعاً من التفسير الذي يفسر شكل وأسلوب الخط ، أن هناك صعوبة كبيرة في فهمها من وجهة نظر...

413

[illegible]

١٠٠
 ١٠١
 ١٠٢
 ١٠٣
 ١٠٤
 ١٠٥
 ١٠٦
 ١٠٧
 ١٠٨
 ١٠٩
 ١١٠
 ١١١
 ١١٢
 ١١٣
 ١١٤
 ١١٥
 ١١٦
 ١١٧
 ١١٨
 ١١٩
 ١٢٠
 ١٢١
 ١٢٢
 ١٢٣
 ١٢٤
 ١٢٥
 ١٢٦
 ١٢٧
 ١٢٨
 ١٢٩
 ١٣٠
 ١٣١
 ١٣٢
 ١٣٣
 ١٣٤
 ١٣٥
 ١٣٦
 ١٣٧
 ١٣٨
 ١٣٩
 ١٤٠
 ١٤١
 ١٤٢
 ١٤٣
 ١٤٤
 ١٤٥
 ١٤٦
 ١٤٧
 ١٤٨
 ١٤٩
 ١٥٠
 ١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠
 ١٦١
 ١٦٢
 ١٦٣
 ١٦٤
 ١٦٥
 ١٦٦
 ١٦٧
 ١٦٨
 ١٦٩
 ١٧٠
 ١٧١
 ١٧٢
 ١٧٣
 ١٧٤
 ١٧٥
 ١٧٦
 ١٧٧
 ١٧٨
 ١٧٩
 ١٨٠
 ١٨١
 ١٨٢
 ١٨٣
 ١٨٤
 ١٨٥
 ١٨٦
 ١٨٧
 ١٨٨
 ١٨٩
 ١٩٠
 ١٩١
 ١٩٢
 ١٩٣
 ١٩٤
 ١٩٥
 ١٩٦
 ١٩٧
 ١٩٨
 ١٩٩
 ٢٠٠

شوقاً بعيداً من أجل الحل النهائي ، ومن هالز ، في مشهد اخل الاخير ، نحن
 النظر في الكلمات التالية (مات تمام آتي) ، التي تعني (انك انت) ، والتي
 هي إحدى قواعد اليوبانيساديين ، وتتميز بما يلي : يكتشف الانسان الطبيعة
 في قلب وجوده الخاص ، ويعلم هالز بذلك بوضوح ، كما أن الطريق التي
 نتقده من شقاء اللاوعي الى هذا المركز المادي ، هي اتباع نظام معين من
 الزهد والوحدة التامة ، وهو يرينا افواكه هذا في « مقالة عن ستيغ
 وولف » ، الا انه يعترف بأن ذلك صعب جداً عليه . ويرينا في نهاية
 القصة انه يوجد بعض الشجاعة الضرورية لمواجهة ذلك .

ان « ستيغ وولف » هي آخر دراسة رئيسية يقوم بها هيس لمشكلة اللاوعي
 لأن القسمين تعلمان على تحليل أقل تفصيلاً ، « نعيم » نازيس و كولدماند ،
 دراسة أخرى للطريقتين المتعارضتين ، هذا العالم والزهد . ويقول عنها بعض
 النقاد انها احسن قصص هيس ، ويمكننا نحن ايضاً ان نعتبرها كذلك ، لأنها
 تمثل نتيجة طيبة لقاص مثل يكتب القصص طيلة ربع قرن ، فاما نازيس فهو
 راعيه شايه يتظر منه ان يقوم بخدمة الكنيسة . وبأني كولدماند كطالب
 جديد الى مدرسة المدير ، فيقبل نازيس اليه ، لأنها تفلان أشد من في
 المدير توثيقاً وحبوبة . خير ان كولدماند ليس واحياً ، فإن عليه ان يبيع
 طريق سيارته ويستيقن وولف : « بدلاً من نصيقتك علكك ، عليك في
 النهاية ان تأخذ العلم كله في روحك » . ويبدأ نازيس سلسلة من الصيام
 والسهر والصلاة ، ليتم بذلك زهده في العلم وليد له ، في حين يترك
 كولدماند المدير ليذهب الى العالم ، باحثاً عن نفسه .

ونعني ثلاثة ارباع القصة بدياسة كولدماند ووجهه للكثيرات ، ونحواله ،
 والصعوبات التي تعترضه ، ويصبح كولدماند تحافاً ينع طريقة ميكل أنجلو في
 التأكيذ على الحياة ، ويرى اليوبانيساديين ويحدد الناس جسداً ، ويقبل قبوله الى

• من شانهوكيا يوبانيساد : مخطوطات غنومية مكتوبة قبل زمن بودا .

الذي حين يرى صورة مرسومة على جدار خفية مهيولة ، تمثل رقعة
 الدوم التي تجد لها في كثير من مخطوطات القرون الوسطى ، والتي تغير فيها
 من الـ « غنومية » لرغبتى مسح الرهبان وملابس التجار والشحاذين والعشاق ،
 في حين يكتشفها الموت جميعاً ، ويترك هذه الصورة منبركاً انه : حين
 نفوز في وسط الحياة ، فاننا في الموت ، ويعود كولدماند الى البيت .

اما نازيس فهو الآن رئيس المدير ، ويتبع بنفوذ مياندي ، ويعمل كولدماند
 الى المدير بعد مقاومة غرامية أخرى ككادت تكلفه حياة ، الا أنه لا يدخل المدير
 يوماً ولا تزيلا ، فيفضي فيه أيامه نائماً تحاميل القديسين والقروش ليزينها
 الطهران ، وتحت حياطة فيموت كولدماند فاركاً تحاميل التي يقطن لها الاستقرار
 والعودة اليها لم تصف حياتها بها . إذ أنه يظل عترةً مجهولاً من عترة القرون
 الوسطى ، ويمكننا نجد أن كولدماند لم يجد الافواك النصفي الذي أراده ، وانما
 وجوده مكتوب بعد نازيس ذلك له حين ينظر الى الحائط ويبدأ أن كولدماند
 له اشبهت صورة الخالد الروحي ، دون أن يدرك ذلك .

اما آخر قصص هيس ، التي نطهر منذ عام ١٩٣٧ ، والتي نشرت
 بالة في عام ١٩٤٥ ، تعتبر أدع تحاليله ، إذ نجد فيها احطاء عنصر الرومانسية
 التي كان يلهم أمهات السابقة . وتتميز هذه القصة بالشعوب أكثر بوضوحاً
 من قبلها بوضوحاً من هيس .

تحدث هذه القصة « الفارس القصة » ، في المستقبل ، حين يسند الحكومة
 نظام يقوم على أساس انفسال الساعات . نظام استعراضي عامس بالادراكه ،
 أما هذا النظام فهو الاستعراضي تحلي العقل والادراك في عالم القديسين
 القديس في زمانه القديس الشاهدين ، وحاشا للعقل الذي كانت تقوم به القصة
 في القرون الوسطى . ان هذا النظام ، في القصة قصص الحل العالم الانشائية التي

من الشباب الذين يواجهون الحياة مثل أبطال جيمس بالسؤال التالي : كيف يمكن ان نعيش هذه الحياة ليحصلوا منها على اعظم ادراك نفسي ؟
 ان رودريك همنس ، بطل اولى قصصه الهامة ، نجحت بشعر الطبيب والانعراج في مدينته الصغيرة ومحيط بيته . ياخذة رجل بحسن الى روما ويكفيه مؤونة الانهياك في تحمل مرهق في احدى البواخر من اجل تحصيل رزقه . ويتورط رودريك في غرام نفس ، فيفقد مثاليته وموهبته . ويرينا جيمس كيف ان كل اعمال رودريك في الحياة تبخر حالاً يتغير فيها .

اما في « صورة صيدة » فبرينا فتاة شابة تواجه الحياة بذلك السؤال ايضاً . وبيع نجاحها الكبير في المجتمع الانكليزي احد التوردرات الـ طلب يدها ، الا انها ترفضه ، لأنها تشعر بأن امكانيات الحياة الشرة اوسع من ان تستحق الضيق الى هذا الحد الآن . الا ان هذه الامكانيات تنتهي بـ فزواج فاشل يتركها شاعرة بتبخر آمال مستقبلها ، كما في حالة رودريك همنس . ان الحياة قد تقلبت عليها هي الاخرى ، وكان سبب ذلك عدم استطاعتها ان تعيش الحياة على تلك الشدة بضورة دائمة . ويشعر جيمس على ذكر ابطاله ، كلما كان الامر غرضاً بتساكن اللامتصين . على انه يعود في السرات التالية من حياته الى مشكلة الادراك النفسي ، فيضع على لسان لامبرت ستريتر ، بطل قصة « السفر » والذي هو في منتصف العمر ، القول الآتي : « عشت كل ما استطعت ، فانه لم اخلع ان لا تفعل ذلك » . الا ان محاولة ستريتر نفسه التي ينقذ (ليأخذ العالم في روحه) ، تفشل فشلاً حزيناً . انه يأتي الى باريس من احدى المدن الصغيرة في اميركا ليعيد شاباً عاصياً لا يريد العودة الى اميركا لكنه يحب باريس ، ولا يجد ستريتر نفسه في باريس حتى يدرك كم كانت خسارته عظيمة بقضائه العمر في ذلك المحيط الضيق ، فيصبح الشاب يعلم العردة لأي سبب من الأسباب ويعود بأنه هو نفسه صبي في باريس . وينتهي به تيار ادراكه نفسه الى ان يترك حياته الوطيدة السابقة التي خلفها في اميركا ويستسلم لتقبل تغير مضمون ، وهنا يتركه جيمس .

والخيراً نجد ان الفكرة التي تتركز عليها قصة « أجنحة الحمامة » هي عن فتاة شابة « تعشق الحياة » ، الا انها تعلم انها لن تعيش اكثر من سنة شهوهر اخرى ، مما يجعل المشكلة اكثر تركيزاً ، ويشير بإمكانية ظهور حل ما . الا ان ما يحدث بالفعل هو ان حديق ميللي آثيل وحييها تحوّلها ويتركها لتسوت شاعرة بأن الحياة والموت قد دحراها معاً . « واخيراً كرهت الموت » وكانت على استعداد لتفعل أي شيء في سبيل ان تعيش « ، وهكذا نترك مشكلة اللامتصين ومشكلة الادراك النفسي من غير حل . ويمكننا تلخيص مساهمة هنري جيمس في هذه المشكلة بكلمات ايلروي فليكنر : « ان الاموات يعرفون شيئاً واحداً فقط : هو انه من الافضل ان يكون الإنسان حياً . »

الاحتياطي، قال هذا هو مصره الحجوم (والمتعلق ان اعتبر اليوت الكتاب
الاحتياطي في أدلة البحث الذي احتفظ بظهر الكتاب مع الطوائف
الاحتياطية - سائر على خط واحد لا يوجد فيه ولا يجل) - أما نسب هو
الصحيح وبسيط، ذلك أن مشاكل الامتناعي يمكن أن تبحث عنها فكرياً
أو بحثاً معيلاً، فالأمر يتعلق بالبحث هذا المثل، ويجب على الباحث أن يعرض
هذا للمشاكل - ولا يوجد إلا كتاب قليلون (من أمثال اليوت) عن
صيرورة الكتابة وسيلة للفكر، لا عبقاً بعد طائفاً.

ليس المقصود بهذه الاحتياجات أن تكون قدراً لأولئك الكتاب الذين
كانوا عنهم، فإن ضمير الكتاب يتجلى في عمله، وعليه أن قبل ما يعطيه
المشكلة على ذلك إلا أن هذه الاحتياجات تعني أنه لكي نتبع مشاكل
الامتناعي أكثر من قبل يجب علينا أن نأخذ بظهر الاحتياط الشخصية كما
محبوب بالحياة أكثر من حياتهم بالكتابة.

أكثر الزيجال الثلاثة الذين سيجتهدونهم هنا ميزة واحدة هي أنهم انفتحوا، كما
فعل أنطون بلونوس، بأنهم - ولا يمكن شيئاً ولا يستحقون شيئاً - أن هذا
الامتناعي - ليس هو الخطأ، لا يتبع الامتناعي كواحد في صراعه مع مشكلة حياة
وغيره، كانت حياته في جوانب الامتناعي صعبة جداً، أي أنهم سيعيدوا أنفسهم
ومعهم كل ما كانوا يعملون أن يحصلوا عليه من التطور إلى الانطلاق، وبما أنطون
الامتناعي الأشخاص، أن لوحة من لوحات كان مخج - أو رسالة من رسائل
- في لورنس الحفنة - أو - أمانة الحيوان الجواني - لتجسدي والتي تعيدنا
في النصف البريطاني، لتعرفنا بأنهم لم - لأن هؤلاء الأشخاص لم يفهموا أنفسهم
سداً فقد سيعيدوا مذهبهم، ولو كانوا عرفوا أنفسهم كما يعرفهم نحن لما انتهوا
إلى مثل هذه الميوليات البسيطة، أن أول ما يجب أن يعرفه إليه الامتناعي
هو معرفة النفس.

لا نقصد أن نعرض لشرح بلونوس دراسة دقيقة لضمير وجوده وصاحبه
الامتناعي من غير أن نرى جانباً عاماً أولاً لامتناعي - بل لعل جودنا لها بعد أن

الفصل الرابع

محاولة البطلنة

إن مشكلة الامتناعي هي مشكلة حياة، وتصور الكتابة عنها تفسطلحات الأدبي
تريفاً لها، على أن كتابات الكتاب بهذا الصدد كانت ضرورية حتى هذه المرحلة،
فإن مهمة الكتاب هي التعبير عن النفس، وقد ساعدنا هؤلاء الكتاب إلى الوصول
إلى تعريف علمي واضح لمشاكل الامتناعي، إلا أنه هؤلاء الأشخاص - بلونوس
وساير - ومعناوي وحتى حين لم يكونوا معنيين بالامتناعي ذاتاً بصورة عجيبة،
وعما يدلنا على ذلك انقسامهم إلى مواضيع أخرى، والكتاب يتبع بتفطرة تعرض
عليه اختيار اندج ما يمكن تسجيله - فلذا قبل في ذلك أنه أحسن وأنه يقع مرحلة
لا يستطيع أن يتقدم بعدها خطوة واحدة، فانه عنان مفهوماً جليداً، ونكتة
ملاحظة ذلك يتبع التطورات التي حدثت لدى أي واحد من الكتاب الذين بحثناهم
في الفصول السابقة، فقد انقلل سارتور من دوكانان إلى الشيوعية، بينما انقل
معناوي من كود بودال كريبير إلى انطون كسبه الآخرين، فتوني القديسات القديسة
والفكرات البريئة - أي بلونوس فقد انقلل من العلم، إلى الداروسها
إلى الشيوعية أيضاً، فاذلم يكن لدى الكتاب شيء من الأشخاص، والصبر هو

أله كان جندياً ، في حين نجد ألبنكون يصف منه موقفه المهادن في كتابه
الذي لا شك أن يعتمد على ما قبله من تحقيقات حسنة فقد اعتادنا
على قبحه المزعوم الذي ترفع لورنس إلى ما لسن كالإلهاد من شهرة أدلوية ،
والأن أن نقتصر دراسة تاريخية مسيحية عن حياته ، وعلى ما كتبه من
رسائل ، أما لتأصيل حياته ، فهي :

ولقد لورنس في عائلة متوسطة الحال ، وكان أحد أشقاءه عقلياً ، أما في
المنزلة فقد كان لامعاً في الدروس التي كان يحل فيها فقط ، أي التاريخ والأدب ،
أما الدروس الأخرى فلم يكن لديه وقت لها ، وأولاً في حياته يذكر بالبركات
المادية إلى العودة إلى خالته القرون الوسطى ، ثم باللوحي وموريس ، ودار
حول أوكسفورد شاذ جافاً أوروباً يستصحب عليها لقوس الكنائس ، وكان
لورنس قوي الجسم ، وحسن أنه لم يمارس أية رياضة أو يشترك في أية رياضة
رياضية ، ولأنه في فرنسا متطوعاً إلى الفلاح والكاتدرائيات ، ولم يكثر للعلاقات
التي أنجزه باستعادة السحر إلى البلاد العربية ، وانما سافر إليها شيئاً على الأقدام
أرضه جامعاً ما يلقاه في طريقه من جاني عن الحروب الصليبية التي عليها
دراسة التي تكافئ يتويج تقديمها إلى جامعة أوكسفورد ، وفي العام التالي وافق
ليوتارد وولي ، وبعد المتحف البريطاني الأثرية إلى مصر ، حيث تعلم اللغة
العربية وكثيراً من الحقائق والدراسات الأثرية ، ولم يتخل عن ذلك عن
قراءته مالووي وموريس ، كان لورنس يحلم بشراء طابوقة مجهزة في
الكلأ ، إذا عاد إليها ليميز بواسطتها ماكنة للطباعة تطبع الكتب إلى
ورق يدوي الصنع ، وكان يعلم بتجديد هذه الكتب بجلود البقر والموتها
بالوان خاصة تستود من عذبة صور .

واشغلت فترات الحرب العالمية الأولى ، فعين لورنس برتبة نقيب في شعبة
الخريطة التابعة إلى وزارة الاستخبارات السرية في مصر ، إلا أنه لم يبدل ذلك
العمل ، فوافقه الوزارة حين شغل بنية الملك حين بل الثورة المصرية ، وكان في
مكة ، فسافر إلى الجزيرة العربية ، دون أن يعرف رواده بذلك ، وقد كان

معتزلاً لا يستغنى عنه في تلك الفترة ، فقد لأنه صار شبيهاً ليصل إلى
مصر ، فعملوا معاً على إخفاء تلك الثورة في أي من غايتي ، ويعتبر كتابه
أحدث الحفنة السبعة ، مجلدات حافلة بأبناء تلك الفترة .

لانت الحيرة قد وسعت أفراكانه فقاد منها أكثر حكمة ، وأعلى سعادة
والمن لا أن نضعنا في الضمائم المابقة التمرير والضياع اللذين تعاني منهما
الناصح النافع الإنساني ، بسبب الأفرار في التجريب التي يعرف في ملوفاها
الشمس شاديير الإنسانية ، ولقد ألب عاندا إن تغير سلوكه في السنوات
سبع عشرة التالية جزءاً من ، وعقولة لورنس ، لأن سلوكه خلالا كان طبعاً
الاشتر من لا يمتنع ، وقضى لورنس ثلاث سنوات الغربة في الحرب التي
استمرت من أبريل تحرير البلاد العربية من الأتراك ، ولم التحق بقرعة المظاهرات
التي ، وانضم بعد ذلك إلى سلاح الفرسان ، ولم يعد إلى دراسته الأثرية قط
ورئيس كباراً من الغزوة التي تقدم بها بعض لجانته ، وكان من بين تلك
الذين من منصب حاكمية مصر ، وسكرتيرة بنك الكلأ ، لقد لاح أن لورنس
قد اجتهد بصورة كاملة ، رغم أنه لم يتعد ذلك إلى فترات الامتثال بالانضام
الاول ، إلا أنه فعل (بذلك متراوياً) ، وكان يعني بكتابة كثير الكتب ، فأنشأ
دروساً في علمهم بملكون ربح ما كان يليه هو من قوة روسية .

وأحد أشهر لورنس كوجاني ، كالفرودزل ، في مقابلة تعرضت ،
والذين الذين ، وهذا من الاضطرابات ، وهذا يعني معظم أولاده هناك
في العلم ولم يعمل خلاقاً لهم بعد ذلك ، وأحد الحكيم المسجود ، إلا أن
العلم ، والذين من ترويضات عليه ، أصبحت الشهرة في عائلته ، ولم
يوقع له بالمطامير من الجزيرة العربية في (الفرقة ١٩١٣) ، فحال حتى النهاية ، فحججه
والذين الماهرة التي لا ، حتى ما شدة ، فهدأ عائلته ، فأنشأ له

المهل اكتشاف الاسباب التي أدت الى ضياع قوته الذائقة، واكتشاف ان افراطه
بقلة الاسباب دفعة الى استخدام قوة رائحته استخداماً موحداً من اجل العمليات
الشعرة. ان الشخص هذه الفترة يشبه شخص آلة فحمة أصبحت بلا جدوى
بسبب عطل صغير جداً في إحدى آلياته. وان الشخص الآن كتابه، وأجهزة المحكمة
السيرة، واعراض مشاكل الانسحاب التي تلوح في لورنس نفسه.

بنا عليه ان يلجأ الى وصالة مكتبها لورنس الى ادوارد كارليت في
٢٣ تشرين الاول ١٩٢٢ وقال فيها:

« لقد بحثت في الشعر الذي قرأته عن شيء من الشعور بالقناعة،
الا انني لم أجده شيئاً من ذلك. ووجدت بدلاً عنه التي انما حاولت
تأمله لتجسده من الخوايات ان نوع من الشكولاتة المروجة. في حين
انني كنت أبحث عن وجهة طعام. ولا تبنت قبلي في الحصول عليها
في الشعر. بحث في الشعر. ووجدت في كل مكان شيئاً بدلاً من القناعة،
اما ما عدا ذلك فلم يكن هناك الا القليلون الذين التزموا الامانة لغرض
واحد هو ان يكونوا احدي من المجلس الشرقي. ولم يفلأ معدني منهم الا
مصارعاتهم وعبادتهم.

التي لا استطاع ان يكتب الشعر، وعليه قد بدأت الكتب الشعر لاحاول
ان اعد وجهة من الطعام في ولكن من يبحث عنها مثلي...
ان خلو لورنس من غرور العنقري هو من الاسباب الاساسية التي أدت الى
مأساة ضياعه. ولستطيع ان اقول انني نظير الى نقطة اخرى. ان علياً ان كتاب
وي. بي. لورنس بالاعلام السكاه. ويعتبر وصف ايريك كينستون له
احسن ما في هذا الكتاب. وهو يخبرنا في إحدى صفحاته كيف انه من بين اطلع
استاذاً عجوزاً ذكياً (١) على نسخة من كتابي «أجهزة المحكمة السيرة»
فكان ان يعلق الامانة عليه قائلاً:

« لقد جعلتني قرأتني لهذا الكتاب اعلم اكثر الامرين. فان مقاديرهم اعظم
رجل عرقته. الا انه مع ذلك عظمي. خطأ كبيراً. الذي ليس نفسه. ولقد وجدت

« أنا، والا انها ليست «انا» حقيقة، ولهذا فاني لا أبحث من جواز التفكير فيها
مهم جداً. ان مؤلف هذا الكتاب ليس حياً فها يفعل، ان ليس هناك تبادل
عد، وانما اننا يشبه أنبوباً تصرب منه الحياة، والله لأجيب مثلاً. الا انه
يبحث الانسان حقاً، يجب عليه ان يكون اكثر من هذا...»

ان هذا التعليق لا يخلل ان اعماق لورنس تحسب، وانما هو وصف صادق
دقيق لكل لا يمتهم. « انه ليس حياً فها يفعل. وهذا هو موضوع لا أريد
« انه ليس نفسه. فكلنا على اشياء أكثر» لأنها توحى بان واجب الانسحاب هو
ان نجد الشخص الذي يوحى في عالمه ويشعر فيه ذاته نفس على شيء ما يكونه
الذي يفتق في أصل ما يمكن من التعبير النفسي (فرض الذات).

ان كتاب «أجهزة المحكمة السيرة» هو أهم الكتب التي تحتاج اليها
تعبير مشاكل الانسحاب. وتالوت عند بداية الكتاب رغبة لورنس في نظام
البحث العلمي. والنسبة كل الوضوح. وهو يخبرنا في فصل سابق بشيء من
الادراك السامع.

« كان العرب انك كل ذلك اروع الف تبي... ولدوا في الاماكن المكشوفة
بالس. الا ان حياة عتيقة عادتوا معهم الى الصحراء فموتوا فيها وقتاً طويلاً
او قسراً. مثلاً في حروبهم في الجبال. ثم عثروا برسالة جديفة، واقصة كل
الوضوح. ليشرحوا بها بين «فالمهم للعلماء» الذين صاروا يشكرون فهم الآن.
« انك بحق مؤسس البقايا التي كانت حدة كلهم. وكانت حياة كل واحد منهم
بالاعتماد على بعضهم الآخر. فاندأ علماء كل واحد من الآلاف السابقين
من اولئك الناس قائم على نفسه. فكلهم الذين عدوا بذلك لا تعتبر ما يوافقهم
أولاً. ان ذلك الناس لم يوافقوا من ولا الحجة أو دعاء خفية حول ما يصرف في
من أحدهم. ولم يستطيعوا ان يوافقوا رسل الصحراء. وليس ذلك
لا ولم يحدوا قلوبهم. وانما لا هم استطاعوا ان يفلحوا في حارة ما هناك
ان يصفوا حارة واحدة الكافة الحارة التي حاروها معهم... ان ما يعمل الذين
شعروا ان حدة المادة فلوهم ان الشعر الطويل، الناعم، من الى شيء...»

ويوضح تعاملات لورنس مع هؤلاء الاتياف في كتابه هذا أشد الوضوح إذ تصبح الصحراء لديه رمزاً للشقاء، رمزاً للهروب من كل ما هو بشري.. وأن يلدوي الصحراء الذي يولد وينمو فيها، قد اختصن هذا الغراء بكل روحه، هذا الغراء الذي لا يحصل حتى المطعون القصير، أما السبب في ذلك فقدرته أكثر منه وانحساراً، ذلك أنه يجد نفسه في الصحراء حراً خالية لا شك فيها، أن هذه العقيدة الصحراوية مستحيلة في الملك، وإنما في وقت واحد أشد غمراً وبساطة واستجابة للجوانس من أن يؤمن بها كائن من كائن (٣)، وينتهي الفصل الخامس بالدين يتأكد هام على قواعد الدين ولورنس: «كانوا قوم نجوم، المجرة أقوى دوافعهم إلى الشجاعة اللامتناهية والتنوع: أما النهاية، فهي اللاتينية». لقد كانوا كلاماً تثيراً، وكما ستكون العلية للماء، فإنها قد تكون لهم. وكثيراً ما انطلق، يرتطمون بأصل الوجود الجسدي، منذ فجر الحياة، وينوجات متتابعة.. وقد تخطت كل موجة من موجاتهم على ذلك الساحل، كما هي الحال مع أمواج البحر، مؤثرة تأثيراً بسيطاً في مخفوفة التي تتهاوى عليها.. على أنه سيأتي يوم، بعد عصور طويلة، حين ينظفون لأبمنهم شيء إلى ذلك المكان، حيث كان العلم المادي موجعاً يوماً ما. إذ ذاك سيتقل الله على سطح الماء.. لقد رفعت موجة واحدة من هذه الأمواج (لا آخر موجة) وأطلقها أمام أنفاس فكرة ما، حتى يلفت ذروتها فلسفياً لماوت. كان سقوطها على دمشق! (٤).

وهناك مشاهد في الكتاب يصف فيها لورنس العنف والنداء، ويلوح وكأنه يقتل إلى نتائج همتواي نفسها، أن البشر يموتون كالجذافات، لا كالبشر. بل هناك مقاطع تلوح فيها عزلة الجالية من أي لون من ألوان العاطفة، نوعاً من القسوة، نوعاً مبرحاً من الملة السادية، وذلك ما لا يمكن التوفيق بينه وبين الصورة التي يرسمها له أصفهاف. أن هذه المقاطع هي التي تزودنا بأوضح الأدلة على سلوك لورنس. إن عزلة هذه تشبه عزلة همتواي، لكنها تعبر عن رغبة في

والبحث عن الحقيقة، إلا أن هناك عنصر آ في لورنس لا تحمله في همتواي، ذلك هو ما لديه من عقيدة دينية توجه طريقته في رؤية الأشياء. إن قسوة الصحراء وعظمتها، واحترارها للجسد يتعادلان معاً في كفتين متضادتين، أما العقيدة التي توفق بينهما فإنها الاعتقاد بأن هدف الحياة هو تغلبة الروح على المادة. إن العرب بتلككون بساطة الاعتقاد البليغة: «إذا كانوا بلا عقيدة، سهل تعليمهم إلى أركان الأرض الأربعة». رغم أنهم يعلمون أنك لست تأخذهم إلى الجنة، وذلك بأرامتهم ثروات الأرض وملاذعها، ولكنهم ما يكتفون برون في الطريق نيباً يحمل فكرة ماء. لا علك بيتاً ينال فيه ولا طعام إلا ما يقدمه إليه الكرام والعلويين، حتى يتركوا كل ثرواتهم وملاذعهم من أجل وجبة ماء (٥).

إن ما يلوح بصورة واضحة جداً في «أعمدة الحكمة السبعة» هو أن لورنس لا يعتبر نفسه جديداً. لقد رفع الموجة كما لو كان نيباً يدعو إلى فكرة ماء، أمّا قوته فهي قوة الإنسان الذي يمكن أن تتسلطه فكرة ماء، ليقيم بإسماها إلى الآخرين. أنه يريد دائماً قوله إن حرب العربي كانت حرب تيشير، لا حرب معارك. أما القررات التي عانى فيها الشقاء والجلال، فإنها راجعة إلى حقيقة بسيطة: هي أنه لا يستطيع أن يؤمن بالفكرة التي يدعو إليها.

ولو قللت غلصاً في مشورتي للعرب، لكنت نصحتهم بالعودة إلى زووم، والتخلي عن المجازفة بحياتهم من أجل مثل هذا...

على أنه الرغم من هذا الاعتقاد، فإن روح القيادة والتشجيع أوجت للزورين ما كان يحتاج إليه من تعبير نفسي. أنه يعرف في مكان آخر قائلاً:

«كان كل ما طمعت إليه طيلة حياتي هو أن تكون لي القوة على التعبير النفسي على شكل خيال».

وتنوه هذه الحرب أدراكاً لصد، كما كان الأمر مع كزيريز في الأوقات التي «عمل فيها أمراً واحداً.. الأمر الوحيد، وقد أتاح له ذلك أن يرى ما هو ليس بالله والظلمة. أما قوله على التحليل النفسي فهي جد عميقة. أنه لا يستطيع أن يرى نفسه وعقله ككل. إلا أنه يستطيع أن يذلت صورة بكونه من

مختلف الأجزاء ، ولا نفلز أن كتاب « أعمدة الحكمة السبعة » ينقص أحد هذه الأجزاء . أما أهم ميزاته فهي عدم استطاعته أن يتوقف عن التفكير . فالتفكير يسجنه ، وأنه لشقاء لا نهاية له ، لأنه يعرف معنى الحرية ، من تجربة كهذه : « بدأت في الفجر التالي الذي يوقظ الحواس مع الشمس ، في حين يظل العقل » الذي أصبح تفكير الليل ، قائماً . وتنفضي ساعة أو ساعتان في مثل هذا الصباح ، تصالح فيها الأموات والطور والأنوار الإنسان واحدة واحدة ، وبصورة مباشرة ، لا يعيقها الفكر ولا يسددها . لقد لاحظت في تلك الأشياء وكأنها تتسع بوجود يكفي ليجعلها قائمة بذاتها .. ولم يعد نقص العناية في الخليفة يبدو مقللاً بالمرء .. (٦)

ويقول لورنس حين يسأله فيقول أن يكون مستشاراً له : « قلت أنني أكره المسؤولية ، والتي في حياتي كلها كنت أرى السعادة في الأشياء أكثر مما أراها في الأشخاص . وفي الأفكار أكثر مما في الأشياء .. » (٧) ويؤكد كحل من حرفة على هذا أيضاً ، فيقول ي . م . فورستر : « رغم أنني كنت صريحاً معه ، فإني لم أجده صريحاً معي قط ، إلا أنني لم أحل عليه رفضه أن يكون كذلك . إن هذا ينسب لنا لماذا كان قائداً عظيماً للرجال . كان يستطيع أن يرفض الود ، دون أن يقطع أسباب المحبة » (٨) على أن لورنس لم يكن في جوهره مؤلماً باليشر :

« لقد نجب المخلوقات العادية ، لأنها تمثل فشلنا في الحصول على العطفية الخلقية . وإذا فرضوا أنفسهم علي كرهتهم . إن وضع يدي على شيء حي يعتبر تنهياً له .. ولهذا فأنهم يجعلوني ارتعد إذا لمسوني أو أيدوا عجباً أكثر من السلازم بي .. ولقد كنت أقبل ذلك عكس ذلك لولا عنادي .. ولم أتح على نفسي يوماً كما كنت أقبل إذا رأيت جندياً مع فتاة ، أو رجلاً يداعب كلباً .. لقد كنت أدرك أن أكون مطعياً .. كاملاً ، في حين كان يعيدني سجنائي دائماً .. » (٩) ويتحدث عن العرب فيقول :

« أعلمي سلسلة من المسؤوليات والأوامر التي تنبئ الاشتراك في طبيعتي التي

تجربها أفكاري . لقد شعرت بالضعف ، حين وجدت أن علي أن أسأل عن رجل عال . ذلك لأن مقاييس قيمي كانت رد فعل إرادي لمقاييسهم ، وقد احترقت سماعتهم . يا طاملاً جاءت روحي لأقل مما تحلك ، ذلك لأن حواسي الخاملة التي لا تشع حواس معظم البشر ، في حاجة إلى الاتصال المباشر لتحقيق التحسس . » (١٠) إنه أما ينقل إلى العرب ميزاته ، وأحياناً إياهم يحب الخواء مثله . أو أنه يعظم ذلك حتى يشمل نفسه :

« نحن غريبون هذا العصر المعقد . الرهبان في زراعات أجسادنا .. » (١١) إلا أن لورنس وحده كان « راجحاً في زراعاته جسده » وكان الإنسان لم يستطع أن يحقق المباشرة في التحسس لأنه لم يستطع أن يتوقف عن التفكير . لقد كان « أنوباً » تسرب عنه الحياة .

« لقد كان واجباً صحياً علي أن أفرق بين الشعور والعمل » .

إن العالم « بالنسبة لهذا الشخص - مكان لا لود له بدرجة لا تصدق . لا شيء فيه من الأحاسيس بالرؤى أو المشغولات التي تستطيع أن تقول النباهة عن البشر وجواهرهم . أما نتيجة ذلك فهي جهد عقلي لا نهاية له : لم يعني إلا الضعف عن الاتجار العقلي - الذي يشتمل في واجب بطيء حتى هذه الكاوية المنهية في ذهني : لقد كانت أفكاراً عن الأشخاص الآخرين ، إلا أنني لم أخلق شيئاً عاماً بي . ربما لأنني لا أستطيع أن استعرب خلق الأشياء .. » (١٢)

هذا الشعور الذي يده لورنس ضد الخلق يشبه في طبيعته شعور أوليفر كرويل : « الجاهلون والمخدوعون والسطحيون هم السعداء وحتمهم بيتاء . إنهم المخلصون بينهم . والله لكبر للجنس البشري ، وللغواة الثرائين الماديين للشفاة » (١٣)

وهنا يرى أن لورنس يجمع بين المزيين الرئيسيتين في دوكانتان ولامتسي : « كان .. وكان قد قال : « كنت مثل الآخرين » وكنت أقول مثلهم إن المحيط أعمى » وإن تلك البقعة البيضاء الموجودة هناك هي أحد طيور

النوم، إلا أنني لم أكن أشعر أن ذلك الطائر كان موجوداً. وإن علمت
تتمكن لورنس من الحرب من «طبيعتي التي تحبها أفكاره» حدث فيه ذلك
الثابت نفسه، فكل شيء هو غير حقيقي. وأنه مثل لامنتهي باربوس،
لا يستطيع أن يكون معيلاً في المجتمع لأنه يرى أكثر وأعمق مما يجب. ووقته
انحدرت حرب الصحراء لورنس معطياً يرى به الطلاب الانساني، كالكاتب الذي
كان ينقص منه بطل باربوس في عرقته في الخلق. وكانت تلك التجارب
ضرورية له، كما كانت ضرورية للامنتهي باربوس، لأن العنف الذي يملأ في
تلك التجارب التي خاضها في الحرب لم يدرج عمالاً في ذهنه لتضاهات
الحضارة التي ترتكز على التسليم والاضاف الاجتماعي. لقد بدت العنف تلك
اللاخفية، على أنه معها كان الأمر، فإنه لم يكن ليصل إلى اتفاق مع
التسليم الاجتماعي. أنه يصف اقتاعه لاحدى القلائل التي رفضت أن تشترك
مع البقية مع اجنبي الحيلولة العسكرية.

وأوضحاً فهم كيف أن الحياة بين الجماعة هي حياة حسنة فقط، تعاضد
وتحب وهي على منتهى ما تكون عليه. ولا يمكن أن تكون هناك أماكن راحة
للتواري، ولا نصيب من المصلحة يوزع عليهم. انه روح الثورة متضامة، وعلى
الظاهر أن تعمل أن أكثر ما تستطيع حواسه الاحمال. وان يستخدم كل
خطوة يخطوها في هذا السبيل أساساً للمغامرة الجديدة، عاطفة مدسرة لحرمان
أعني، لأنني أشد.. ان الحس لا يتقدم ولا يتأخر. وما العاطفة المحسوسة
الا عاطفة متحركة، وتجربة بينة دفعاها بالتعبير عنها.

ان يكون الإنسان من الصحراء يعني، كما كانوا يعلمون، أن يرتبط بحربه
لأنه لم يمع عنه ليس من هذا العالم، ليس من هذه الحياة، ولا من أي شيء.
أكثر.. انه الأمل نفسه، وما الفشل الا الحرية التي يقدمها الله إلى البشر. وقته
تقارن هذه الحرية بمجرد رفضنا أن نعمل ما في استطاعتنا فعله، وان ذلك نحن
بأن الحياة نفسها، وأتت دحرناها لأننا جردناها من قوتها.. أما الموت فإنه
أحسن أعمالنا، وأحر إخلاص حررنا من الموت، ان نقوم به، في اعتناقنا الأخير.
قليلاً.. حين نرى هذين القطبين، الموت والحياة، أو الاعتناق والانهيار.

الذي.. أن الشيخ يوجهنا عن هذا الانهيار (الأساس الحياة) في كل شيء. عدا
البحر، فريضة، وان التمسك بالاعتناق، وهكذا تزيد من لا نجازنا. وقد
... هناك البعض من الذين لا يتفهمونهم شيء. من الطبيعة الخلقة، الذين
... انهم انهم بالجفاف والجذب، إلا أن فعاليات امثال هؤلاء مستكون مادية
... في حين اننا، لكي لنبدع الاشياء اللاعادية، الاشياء المسماة في الروح
... يجب علينا ان نكون عبيدين على وقتنا، وان لا نهتم في
... ما دامت الروح تعمر، في معظم البشر، أطول مما تفعل
... وما دام الانسان لم يدرج شيئاً من عيونه للجسد (١٥)
... ان نأخذ في المعية هذه العبارات، الا انها ترمي لورنس منطوقاً
... للروح الغربية الحديثة. ونلاحظ مثل ذلك لدى
... اد انه بلغ باحتقاره للمثل البورجوازي الأعلى حد
... في عالم.

وبعد لورنس نأقح بيتفن وولفت إليه، أي اكتشاف جالز بأنه
... تلك نوعين من الآلة فحسب. وأتت لديه مشات من الآلة المتضاربة :
... أني أجد نفسي الآن متشبهاً إلى أجزاء.. فاما جسدي المنهوك فإنه
... جهوداً جارية دون تحفظ.. لأن نفسي العديدة تقول انه ليس هناك
... لا شيء تفكير فيه بكل بروء... كانت تلك الأنفس الجزائي
... وقد بلغ، «تيليبوس» هذا ومر يمثل هذه التجربة فجزأ الروح
... أو كان بلغ في ذلك منتهى الانهيار.. لرأى حرفاً مكاملة من
... ومشارعه تصطف حوله وكأنها مجرفات منفصلة قاطرة
... التي اعطاهها الحياة وهو غير بينها. (١٥)

ان هذه الحضارة التي يتجلى بها لورنس في أحمال الألم الجسدي تعبر الإنسان
... ان تخليته الصافية لم تستطع ان تدرك معنى الحرية
... الحرية الجسدية أيضاً، أما الألم فهو العنصر الذي لا يقبل
... الذي يقرر مدى الحرية الأخلاقية. إلا أن توبسيتة انضمت أكثر حين

وجد انه غير قادر على تحمل التطرف في الألم الجسدي . وكان في ذلك حين
ضربه الجنود الأتراك ضرباً مبرحاً ، اذ قرر ان لا يصرخ ، وطقاً ، الا ان الألم
تغلب على ارادته . غير ان النتائج التي يصل إليها تشير الى الطوعية الاعلانية النهائية
« غالباً ما كنا نرى - خلال ثورتنا - أفراداً يلقون بأنفسهم او يتجرعون الى
اقصى نهايات الاحتمال ، الا اننا لم نلاحظ لديهم ما يدل على الانهيار الجسدي . ان
الانهيار انما ينجم من ضعف الخلقاي ينخر الجسد ، هذا الجسد الذي اذا ترك
وحده دون ان تخونه عناصر من الداخل ، فإنه لا يستطيع ان يسيطر على الارادة .
كما ونحن نمتثلن مشهورات جيادنا ، لا نحس باجسادنا ومشاعرنا . فاذا تلاشى هذا
الانفصال في الشاء الفترات ، وورأينا اجسادنا ، كانت رؤيتنا تتصف بالعباء ، بمعنى
احتماري ، لأنها يفتق أعلى أعضائها ، لا كالاتصافها الروح ، وانشاء لها بتسحقها
واغلاطلا لا تفعل أكثر من بث الخصوبة في أرض ساحة المروحة . » (١٦)
الارادة مطلقة ، الا انها في نظر شوبنهاور لا تستطيع ان تعارض حريتها
النهائية الا بالقي . غير ان الاعضاء باهينها الطوعية يعطينا مفتاح حياة
لورنس : فإنه لم يتطوع عن تجربة قوة ارادته .

الاول : انه ان مفهوم يقول بأن الجسد يصل الى لعل أهدافه بتحقيق اكمل آية
 الثاني : اي الى مفهوم صوفية يومه ويليك ، أما الفكرة الثانية فانها تفقد
 الثالث : ان تنظيم للمحوس يؤدي الى تذب الخواص ايضا .

في العرب أن يكون كواضيل باركو قد أرسل إلى لورنس نسخة
من رسالة إلى لورنس في رسالته المؤرخة ٧ شباط
١٩١٤ م. أما أنها لا فلا غفك حيلة على أن لورنس رأى الغمك
في الرسالة في إجازة لورنس أو أويلر كواضيل

وأجمعها ، وقد قال الأستاذ النجوز مابقاً : « انه ليس نفسه » ولم يقسم لورنس
نفسه الى قسمين كما يفعل هابز ، ثم يقول « يكره الانسان الذنب » ،
وانما كره لورنس تعقيداً كاملاً من الجسد والعقل والاشغالات ، وتلك
افكاره على نفسه بمثابة القيد الخلاق للالة العقلية ودوافعه الحيوية .

وليس هذا المركز غريباً على القديسين والمصلوفين ، وكان من سوء حظ
لورنس ان لا يجد مؤرخاً لحياته ليعالج تضاده الروحي ، وبلغت الشغالات التي
دارت عن شهرة لورنس أوجهاً في المحاولات التي يلقاها الذنكون للتعريف
بلورنس على ضوء « غم نفس » فرويد الذي لا يكفي في هذا الصدد ، الا ان
« معضلة لورنس » يوضحها لورنس نفسه في « أعمدة الحكمة السبعة » ، فليس الانسان
واحد وانما هو متعدد ، ولكن « لكي يفعل شيئاً يستحق المجودة » يجب عليه ان
يكون واحداً ، ويجب ان تتوحد تلكه الشخصية ، اما الشخصية ، ذلك الوهم الذي تجده
حسارنا الغريبة توسع عليه كثيراً من الالهية ، فانه انما يزيد من التقسيم الداخلي ، مما
جعل لورنس يعتبر الشخصية « الذئب » اعنائه . وحله فان حربه ضد
« الشخصية » هي حرب ضد الحضارة الغربية .

وتأخذنا اعجازات لورنس الى ابعد من هذا ، فان هذه الحرب لا يقوم بها
العقل وحده ، لأن الشخصية انما تتركز على هذا العقل ، وانما تقوم بذلك
قوة الارادة التي تكون اعظم كلها كان يستند المذهب الاخلاقي . اما واجب
العقل فهو ان يثبت هذا المذهب الاخلاقي بواسطة التحليل النفسي ، فاما
ليستعاضاً بهذا ان يعرف العدو ، استطاعت الارادة ان تعمل ، لا ينعاض
الا ما بعد المذهب الاخلاقي الذي يستند من جلده .

فانما كان هذا الاستدلال صحيحاً ، فان مشكلة اللاعنتمني ليست جديدة
ذلك لان لورنس ينظرنا الى التاريخ الانبياء يتبع نموذجاً معيناً ، فذلك الذي وسط
الحضارة ، ويرفض مقاييسها عن الوجود للذي المبتاز ، ويؤيد الى الصخر من
ثم يعود ليشرح بين العالم ، بالشدة الروحية ضد الطائفة الجسدية . شفاء اللاعنتمني
اذن هو شفاء الانبياء ، انه يصحب من غرقه كالغريق في الزوايا المظلمة ،

ويشرح وحيداً ، راضياً عن الناس ، (وكان الجنين الذي يحس به مفكرو
الدين دائماً الى الصخر جيناً لا يقاوم) ، انه يفكر ويحلل ، ويبط
الى نفسه ، « لا لأنهم قد يجدون الله هناك » ، وانما لأنهم يستطيعون
في تلك الوحدة أن يسعوا الكلية الحية التي جلبوها معهم وهم مثلكون
لها . « وتظهر رسالة التي شيئاً قبيحاً ، وهي لا تحتاج الى ان تكون
شأن أخوية ، ملقا ؟ ما دام الدافع إليها سليماً لا بالاختراز .

الذي يخلص يتوفر فيه من الاستقامة الروحية أكثر مما يتوفر في الآخرين .
استرخاؤهم بشدة ، فيشر بأنه مقدر الى اختيارهم بذلك ، على انه هو في
الاية الأمر ، كاللاعنتمني ، لا يعرف نفسه جيداً ، ليقيم القوة الدافعة وراء
« الله » ولما تجده معنياً بالذكور ، لا بالعقل . وسرنا في الالامتنين الذين
مستهم في بقية هذا الكتاب ، ظهور العنصر النبوي برفوح في اللاعنتمني .

لقد دنا البحث في أعمال هنري على الشغل اللاعنتمني بالألم والموت .
واحد الصفحات التي يقص لنا فيها المعركة الأخيرة التي يخوضها ايل سورده
في « لمي تفرغ الأجراس » من أيدع تلك المشاهد التي تحيل بها القصة
الى شاعر الجنوديين يقودهم ايل سورده ، وهم يراقبون القرباب الطائرات
التي تستعصم . بيتا بعيد السبي اكتاشو بعض التعابير التي سمعها من
بطلة القصة الشيوعية باسوتازيا . ثم يكف عن ذلك ليحل : حيث إنها
الأمارة . القابعة بالرخة . في حين ترحل الطائرات فوق رأسه . ولا
تنتهي في تلك اللحظة إلا جده العبارات : الآن . وفي سبعة مواسم

ولا تنهي رجع خطوات حتى يكون كل فرد على الشئ ميتاً
العارقة التي يصف لنا بها هنري موتهم المفاجئ ، شيئاً في مقالة
مما ان الله وضعه تلك الحادثة يفرق من الوجهة الدراماتيكية بين سورده
« عاقل » ، « فذلك هنا ان الهاتين الخطرتين تلاحقان ، الله
جلبوه في الجلس الالهية من انما عقده .

تعتبر هذه المسألة عند بعض اللامعبرين المشكلة الحقيقية الوحيدة . وهي من حيث الأساس تشبه مشكلة عدنان ووكائيل ، إلا أنها لا تعبر عن الإنسانية ضد الوجود العساري ، وإنما عن «علموح للحياة ضد الموت» . على أن تأثير هذين التعبيرين واحد . فهو يفتي لأرادة الحياة . ولذا نحتاج هنا إلى تكرار أن الحل الوسط لا يجدي ، وكذلك لا يجدي الاعتقاد بنظرية اتصال الروح ، أو حياة ما بعد الموت . أو بفكرة العودة إلى الحياة ثانية ، وإنما الذي يجدي هو الحل الوحيد ، دون أن يتصور شيئا من مبدأ « يجب أن تؤمن ثم تفهم » . غير أننا سبق أن قلنا أنه لا شيء من التفكير يمكن أن يقود إلى الحل النهائي ، وأنه ليلوح أننا وصلنا إلى رفاق مسدود آخر ، إلا أننا إذا تتبعنا هذا النقاش عائلتين إلى البداية اكتشفنا أن هذا الرفاق المسدود يبرز حين يظهر مفهوما «الفهم» و «العقل» . أن مبدأ « يجب أن تؤمن لكي تفهم » لا يتفق الاستمسي من استخدام عقله ، إلا أنه يتطلب استخدام وسائل أخرى إلى جانب العقل . وعليه فإننا سنوضح هذه المشكلة فيما ينشئ من هذا الفصل ، بحيثين في حياة وجدين لم يكونا من الفلاسفة بأي حال من الأحوال ، وإنما كانا رساما وراقصا .

ولد فست فان كوخ في هولندا عام ١٨٥٣ لعلى بروستمان . وبدأ يرسم حين بلغ التاسعة والعشرين . ولم يمر تسع سنوات على ذلك حتى أطلق على معلمه رصاصة من مسدسه ومات في لوفرب ، في مقاطعة بروفانس في آب ١٨٨٩ . وكان قد عاش حياته كلها معانيا من نوبات عصبية متصلة . انتهت به في بعض فترات العامين الأخيرين من حياته إلى الجنون المطبق .

يعتبر فان كوخ أعظم كتاب الرسائل بين الرسامين ، وما قلنا من قبل إذا قلنا إنه يدين بشهرته لرسائله وتاريخ حياته الذي بناه المؤرخون على تلك الرسائل أكثر مما يكون ذلك للروايات نفسها . على أن قصة هذه الرسائل بالذات البتة « كوسيلة تعرف بواسطتها حقايقا فقهية » لا تزيد على قيمة النقاش والتكسب التي اعتمدنا عليها في بحثنا السابق . لقد كان رساما ، وهذا من الأدلة ثم سمعته بالانطلاق الحقيقي ، وإن ما يغربنا فيه هو ما نعرفه من

أما في حياته وما قرأه في الروايات ، بالإضافة إلى صحته المتهمة الأولى ، أنه في هذا الكتاب ، لأنه لم يكن كاتباً ولا متفكراً عملاقاً .

م نحن مهلاً أن نعي المرء مع فان كوخ ، لأن نوباته العصبية جعلت حياته مشكوكاً فيها دائماً . لقد برك البيت وهو في السادسة عشرة للعمل في مصنع للرسم في لاماي ، ثم جاء إلى لندن بعد أربع سنوات للعمل فيها . وفي لندن ضاعف حبه الفاضل لأحدى الخيالات من ميتة إلى التأمل ، ومارس البيت إليه إلا أن جو البيت سرعان ما قسم وضار مشحوناً بالثوار . ولم يلبث أن خرج عفاً إلى لندن ليقنع تلك الفتاة ثابته بالزواج منه . ولم يكن أيضاً . ولم يكن فان كوخ بالرجل الذي يتقبل مشاكل الحياة . وإنما خللت تلك الحياة وتلك الشقاء أحسن الجروح في قلبه .

أما في العالم التالي قرأه في باريس «قلائد أزهار» صوفيا ، إذ كان في الأجيل وبدأ يعلق عليه . ولم يدعه علم قضاة يعيش في سلام ، فدخل على عمه وأعاد إلى لندن حيث عاش في الأحياء القذرة حياة آثاره النفسية إليه . وكان الخناس الذي يشغل أذهان الناس في تلك الأيام ، بها جدها يقرر أن يكون قساً مثل أبيه . وهو عام آخر ، واشتد قسنت إين حال الملاحم في بورنيانج في بلجيكا ، وأعطاه أباهم . مؤرخاً ورواية عليهم .

معاً فيهم فلاسه ، حتى لقد أصبح لندسهم قسراً لا يريدون في ما . فان في الرواية أيضاً . لأنه كان من الخفا أن يفسر أن قدر هؤلاء العالم لا يد . ففهم أن العائلات معه باعتباره قديماً يعاني الخزي والقر من أجابهم . وهكذا قال فيهم . كما كان يدين أفراده اليورجيزيين في هولندا . وأخيراً أرسل أصدقائه رسالة إلى رؤسائهم فيها يشهدون قسنت ، فاستدعي من مسدسه .

في ذلك الوقت رصاصة في السنة الأخيرة من حياته ما عاها في كبريات الناس .

في تلك تلك مرة خاطرة عصبية طيات منجاب أحسن . وماذا .

بلغ العبد العبادة الملقاة التي يلوح علوماً في أبن أبنه الناس .

في ذلك بعض اليورجيزيين .

التي تجده فيها ما وجدناه في قبعر العيون من الضمائم واضطراب وخطوط حمراء ، ويمكن على اللوحة كلها ضياء كبري . انما ترى في هذه اللوحة ، الشال ، ما رآه فان كوخ في بيته الدينية .

قرر فان كوخ أن يدرس الرسم ، وأشعره هذا شيء من الضمائم الفترة من الزمن ، إلا أنه تورط في حب فاشل آخر في العام التالي . وكان فشله هذه المرة من القسوة بحيث أنه فكر في الانتحار . وبدأت حياته بعد هذا فشله مظهر الرجل الوحشي الذي يثير الشك والانفعال في نفوس أولئك الذين يعيش معهم . وزار فان كوخ أقرباء القسوة التي أحياها - وكانت ابنة عمه - ليقتنعهم بتزويجها منه ، فأنجروه بأنها لم تكن في البيت ، إلا أنه استطاع أن يرى من ترتيب المائدة أنها كانت هناك ، وانما غادرت مكانها حالما أعلن قدومه . وقد فسدت يده إلى شدة قربة وقال : « دعوني أراها طيلة المدة التي أستطيع خلالها أن أحصل هذا الألم وهذه النار » واختطف أحدهم الشمعة ، ثم سمحوا له بوقية الفتاة . إلا أنه لم يحصل على نتيجة مرضية من ذلك . وكانت تلك آخر مرة رآها فيها .

ومر عام آخر ، وفان كوخ منهمك في الرسم ، والنظ امرأة حاملاً من الشارع . بعد أن تغلى عنه جميع أصدقائه ، باعتباره شخصاً مجنوناً ، إلا أنه لم ينتج في حياته مع هذه المرأة أيضاً . وبدأ الرسم يخفف شيئاً من لوتراته العصبية ، فكان كلما تغلب على نوبة من نوباته يزيد قوة في تعبيره وأصدائه . وتأثر بالانطباعين في باريس فأصبحت لوحاته أكثر إشراقاً . وكان أخوه ثيو يساعداه بالمال ليعيش به ويتصرف إلى الوم . إلا أن ثيو نفسه حليفه الدائم الوحيد . لم يستطع أن يحصل العيش مع هذا الرجل المتوحش ، وأخيراً بلغ من زخم النوبات العصبية المستمرة عليه أنها دهورت صحته إلى جده كبير ، فترك باريس . واتجه نحو الجنوب في عام ١٨٨٨ ، حيث التقى هناك بكوكاين ، الذي لم يستطع العيش معه أيضاً . فافترقا ، بعد أن حاجبه فان كوخ بموسى الخلافة . وكان أن برز فان كوخ الخلفى أدريه بتلك المومى ووضعها في جليه من على القارب القارعة وأوجدها إلى إحدى فتيات الجلي الأولى . وتبعته ذلك

مراث من الجنون المطلق ، فظل إلى المستشفى ، حيث لم ينقطع عن الرسم . وكان أسلوبه في الرسم قد تطور وتجل خلال المسن الأخيرتين ، ولم يعد لوحاته تمثل مشاهد طبيعية واقعية ، أو مشاهد داخلية يلوح فيها تأثير راييه والمدرسة الهولندية ، وإنما صارت اللوحة أقوى ، بل أنه يبدو في بعض لوحاته نوع غريب من القوضى التي تجعل الأشجار وحقول الحقل والبيوت والحدائق وكأنها تحترق وتبث منها ألسنة اللهب . على أنه لديه لوحات أخرى هي ، على عكس هذه اللوحات ، التي تمثل عواصفه اللعنية ، هادئة . ومنه بالمر والسكون . وقد رسم عدة صور للأشخاص حين كان في المنفى ، بل أنه رسم صورة لكل من رضى بالجلوس له ، بالإضافة إلى بعض صور الحيلة الساكنة (الأنات وغيره) ويلوح في بعض صور الأشخاص التي فيها شيء من الترويق الذي يذكر الناظر إليها بالقوش اليابانية ، وفي حين أنه صور الحيلة الساكنة تتميز ، على عكس صور الأشخاص ، بتوحيدها ككل التي تجدها لدى ميكيل أنجلو ، ومن تلك الصور «الكرسي الأحمر» التي قال عنها فهو كان يعطفه لم يرسم أحد كرسياً كهذا قط . فظل فست من المستشفى في أول إلى مصحة الذكور كشافية . واستمر ثيو حتى إرساك المال إليه . إلا أن مسؤوليات ثيو ازدادت الآن ، لأنه تزوج ، وأصبح راسخاً في الحياة . وكانت بالإضافة إلى ذلك ، كثيراً ما يعدم الجدل بينه وبين أصدقائه معرفته الفني الذين لم يعجبهم ميل ثيو إلى الرسامين الشبان . وبدأ فان كوخ الآن يشعر بأن حياته صارت عبئاً ثقيلاً على العالم ، بالإضافة إلى ما هو من أن يسلط الجنون النام . وكانت آخر لوحاته هي «حقل حقل وغربان» ، وهي لوحة رائعة ، وهي لوحة رائعة ، تهدد بموت شديدة . وطريقاً يبدأ على

الى عرقته ، حيث مات فيها بعد يومين ، وكانت آخر كلمة له قبل قوله :
 « لن ينتهي الشقاء » . وجاء في رسالته الأخيرة ليبي ما يلي : « أما بالنسبة لاجتماعي
 الفنية ، فقد أصبحت عياني من أجلها ، ومن أجلها فقدت نصف عقلي ... »
 ان حياة فان كوخ تذكرنا بكلمات هيس في « دميان » ، اذ يقول : « ان
 حياة الانسان هي طريقته الى نفسه ، الى الادراك النفسي .. » أما في حالة
 فان كوخ فان الادراك النفسي يعني التعبير النفسي ، وهو بالنسبة اليها «
 كرماس » ، فنان حقا ، الا أننا يجب أن نذكر أنه عاش أربعين عاما ،
 ولم يدرك أنه رسام إلا في السنوات الثماني الأخيرة منها : وإنها لفترة
 طويلة أن يعيش الانسان ثلاثين عاما بدون أي انجاز . لأن معظم الناس قادرين
 على تكوين فكرة عن أنفسهم وعن الانجاز الذي ينسبون اليه قبل أن يبلغوا العشرين .
 وقد شعر فان كوخ بدينامو التعالية الكامنة فيه وبقوة ارادته قبل أن يبلغ السابعة
 عشرة ، إلا أنه لم تكن لديه أية فكرة عن الاتجاه الذي يجب أن يوجه هذه التعالية
 نحوه . انه يذكرنا بجورج فوكس الذي يعلن بشجاعة أنه لم يولد هدفا ، الا أنه
 لا يعرف ما هو هذا الهدف . « كنت فردا فرياضا بالاحزان في تلك الأيام » .
 - مستخلص لانتباهية جورج فوكس في الفصل الثامن من هذا الكتاب .
 على أننا والثقون من أمر واحد في فان كوخ حين كان شابا ، ذلك هو شعوره
 اللذي الشديد ، ولست بذلك أعني شدة انصرافه وتكريس نفسه للدين ، وإنما
 أقصد بذلك ما يوحى اليه بشي من الهدف . ولا تختلف هذا عما أحس به لورنس ،
 حين اعتقد بأنه كان واعظا أكثر من كونه جنديا . ويمكننا ، بتحليل ذلك بعناية ،
 أن نفهم منه ان هناك قوة أعلى من الانسان في هذا الكون ، وان الانسان يبلغ
 اسمي أهدافه بخدمة تلك القوة . إلا أنه من الضروري أن نتذكر في
 الوقت نفسه مفهوم هيس الذي يقول بأنه ليس هناك انسان ، (الانسان
 هو الذي يورجوازي مدعى) أي أن الفكرة الدينية البدائية عن ملائكة
 الانسان غالقة فتهاوي أمام تعدد اللامتنى ، وهكذا يرجع اللامتنى الى عدم استطاعته
 أن يجد دائما حليدا ، ولأنه يميل الى اعتبار وجوده وإنكاره كنتيجة لخطيئة ما .

هذا هو جوهر فان كوخ ، لا كفتان ، وإنما كلامهم بغير الحياة مؤالا
 ذوقا قاعلا يتطلب منه أن يجد جوابا له قبل أن يعيش تلك الحياة . وقد
 مله تجاربه الأولى أن الحياة هي أبدا مع الانسان وضدته ، إلا ان حيله
 النبيلة جعلته شاعرا بصورة غير اعتيادية بقصديته الحياة وحدها ، بشقاء
 « شقاء العالم » ، فالصبر بكل قواه بلحاظ عن وفاء أصيل مطلق مع الحياة .
 وهو « كفتان » ، يجد بعض تلك اللحظات التي يكون فيها على وفاء مع
 العالم ومع نفسه ، حين يشعر مثل ميرسون : « بأن الكون ونفسه هما من
 طبيعة واحدة » ، اذك تلوح حياته عادية ، بل تلوح شقاؤه أيضا حاديا ،
 أن يقية أوقاته فهي كفتان من أجل استعادة أمثال تلك اللحظات التي يدرك
 فيها ذلك . فلو كان هناك نظام في الكون ، ولو استطاع أن يفهم هذا
 النظام أحيانا ، ويحس بأن نفسه على وفاء تام معه ، فإنه سيكون قادرا على
 فهمه ولعله ، بما يجعل تلك اللحظات شحنة الاستعادة باتباع أسلوب ما ،
 إلا أنه كما يؤسف له ان تتعقد المشاكل أكثر لدخول عناصر جديدة
 تأتي من حاجات الانسان النافذة التي تسيطر على انتباهه ، كالرغبة في مرافقة الناس
 وفهمهم وللشعور بالمشاركة في الحياة الانسانية الاجتماعية ، بالإضافة الى
 الحاجات الضرورية طبعاً كاللأوى والطعام والشراب ، ويحاول الفنان ان يصرف
 انتباهه الى هذه الأشياء ، إلا أن ذلك صعب أيضا ، توجد عدد جرم من
 الأشياء الأخرى الهامة التي يجب أن يفكر فيها أيضا ، ويزيد الطين بلة ما
 يبديه الناس من عناد يجعل الانسان يسأل نفسه دائما : هل أنا عظيم ؟
 ويؤدي هذا بالفنان الانتمشي أحيانا الى التفكير بالانتحار ، الا أنه قبل ان
 يصل الى هذه النقطة يحس بأن الكون صار يعني شيئا من جديد ، ويدرك
 شيئا من الهدف . زد على ذلك أن هذا الشعور بالوفاء لا يشبه ما يلوح
 على الطفل التام من ذقة والسجام ، وإنما هو اشتعال لكل الجوانس وشعور
 عميق من الادراك لا يعزفها البورجوازي العادي . انه يشعر بأن هذه الحالة
 هي الأمر الوحيد الذي عمله حين يجلس يعاسب نفسه عن موقف الحياة منه ،

كم هي مضادة وكم هي مؤاتية ! وقد يدعو المسيح هذه الحالة ، بالشعور بابوة الله ، وقد يدعوها المتدوسي ، بالشعور بأبوة الله ، الأمر الذي يقضيه الفلاسفة يفهمه تلك الحالة على أنها شعور يشبه الله سبحانه والطفل الى أمه ، ومنها تعددت التعاريف فلها جميعاً تصف هذه الحالة نفسها التي لا يعرف عنها البشر شيئاً ، فما يجعلهم عاجزين عن التعبير عن هذه الحالة حين يشعرون بها ، فإذا عدنا الى لوحات فان كوخ : وجدنا هذا الفن معبراً عنه بلغة الرسم بدلاً من لغة الكلمات . وقد بسخر الكتاب الصوفيون ، من مثل هذه المحاولات باعتمادها غير كافية لتصوير المعنى المطلوب ، الا أنهم لا يلاحظون ان هذه المحاولات ، على ضعفها ، تخفف كل ما يعرفونه عن الواقع ، وتبعد عن حالات قد لا يحس بها كثير من الناس إلا مرة واحدة في حياتهم . ولو نظرنا الى لوحات فان كوخ : بسلامة وقبول لا انتقاديين ، كشعورنا مثلاً حين نسمع برمودز الرياضيات العالية ، فالتأثير فينا أكثر مما نراه لو نظرنا مسلحين بصلاح النقد ونقيجيم العقلي . اننا حين نرى لوحاته على هذا الأساس ، نشعر بأنه قد علم طبيعته التي نغيرها فكره ، من لوحاته ، وأبرز فيها بدلاً عن ذلك ما نحن اليه لورنس دائماً : المباشرة في الادراك الحسي ، بالإضافة الى شعورنا بأن استجابة الحياة ومعاشتها ، قد اختفت في هذه اللوحات ، لأنه ما دامت الحواس قد استيقظت فإنه لمن غير المجدي التحدث عن الحياة الإنسانية . هناك شعاء حقاً ، إلا انه لا يهم ، وإنما المهم هو هذه الحالة فحسب ، هذه الحالة التي يحاول فان كوخ أن يعبر عنها في لوحاته بالشكل والالوان ، نحاول الحظفة التي تغرق في شلال الضياء الذي يكاد يؤلم العين سطوعه ، باللبلة التي تبرز فيها النجوم والتي يلوح في سماواتها ما يشبه الضياء الأملح المنطفقة ، تلك السماء التي لا تعود نجومها نقاطاً حجم أس الدبوس ، وإنما حلقات ودوائر من الضياء ، وبأشجار السرو التي تشبه الثوب الأخضر ... بل ان فان كوخ يصور المناظر الداخلية ، كرسياً وحذاء صغيراً ، وكومة من الصل ، بالسطوع الذي يصور به ايل غريكو العذاراء .

إلا أن فان كوخ لم يكسب المعركة بصورة نهائية ، إذ انه في اليوم التالي لرسوه كرسياً ، بطريقة لم يرسمها أحد من قبل ، وشاحر مع كوكبان وكتب رسالة عاصفة الى ثيو ، في حين كان فنه يلوح في أوقات أخرى ميتوساً منه ، شيئاً . لا أمل فيه إطلاقاً . ان آخر كلماته لثيو هي كلمات انسان يشعر بأن الاعتذار لا مفر منه ، وان الحياة عبارة عن مصيدة تنجني الى نذر من الطمع ، انسان يتحرر ليهرب من ضرورة الوقوع في هذا النجس ذاته ولا تصور آخر لوحاته منظرًا طبيعيًا مصطبهاً بطبيعته المتخافضة المبهوكة فحسب ، وإنما تعتبر ملخصاً لحياته كلها عرفها هو ، ولقيه هذه الحياة .
 إلا انه يربنا في لوحات أخرى فأكدنا على الحياة لم يأت مثله فنانان اخر (باستثناء ايل غريكو) ، ونسباً عن الروح لا يمكن أن يعبر عنها بالكلمات : التصوف الطبيعي ، فقط . لقد كان ودهزوث متصفاً طبيعيًا ، وقد تمز عند تعبيره عن هذا النوع من التصوف بعقبة قائمة « مر جيوفواه وفوم السماء الآخرين » دون أن يشتر ذلك في نفسه شيئاً من الانفعال ، أما الطبيعة ، الطبيعة التي تبعث على الغبطة .. الخ (كان ولزم بملك أيضاً حرمواً طبيعياً ولكن بمعنى أعمق ، وقد خلق على هذه المقاطع في حواتي نسجته من - البرقة - بتعلقات عتيقة جداً) . ونحن نعرف ان المتصوف القدسي الأميل انما يستل في مقبوض يوهبه ، وتوماس ترافرتون : الذين اعلموا بالله في الزوج ، كاهنهمها ، بالله في الطبيعة ، ولهذا لم يشتر أحد اليها بالعبارة متصوفين طبيعيين ، وينطبق هذا القول على فان كوخ أيضاً . ان الطبيعة تعكس ما يراه في داخله ، فإذا لم ير شيئاً ، فان لوحاته ستكون صورةً طبيعية تشبه الصور الفوتوغرافية ، أما اذا رأى شيئاً في أعماقه ، فان هذه اللوحات تعبر عن رؤيا لا يمكن التعبير عنها بالكلمات ، ولها تسير باتجاه معاكس . فحيناً تسمى الكلمات في الجاه أضي ... تأخذ هذه العناصر اجلاً حاداً . أما نقطة تقاطعها فيمكن أن تدعى بالميكروية (هذه

الكلمة هي الترجمة المطابقة لاحدى كلمات ايكهارت ، ، واذا قارنا لوحة فان كوخ ، مساحة السجن ، بالأصل الذي نقلها عنه والذي رسمه دودويه . فالتا نرى ان فان كوخ كان أكثر رؤية فيها . فهناك المزيد من الضوء ، بالإضافة الى أنها في الوقت نفسه أكثر واقعية من لوحة دودويه . ان كرسى ، فان كوخ أكثر من غيره من الكراسي ، وأزهاره الشمسية أكثر من غيرها ، أما كلمات روكناتان : « كنت كالآخرين .. إلا اني لم أكن أشعر بأن ذلك الطائر كان موجوداً .. » فانها غريبة على فان كوخ ، ولا يمكن ان تنطبق عليه بحال من الأحوال . كان فان كوخ اذا رأى شجرة مورقة ، شعر بوجودها بصورة شديدة ، الى درجة انه اذا أراد رسمها ، لم يستطع ان يرسمها شجرة (كما ينظر من كوستابل مثلاً) ان يفعل (، بل لم يستطع حتى ان يراها المسحة العامة التي تتميز بها شكل شجرة باستخدام الألوان (كما فعل مانيه والانطاعيون) ، وانما يرسمها متفجرة بالحياة ، تلوح وكأنها مشتتة بلهب البنغال . وليست طريقته في ذلك بسيطة ، بحيث يستطيع أي مغفل أن يفعل ذلك ، وانما هي طريقة في الاختصار ، طريقة جبل عليها ادواكه . طريقة يمكننا أن نتأكد من اختلاصها وأصالتها ملاحظتنا التطورات التي عاينها رؤيته لهذه الشجرة في أثناء رسمه لها . بل نستطيع ان نقارن لوحته « منظر طبيعي قريب أوفر » بأية لوحة من لوحات سيزان التي رسمها هذه البقعة ذاتها . إذ نرى ان الفارق بينها ليس غافراً في الطريقة الفنية ، وانما هو فارق في طريقة الرؤيا ، فقد ترجم سيزان ما رآه الى ضربات قصيرة لاحداها من الضراقة ، باذلاً في ذلك جهداً كبيراً ، كما فعل هنري جيمس حين كتب صوره الوصفية عن المجتمع الأوروبي ، وتبورت نتيجة ذلك بظهور نوع من النظام المبتق عن اتباع سيزان ل أسلوب معين . ويمكننا ان نفهم من لوحات سيزان كثيراً من التفاصيل عن سطح الشيء المرسم وسعده عن العين . وعن ارادة الرجل الذي فرد أن يظهر هذا الشيء بصورة كاملة ، إلا اننا لا نفهم فيها شيئاً عن أساسيات سيزان ، أي حين

نستطيع أن نلاحظ ذلك في لوحات فان كوخ ، ونستطيع أن نرى عليه الأحاسيس والانفعالات الخطيرة التي لا تقتصر على ما تثيره الطبيعة في الانسان من مشاعر فحش ، وإنما هي أحاسيس تتعلق بإدراك ملحوظ لطبيعة الحياة نفسها . ان رسم سيزان هو رسم فحش ، وأنه لرسم عظيم القيمة ، إلا أن رسم فان كوخ يتميز بميزات اللافتة ، انه رفض اختياري ، يقوم به رجل اعتبر حياته الخاصة تجربة في الحياة ، اله رسم يسجل بأمانة كل حالات مزاجه وتطورات رؤاه بطريقة تشبه طريقة « قصة التاريخ الشخصي » . وقد تلوح طريقته في تحليل لوحات فان كوخ للضاد الفئتين طريقته أبعد ما تكون عن دولته كفتان ، وذلك صحيح ، لأن أهداف هذه الدراسة لايهما فان كوخ كرسام ، وإنما كلاسّم اختار الرسم للتعبير عن نفسه . فليدا انتهينا من اعتباره لامتصاً ، وجدنا التعريف الذي تحصل عليه من فان كوخ لمشكلة اللامتص تعريفاً مهماً جداً . انه يشبه لورنس في أنه هو أيضاً كان حائراً في اتجاه إدراكه .. أين يجب أن يوجه قواه ؟ وغالباً ما تراه يثقل من قيمة نفسه ويرفع من قيم الآخرين ، وهذا ما كان يختلف استداه قوية في لوحاته كلما انفصل بالناس . أما غويته فقد بنى حول نفسه ، حين تقدم به العمر ، جداراً عقلياً ، لم يستطع الآخرون أن يظلوا به سواء كانوا مانحين أو قاذبين . ولو فعل لورنس وفان كوخ ما فعله غويته ، لأخذت الحياة بالنسبة اليها طريقاً آخر الى اتجاه مختلف عن الاتجاه الذي انتهوا اليه . تلك هي الناحية السلبية من مساعدة فان كوخ في المشكلة ، أما لانحيازها الإيجابية فإنما توحى باتجاه فكري هام . ذلك أنه هو « لورنس قاما بإدخال عنصر جديد على مشكلة اللامتص ، وهذا العنصر هو مفهوم النظام ، إلا أن هذا النظام لم يعد عقلياً بالنسبة الى فان كوخ ، وانما تطورت قوة إدراكه في اتجاه الانفعالات . وتواجهنا الآن حقيقة أن لورنس وفان كوخ فشلوا معاً . وقد سبق لنا أن نقلقنا الى بحث فشل المعرفة الباقية الذي يسب نوعاً من مركب القبح ، إلا أن معضلة هذا

لنقل تختلف في الرجز - ولنستطيع أن نعيم من هذا الاختلاف بقولنا
أن ذلك كوخ أحسن وأكثر مما يجب ، تماماً كما فكر أورس وأكثر مما
يجب ، فالأول أحسن بدون أن نقم ، في حين فكر الثاني بدون أن يجب
وخل أن تخصص مقامي هذه النتائج . وعلاقتها بالانسي بصورة
بذرة . علينا أن تخصص مقصراً ثالثاً . ذلك لأن علينا الرجزين بدلاً
بروح واحد من النظام الحسني ، والشرقي والموح . الحج . وكانت
حيدهما الأول في هذا النظام علاقتنا الحقيق البطرة على حديدنا .
أن كل محاولة مبطل لا تحتاج شيء ، وما من محاولة الانسي لكس المبطرة
أن تكون مفعلة كل الاقتراح أن لم تسدحها دراسة لأغتم كذا ، معنيا بصورة رئيسة
السيطرة على الجسم ، ولذا يجب علينا أن نصرف الآن إلى مثل هذا الانسي
على أن نذهب أبعد في تعميق حالتي لورس وفان كوخ على الآخرين . ولهذا
نشر من الظهور والاشك الذين يصلحون ككادج لهذا الغرض ، لأن كل هؤلاء لا
يتوافق مع الشروط التي لاحظناها ، والتي تقتر من أن الانسي يجب أن يبدأ شيء
والاشك يقتر ما يعني الأمر الذين . إلا أنه يجب أن لا يبدأ بالذين ، وإنما بأشك
هذه أن يقبل وجههم ، بالعلم والحياة الانسية . وهذا ما يصغر مدى
الحكمة التي بحثها الآن ، لأنها ونحن الخط علك مثل هذا النموذج
والألف عسكي ، راقص الياله . الذي ألفت مع كتب الثورة .
أن أعزها تاريخ حياته الذي كتبه زوجته . وكتب الخاتول يومك
عسكي ، الذي لا يمكننا أن نعتمد عليه كل الامعان . ذلك
أن الذي نريدنا بالشيء الكثير عن تفاصيل حياته ، إلا أننا علك ما هم أهم
هذا كله . أما علك ، فمذكرات عسكي ، التي نشرت في عام ١٩٢٦ .
سبح لنا القوة إلى حالته العقلية مباشرة قبل أن يصيبه الجرس .
لأن نحن هذه المصافر كلها أكثر مما يحتاج إليه لغرض هذه الدراسة
لأن أن عنصر المأاة موجود في حياة عسكي منذ ولادتها . فحين
حاله مباشرة دائماً . وكان أبوه راقصاً ، منافر إلى جميع أنحاء

مسألة : ثم أتت بمؤلفه للمعاني على الأصناف ورويته

[illegible][illegible]

وغيرهم. أما دياكليف شخصياً فلم تكن لديه أية ميزة جلدية ، وإنما كان رجلاً أعمال بين كل أولئك الفنانين . وقد جعله هذا يلوح متججراً ، أما اعتقاده بأنه مجرد لائق الفئتين قدميزه بتركيز ذاتي شديد، وهكذا توفرت له كل الصفات التي نلحدها في مرضى الشذوذ الجنسي : الشهوانية ، والغرور ، والحبول العقلي . كان أول ما دفعه الى الإعجاب بنجسكي هو شذوذه الجنسي . وفي هذا تحدثنا نجسكي في مذكراته قائلاً : « لقد كرهته لأن صورته كان قوياً معدداً ، إلا أنني لبيته - الى غرفة دياكليف في الفندق - لأنني كنت أشد المشتغل .. وبدأ ... فسمحت له بمباشرة يد ... وكنت أكره ذلك ، إلا أنني تظاهرت بأنني كنت أميل اليه ، لأنني كنت أعرف أنني وأمي مستنوت من الجوع إن أنا لم أفعل ذلك ... » (١٩) . وعند تلويح العبارة الأخيرة مبالغة من غارلاف ، إلا أنه كان مؤكداً أنه شعر بالحاجة الى المساعدة في مساعدة عائلته ، لأن نفقات الأميرة تصاعدت حين أصبح عضواً في المارنسكي ، وحين انتقلت العائلة الى شقة غالية ، بحيث إن مكاسبهم لم تعد تكفي هذه النفقات كلها . زد على ذلك أن جتون شقيقه صار من نوع الجنون الحقل العنيف ، فطلب الأمر نقله الى أحد المستشفيات والاستمرار على دفع المصاريف من أجله . وقد عرف دياكليف ان الأمر الذي كان نجسكي يشافاه من المارنسكي لم يكن ليكني عائلته ، فقصه الى فرقة الباليه التي كانه قد شكلها حديثاً ، فطلب نجسكي من المارنسكي السماح له بالسفر مع الفرقة ، وكان ان اشترك في أول جولة الباليه الروسية في باديس في ربيع عام ١٩١٠ . وما انتهى ذلك الموسم إلا وكانت شهرة نجسكي ودياكليف قد طغقت الأفاق ، ولقب النقاد نجسكي بـ « إله الرقص » وقالوا عنه إنه أحسن راقص عرقه العالم . واستمرت الفرقة الروسية في جولاتها في مختلف العواصم الأوروبية ، ثم عاد نجسكي الى بترسبرك متفقاً مع دياكليف على فتح عقد المارنسكي . وفي عامي ١٩١٢ و ١٩١٣ قدم نجسكي رقصات على مرصفتي دوبريبي و أمية الحيوان الحراري ، ، وموسيقى سمفونيك

« نجمة الربيع » ، وكان الفضل في الأول لرقصه ، وفي الثانية لموسيقى سترافنسكي ، إلا أن الباليه الروسية انضمت إليها أنظافاً مالياً كبيراً . ولم يستطع نجسكي الاستمرار على احتمال الحالة التي كان يعيش فيها ، إذ أن دياكليف كان يعتبره « زوجة » وكان نجسكي في الوقت نفسه يعمل في قلبه شعوراً دينياً عميقاً ، مما جعله يضيق ذرعاً بنحو المسرح الذي لا تنتهي مشاكله ، ويحبو الشهوانية مع دياكليف ، وتساير معه مزاجه ، وكان سترافنسكي في كل مرة يفت الى جانب نجسكي . لقد ضاق نجسكي ذرعاً بشعوره بأنه طفل موهوب لا عقل له ، في حين كان دياكليف يمثل النافذ الفني والفنان الذي يشار اليه باليدان .

وسافر نجسكي في عام ١٩١٣ ، في رحلة بحرية ليتزوج بعداً من دياكليف . وطلب فاف شابة تعمل راقصة أيضاً ، ومن الواضح أنها أخته ، وتم زواجها في برينس آيرس ، لما سمع دياكليف بهذا حتى أرسل اليه بركة بخبره فيها بفصله من فرقة الباليه الروسية .

وامتلات السنوات الخمس التالية بالفوضى والارتباك ، كانت زوجته هناريه وكانت هناريا في تلك الأيام في حرب مع روسيا وذهب نجسكي مع زوجته ليعيش في يوداست باعتبارها مديلة زوجته ، إلا أن العام الذي قضاه فيها كان نلياً بالشغب والمكائد التي كان يلعبها له أهل زوجته ، إذ كانوا يحرضونها على الطلاق منه . وبدأ عسكي في السنوات التالية لرواحه يشعر بأكثر مشاكل اللاعنسي : القناعة الذاتية . وسافر الى أميركا وقدم في نيويورك حفلات باليه . متعمداً في ذلك عمل فرقة الحارسة ، ولم يتركه سبيل المصائب والمشاق في تلك السهرة ، لأنه لم يكن تلك قنانيات الرجل العملي ، وإنما كان منطوياً متأملاً . وقد لاحظ الجمهور أن وجهه كان يشبه وجه اللامبا الصيني ، أو بودا في أحد أوضاعه ، أو أحد البائس الفرعونية . وكانت بتطلعات العالم الخارجي بالنسبة اليه شيئاً لا تحصل إلا طاعة له به . وازدادت الحرب الطعن له ، فصار يرى رؤى مفرقة تصور له الجنود القتل ومشاهدة الحرب القفرة

وانضمت العائلة الى مست موزير في كانون الأول من عام ١٩١٢ ، وكانت اولقة من تحسني زوجها وتلقاها . بدأت تلك المرحلة الأخيرة ، وبدأ تحسني بعمل في جميع حلقه اليه يخدمه ، ولما ذهب آدم وخرج هو وزوجته لثاني يوم ، ثوب الإحباط ، وفرح على علي الجديد ، إلا ان الحزن بدأ يؤثر فيه . وكان في أشد الحاجة الى أن يفعل شيئاً جانبياً لانهسك في كتابة مذكراته . ولم تكن هذه المذكرات إلا آراء عامة عن مختلف الأشياء ، واستطاع أن يجمع خلال ذلك في رسم الحيات والأقواس ، ونقلت لوالده حادثة بعد حادثة المحزن تولستوي ، وبدأ في تلك الأيام يتحدث الى زوجته عن ترك الرقص والعيش في زيموفا في روسيا ، في جنل نورنا في قبر . ولم تستطع زوجته الصبر على ما يبدأ بفعل بال زوجها من أفكار ، إلا أن تحسني لم يدخل عن التفكير في ذلك ، وأضاف عليه تذكره في تولستوي وبتوليستوي ونيتشه . وفي أحد أيام الاتحاد ، قبل خادم شاب عن زوجته لعلها إن تحسني كان جالساً وسط شارع المدينة . لابساً الصليب عذراء دانه . وهو يسأل امرأة عما إذا كانوا قد فهموا أن الكيفية في حياتهم . كأنه ذلك الخادم قد سمع نيتشه في طفولته ، فأضاف قائلاً : لقد اعتاد على أيضاً أن يجلس في الشارع . قبل أن يأخذوه . واستشارت زوجته أحد محبين النصارين . واكتشفت في غرفة مكتبة سوما ومخططات ملونة بيعت له وسرمداء ، وشبه الأفعلى التي تلقى على جثث القتل في متارح الجثث ، فليما يملك عنها قال لها : أيتها وجوه الجوده القتل .. أيتها الحروب . ولم يبد تحسني غفلاً مع زوجته إلا مرتين ، وانما للاح لها وكأنه غريب . غير أنه حدثت حادثة الزواج بالله . ثم طلب اليه أن يرفض أمام جمع من الناس خوفه وحقاً لمدة نصف ساعة . ويقول زوجته في هذا : إن الجمهور . وكأنه واقع تحت تأثير الشغف القساوي ، وغير قابل للتعب . وما بعد ذلك الحروب . بنقلها وموتها . الحروب التي لم يفلح فيها شعباً . وما بعد ذلك الحروب . (لا وكانت حركته في تلك الرقصة تعذرة . كان الناس

بالوحوش وكانهم يقولون ان صحرانا قد اظلمت ايام وقصصه غير انها لا
تصور بأكملها في "الجزء الثاني" (٢٠).

ولم يفل الأمر بالنهاية : إذ أخبرها أحد المحللين الطبيين في أوروبا
بعد أسابيع قليلة : قسداً : « يجب أن تكوني شريفة » : إن ما عليك
تكون جيناً لا يرضى شفاؤه . وفي اليوم نفسه جاء أفرادها إلى موريج
« لا تهم باعتبار عجزكي عجزاً بصورة نهائية » . انظروا حتى قادته
بجدة الشفق ، وعليها من الشرطة أن يتقلا الزجل المجنون . وأدت
معانكهم القاسية له إلى أصابته بترية عظيمة لم ينج من نتائجها أبداً . وتراجع
مستحي إلى عظام خاص به . فلم لم تفلح أية محاولة فلت لاخراته .
وكان في عظم المسحات التي أرسل إليها . يخلق طويلاً . ولا يجب أن
الأسفة . ولا يكون لما يحدث حوله . كان فيل أن يجب . يرضيه
أمة شديدة في الاضواء بقية : في الخدود والناثل . ولم يحصل على ذلك
وما زال الآن فقد أصبح شك له باستمرار . وقد تجرد من جميع المسؤوليات
وأمر مات عتسكي في يوم الجمعة العظيمة من عام ١٩٥٥ . في أحد
مستشفيات لندن . دون أن يقطن من جنونه شيء .

ملكوته التي ملكت في عام ١٩٣٧ تتيح لنا أن نعرف سلاسله التي
أدت إلى هذه القوة عاقل في سنت موريتو. ولها ملكوته الحربية. مؤسسية
في موصلا اقتصاديا. ملكوته رجل كان يقرب من الجبل. ومخبرا
أنه من هذا العالم من يركبهم (والصلاوات). خاصة في العبادات الأولى.
في صفات الناس. في حشودهم ومخبرهم لأن الإسرائيل التي قام بها
في أن الإسرائيل التي موروها. ملكا في الأتية. لأن ذلك شأ
هو في ذلك. في الحشود في الناس التي لم أنزلهم الله (١٩١٠)
والله في ذلك. في الحشود في الناس التي لم أنزلهم الله (١٩١٠)
في الحشود في الناس التي لم أنزلهم الله (١٩١٠)
في الحشود في الناس التي لم أنزلهم الله (١٩١٠)

تلك خلقة ، هادئة ، عجيبة ما كان يحيط الأمر . مشكين من بياضه . انه يقول لنا في صفحات أخرى : « أحسن بنظرة نافذة خلقى » . أما زوجته فتقول عن هذا (انه كان أحسن أخوته البشرية .. (٢٢)) ويقتبس نجسكي عليها قسمة يقول : « دعوت بعض الأصدقاء لزيارة بالرحلات الى مالو جا .. » إلا أنه يسى ما كان يقصه علينا ، وينقل الى موضوع آخر . وقد يدعو هذا التذكير في الأسلوب ، ورائحة الجنون التي تنفوح من تلك العبارات القارية الى أعمال المفكرات بعد قراءة صفحة أو صفتين منها ، إلا أن من يوالى على قراءتها يكشف نوعاً من العقل ، غريباً ، مختلفاً تحت هذه اللاهوتية : « لا أريد موت الحواس . أريد أن يفهم الناس . التي لا أستطيع أن أذرف الدموع فيما أكتب ، وأما أبكي في أعماقي . » (٢٣) . « سأقول الحقيقة كاملة ، وسأكمل الآخرون ما بدأته . التي مثل زولا . الا أنني أريد أن أحدث ، بدلاً عن رواية القصص . ان القصص تمنع الانسان من فهم المشاعر » (٢٤) .

« التي في غيبوبة ، غيبوبة الحب . أريد أن أقول أشياء كثيرة . إلا أنني لا أجيد الكلمات . التي أحب في غيبوبة ، وهذه الغيبوبة تدعى بالحكمة . كل انسان هو كائن عاقل ، وأنا لا أحب الكائنات غير العاقلة ، ولهذا فإني أود أن يكون الجميع في غيبوبة عن المشاعر » (٢٥) . « ان كل حياة زوجي وكل حياة الجنس البشري هي الموت .. » (٢٦) . أريد أن أنفي زوجي ، في حين أنني لا أستطيع شفاء نفسي ، التي لا أريد أن أنفي ، ولست أناف شيئاً ما عندما موت الحكمة . التي أريد الموت العقلي .. وأن تمن زوجي لو قتلت عقلها . العقل هو الحق ، أما الحكمة فهي الله . » (٢٧) .

لقد انتظت هذه المقاطع بلا اختيار من صفحات الكتاب الأولى ، إلا أننا نستطيع أن نميز شيئاً من العقل فيها ، ينقل من عبارة الى أخرى . ونجسكي مصطلحاته الخاصة ، فهناك الشعور والحكمة والله . ونستطيع

أن نقول إنها مترادفات بالنسبة إليه ، وهناك العقل والمسرة والحق . وأن العبارة التي تجعلنا نفهم طريقة نجسكي في رؤية البشر هي عبارة : « ان كل حياة زوجي وكل حياة الجنس البشري هي الموت » . وبمر بأحد القنادق بعد أن يقضي وقتاً طويلاً متشاكساً يقول :

« شعرت بالدموع تتحول في عيني ، حين فهمت ان الحياة في مال علم الأماكن هي الموت . البشر بحرارة ، والله حزين ، أنها ليست خلقة البشر » (٢٨) . هذا الانسان الذي نشاهده هنا هو اللامتنى ببصره العميق الشديد ، ويشعوره بالتميز جالسي . من البشر القاريين ، الذين يفكرون دون أن يشعروا بالحاجة الى الرجوع الى أعماق نفوسهم ، ولهذا فانهم لا يقدمون أفكاراً خاصة بنواتهم ، أو خاصة بما يحتمل أن يكونوا عليه من : « أنني الله في جسد ، وكل انسان يحس بهذا الاحساس ، إلا أن أحداً لا يستخدمه » . (٢٩) .

وفي صفحات أخرى : « الله هو فار في الرأس » . (٣٠) . وأنه لما يشير الأسمى في نجسكي دائماً أن تكون زوجته التي يحبها كل هذه الحب . من ذلك النوع الفارغ ، فراشة على سطح الحياة . ويضيف نجسكي بعد قوله ان حياة زوجته هي الموت ، قائلا : « لقد شعرت بصدمة وقتلت نفسي : كم سيكون الأمر جميلاً لو استعنت زوجي إلي » . على أنه لا أحد يريد أن يستمع إليه ، تماماً كما كان الأمر معه في السنوات السابقة . في فرقة الباليه الروسية : حين كان يعامله دياكيليف وسيرافسكي باعتبارهم « خلقاً لا عقل له » . وهذا ما يشغل ذهن نجسكي دائماً ، فهو متأمل مليح ، معتمد على التراجع الى أعماق ذاته ، تماماً فعالياته في ملف محكم ، يعود بعد ذلك ويطلقها من عقاقير في تعبير ذاتي . إلا أن هؤلاء الناس لا يعرفون شيئاً عن التعبير الذاتي . وما هو موجود في أعماقهم . أما نجسكي فإنه يعلم بأنه : « أنا الله في جسد » . وهو يعرف ذلك لأن

ادراكه بهذا وثابة غلة مرث حين كان يرفض، عتقاً ذلك الطوق اللاني،
شعور الانساني، بالقوة التي في ايمانه. لقد رأى تلك القوة، وهو
يعرف الله: أنا الله... أنا الله... أنا الله...

ان الرفض هو تعبير اللاني الطبيعي، أما اذا لم يكن يرفض، فانه
يواجه كل مشاكل الانساني الاعتيادي... انه مثل بطل باريوس الذي تسكن
في شوارع باريس، جالساً في الساء المزارات، ولكنه حين التقط احلى الثياب،
و... علمته كل شيء... تأكد لديه انه لم يكن في حاجة الى هذا بالذات:
"انك كنت مخطوئاً، وقلت لما الله مما يدعو الى الأسف ان تفعل أشياء مثل
هذه... فأخبرني بأنها ان لم تفعل هذه الأشياء ماتت من الجوع..." (٣١)

مثلك دائماً تلك الأسف المزق المدمر، وذلك هي أنفك مشاكل
تحتسكي، انه يجب زوجته، وهو يأسف لأنها ليست سعيدة، إلا انه
قال ان حياته هي الموت، ان الشقاء والموت هم وحيان جملة العالم، وقد
مر بها حين كان طفلاً، وكانت العائلة تعاني الجوع، ونحوها في مذبذبة
الرفض أيضاً، لأنه كان موجوداً في بريسبك خلال ثورة عام ١٩٠٥،

فقد عرف الجنود المذنبين البول يسوقهم وضخوا جراحهم بالبطات،
وقد أن مرث فترة الرعب، خرج تحتسكي مع رفاق الطلاب في صفه
مؤهل الحنين بين أكاديمي الجئت المرافعة من جهة شقيقة الرتبج، الفتاة
المحبوبة التي كانت في البايعة عشرة من عموها، والتي كان عليها بحمل
واحد منهم برأ، إلا أنهم لم يعرفوا عليها، أما شقيق تحتسكي فقد قتل

في ثورة عام ١٩١٧، حين فتح البلاشفة أبواب مستشفيات المختصين،
أما رفاق تحتسكي في المذبذبة، فقد قتل أحدهم في مبارزة، وأصيب
الثاني من مضامة ألقها عليه زوج غيور، بينما التحو الثالث... موت...
موت... وشقاء... وحرمان... بكل تلك كانت عناصر الحياة العلية
وقد مررت تحتسكي مثل ذلك كوخ الله، ان يتبعني الشقاء...

لقد انخرطت في العالم الحادي المحتجج الملتصق في وقتها، فاستمر...

عن الثانية لا هنالك أولاً الرقص، تلك التفاعلات العنيفة الابيقية، فلو
كان تحتسكي يرفض في كل يوم بأنظلام محبباً بالصفة بين رانه وبين
أجزاء الحيوية لما جن، ان الجنون يكون في عملية المطلق، هنالك أيضاً
الشعور الديني العميق، وقد غرس تحتسكي تربية كاثوليكية رومانية،
وكانت الشعور بأبوة الله الكونية شيئاً جوهرياً فيه يدعو الى ذلك الخلق
والإبداع، ولعل ما يلفت النظر أكثر من غيره في المذكرات هو استعمال
لكلمة "الله"، فإلى تجد هذه الكلمة مكررة بحسن مرات في الصفحة
الأولى، ويبرز التكرار على هذه المعدل في كل صفحة من صفحات
المذكرات تقريباً، وقد يكون هذا التكرار في صفحات مئة مبرراً
للإحتياج القائل بأنه كان مأخوذاً بشكوة كونه "الله"، إلا اننا نستطيع
أيضاً ان نقول انه كان مأخوذاً بفكرة كونه المسيح، فإله يقول:

"أني الروح مثله، انما يختار هو بظفرة هائلة، في حين نضلل
نقتراني فيما حولي... انني رجل الانفعالات لا رجل هدوء... (٣٢)
حقاً هو أساس المشككة، فهو يريد أن ينكر هذه الانفعالات، فعندما
التوتر، ان الشكافية القائمة للمادة سجين:

"أريد ان اكون الله، ولديا فاني أخلو أن أفر نفسي، أريد أن
أرفض، أن أرفض، أن أعترف على العالم، ان أكتب الشعر، أن
أحب الجميع، فهنا هو هدف حياتي..." (٣٣)

وهو ان يخلو للتعبير اللاني ان المذكرات الى حد يتجه عنه جو من
الحلق الملتصق
والحب الى الحب، والحب الى الله، فإني أنا نفسي مشوه
تتبع بالشعور والحاسة، وأستطيع أن أرفض الأكاذيب، التي هي الحب
أو الأشتات، كل الجلال... (٣٤)

ان الأمل للهم اللاني هو موت الله، وموت ذلك الإبداع الملتصق
بالعالم، وهذا يرجع الكلمة الى شعرها الشعاع والعتاد.

أعتقد أنني غائيت أموري بما جلاؤه المسح ، أنني أحب الحياة وأريد
 أن أعيش وأبكي ، إلا أنني لا أستطيع - أحس بأن في روحي - بأن
 يقرضني - أن روحي مريضة ، روحي ، لا عجلي . أن الأطباء لا يفهمون
 مرضي .. كل من يقرأ هذه السطور سيعاني .. أن جسدي ليس مريضاً ،
 وإنما هي روحي المريضة .. (٣٥)

لقد عرف نجسكي نفسه بما يكفي ليعرف ما يحتاج إليه ليظل عاقلاً ،
 إلا أن الأمر الذي لم يعرفه كان ، كم من العذاب والألم يمكن أن تحمله
 عقله . ولقد أرميه الألم ، وتميز عيافته ، التي رجل الاتصالات لأرجل
 هدوءه ، مفتاحاً لفهم أسراره . وفي الوقت نفسه مفتاحاً لفهم علاقته
 بفان كوخ ولورنس . ولا يستعان بقول عن أي واحد من هذين الرجلين
 أنه كان رجل الاتصالات ، لأن عقليتها تطورت باتجاه الهدوء والأمل .
 لقد علم نجسكي بأن هذا لا يمكن أن يكون طريقه ، وهو يحل مشكلة الخلاف
 تحليلاً بارعاً نادراً حين يقول : « أنني أحس بواسطة الجسد ، لا بواسطة العقل » .
 إنه يعنى دائماً بوجوده المادي ، ولتوازن هذا بفان كوخ ولورنس .
 فأما مشكلة لورنس فهي أنه ليس حياً فيها بفعل ، وأنه لا يشعر
 بما يشكو به ، إلا أنه يستطيع أن يقول : « أنا أدرك بواسطة العقل ،
 لا بواسطة الشعور » . وأما فان كوخ فهو يستطيع أن يقول : « أنا أدرك
 بواسطة الشعور ، لا بواسطة العقل » ، في حين يقول نجسكي : « أنا
 أدرك بواسطة الجسد ، لا بواسطة العقل أو الشعور » .

أنني أعرف أن هذه العبارات تميزها الدقة ، فأما القوة العقلية فإنها
 قادرة على بحث حرارة يفسد من الشعور تماماً كالجسم أو الاتصالات .
 ويمكننا أن نطلب على هذا الغموض ، إذا احتفظنا في ذهننا بهمة
 الإيضاحات : ما يخص القوى العقلية هو فهم رأيي من آراء لورنس أو
 أينشتاين في إحدى المشاكل الرياضية .. وما يخص الانتقال هو الشدة التي
 تتجلى في موسيقى فاغنر لمسرحية « تريستان وإيسولت » ، وما يخص الجسد

هو الشعور والشهوة اللذان كانا عديداً في لحظة من لحظات الأعراس القديمة
 كانوا يقيمونها لديونيسيوس ، إله الخمر ، أو في لحظة من لحظات
 الممريسين القديمة لإله السلي ميتو ، حيث تسبب الخمر والرقص ذوبان
 الشخصية الذاتية الموقت لكل فرد من أولئك القاصمين تلك القبايع في دانية
 الإله . فإذا احتفظنا بالحالة الأخيرة في أذهاننا ، سهل علينا فهم عبارات
 اللورنس ، من أمثال : « أنا إله .. أنا إله .. أنا إله » (٣٦) دون
 أن نحل . كما لاحظنا إحدى المصنفات المخفية حين ذكرت : « أن جنون
 نجسكي أخذ شكل وهم جعله يعتقد بأنه إله » . لقد أطلع جيد نجسكي
 بواقعه الخلاق كما أملاقت ريشة فان كوخ وقلم لورنس تلك الدوافع .
 وعين أن يسكن الجسد بنشاطه ذاته أكثر بكثير مما تستطيع العقلية أو
 الانفعال أن يسكنها بنشاطها . وكثيراً ما جرب البشر مثل هذا الشعور
 « أنا إله » في لحظات الشهوة الجنسية ، بينما جربه الفيلسوف بالإنسان إلى
 المرحبني ، أو النظر إلى الواحات القبية . في حين أن الذين جربوه من
 طريق المعالجة العقلية كانوا جد قلائد .

لقد لاحظنا وللم جيسى أن « قوة الذكاء على البشر واجبة بلا شك
 أو فخره على النارة القابليات القصوى في الطبيعة البشرية ، تلك القابليات
 التي ترونها الأرض حقائق وتقصائد أوقات الصبح » . أو « القابليات
 الممثلة » تشير هنا إلى ذلك المد من الطوفان السليبي ينبثق من الدفء
 الباسل والشمس التي الناس نغمها الكائنات البشرية أجل حالات الحياة .
 أما سبب الصبح فهو إحدى هذه الشدة أكثر من القابليات . الانطباع
 الدائم ، والأكثر ، والأكثر المشكوك فيها ، خاصة القوي الحيوية لمحة
 لحظة .. أما الذكاء فلوخ أنه يشل هذه الديناميكية الخاصة للحياة . ثاركا
 طردوا الحياة السليبي وسحبوا من الحزن الداخلي . بعد ذلك
 في الشفاهات هو فلا شك أعظم شروط الحالات التي يقدمها القديسون
 « الملكة الداخلية » التي أعفوها القديس بالشمس الصعد في طلائع الحروب

انه غير هذه الاتصالات التي لا تفيد في تحقيق الذات الداخلية وتفيد الطاقة ، ويبدأ بقلعها من جلورها في نفس . وهو بانقله الى موضوعه يزيد من قواه الادراكية الخاصة بالمستقل والنامي . أي الاحساس بالامكانات الأخرى والأوقات الأخرى ، وعند ذلك يحصل على إطلاق الجسد من اسار السجن الزماني ، وازدياد في دفع الطاقة الحياتية للنفس بقول الكتاب المقدس عنها : ان تكون لك الحياة بوفرة أكثر .

كان لكل من نجسكي ولورنس وفان كوخ نظامه الخاص من أجل بلوغ هذه النتيجة ، فكان كلا منهم اكتشف في لحظة من لحظات الادراك مصدراً انبعث منه حياة أكثر وفرة ، فركز كل واحد منهم جهوده على النظام الذي ظن أنه سيحصل بواسطته على ذلك المصدر . فأما لورنس فإنه المفكر الذي وجد نوعاً متخيلاً من الانعاش في دراسته للماضي . وأما طبع فان كوخ الذي فكان في حاجة الى تجميع الانطباعات الحسية ، وكان كفاحه من أجل الشعور بالأخيرة قد أخذ شكل ذاكرة تصور الأوقات الأخرى والأماكن الأخرى ، ذاكرة كانت . بالإضافة الى ذلك ناقصة ، لأنه لم يستطع أن يحتفظ في لوحاته برائحة شجرة اللوز . أو ربح غوز الحارة ، أو بالنوتر الذي كانت تحذله في الجو نثك العاصفة المقرية . أما مملكة نجسكي فقد كانت الجسد . وقد شهد الناس الذين رأوه وهو يرفض يقابله الفداء على أن يكون الشيء الذي يريد تحيله . سواء أكان ذلك العبد في « شهوراته » أو التمثال في « بنروشكا » أو الأسير في « جيزيل » . وقد وهبه نظامه القوة على تلب ذاتيه متى « أراد » ، أو توسيع بعض الأجزاء ، وتقليص الأخرى ، ليحضر وهم الشخصية الجديدة بصورة كاملة . وكانت هذه القوى قد أصبحت ، في بعض الأوقات ، شدة صوفية من الانكار والتضحية الذاتيين في رقصاته ، مما وهبه بسبب الحين والحين تلك الرؤى المبركة عن ذبول القديسين .

وهنا يكمن السر في الهبارة . فإن مثل هذا الإنسان هو أعلى روحياً

وعياً من المستوى الذي نجد عليه حية الإنسان العادي . بل أعلى حتى من إنسان كان لديه من هذه الحسية أكثر مما كان لدى الإنسان العادي ، أي أعلى من دياكيليف . ولو حدث ان كان نجسكي غير قادر على التعبير الذاتي بلغة الألفاظ التي يفكرها الجميع ، والتأكيد الذاتي الذي يحصل عليه معظم الناس من أمورهم الحياتية . . فحين مركزه بين الناس الآخرين سيكون زائفاً تماماً . لم يكن لدى نجسكي أي سبب يدفعه الى الاعتقاد بأنه كان يملك نفساً روحياً غير عادي ، ولم يكن لديه أيضاً بصورة أقل هذه القوة . ما يدفعه الى الاعتقاد بأن لدى الآخرين مثل هذا الضجيج . حين يرفض عليه فأكيدهم الذاتي نفسه هو فنيا يخص الذكاء أو المطلق . ولو كان شياً غير غريب (كان نجسكي في التاسعة والعشرين من عمره فقط حين جـ) . فإن ذلك لن يشع له بصورة عملية أية نقطة يشتد عليها في مضاده للعالم . لم تكن حاية دياكيليف سهلة الاحتمال ، وهذا ما لا يدعشنا . إلا ان زواجه . ليسو الخط . لم يجعله أفضل مما كان عليه . كان بالنتيجة الى وجته مزيجاً من الإله والطفل . إلا أنها أدركت منه جانب الطفل ادراكاً أكثر مما يجب ، في حين لم تدرك شيئاً من جانب الإله فيه ، وحدث هذا له مع رفاقه أيضاً . لقد كان « إله الرقص » حقاً . إلا انه لم يكن « إله الرقص » من النقاد إلا راقصاً غير متزن ، تنحدر البالية التي يقدها الانهار التي أو تترك الجمهور مذهولاً . إلا أن الرقصات التي أدعاها في « ملهى من الرب » تحتوي على أجراء معقدة قال جميع راقصي عصره عنها أنها لا يمكن أن تؤدي . تماماً كما قال عازفو الكلاف في أيام يتهوفون عن بعض ربايعاته الموسيقية أنها غير قابلة للعب . وكان قد أخذ معزوفات موسيقية في « ألبسة الحيات الحرفي » ووضع لبثك الموسيقى الشهوانية الجسدية الناعمة حرركات راقصة شديدة الصعوبة . تعتمد على الزوايا ، فلاحات البالية كأنها سلسلة من المشاهد تشبه احصاء الامور المقدسة في تنسيق مزهر بانهم وفقدت الموسيقى على يد نجسكي كل ما راق دياكيليف فيها

من دفة وإنسانية وحسية ، مستبدلاً ذلك كله بالصعوبة والفعل والزوايا والعتف .
ويمكن القول بأن وصف هولاء للفن البيزنطي ينطبق عليها كل الانطباق :
ليس الانفعال الذي يحصل عليه من التلذذ بروؤية الطبيعة أو الحياة
الإنسانية بمحطة فيه ، إنما كان الاهتمام الذي تثيره الظواهر والميزات
العرضية التي تتميز بها الأشكال الحية ، والميل إلى العيوس ، والكمال
والصرامة اللذان لا يتجلبان في تلك الأشياء الحية ، كل ذلك كان قد قاد
إلى استخدام أشكال يمكننا أن نقول إنها هندسية . (٣٧)

ويستمر هولاء مستجماً من هذه الأشكال والزوايا ما يلي :

« أن الإنسان خاضع لبعض القيم المطلقة ، ولا متعة هناك في الشكل
الإنساني نقود إلى تمثله كما هو بطبيعته ، وإنما هو دائماً مشوه ليناسب
أشكالاً أكثر تجريداً ، توحى بالفعال ديني شديد . » (٣٨)

وتربنا مذكرات نجسكي فقدرته على الانفعال الديني الشديد ، وتعلم الآن
أن أسلوب مثل هذا الانفعال يتميز بالزوايا والصعوبة ، ولهذا فإن مفهومه
للإله كان أكثر من محاولة لاتباع نظرية جاك دالكورز القائلة بأن كل
نعمة موسيقية يجب أن تصاحبها حركة متفقة معها من الرقص . إن اللامتسي
هو الذي يريد أن يبذل جهده من أجل إيجاد تعبير عن الانفعالات التي
تريد الظهور وكأنها الرصاص المنطلق من المدفع الرشاش . وقد بلغ توتر
اللامتسي ، في حالة نجسكي ، حد الانطلاق ، فغاص عقله في الظلمات .

وتصل مذكرات فازلاف نجسكي جداً من الأمالة لم تبلغ أية وثيقة
أو كتاب عشاء حتى الآن . وهناك أعمال حديثة أخرى تعبر عن نفس
الاحساس بأن الحياة المتحضرة هي نوع من الموت الحي . ويمكننا أن نعبر
شعر ت. س. إليوت وقصص فرائز كاليفكا أمثلة على ذلك ، إلا أن هناك
عظماً من البذ السوي لدى كل من هذين الكاتبين ، أي ملوك البشر
الأصحاء الذين يوتفون جيرانهم المرضى . وليس لدينا سجل آخر لمشاكل
اللامتسي كنية رجل كان قريباً من الانحدار والانحطاط البهائي تحت

وطأة هذه المشاكل ، غير مذكرات نجسكي . ولهذا فإن هذه المذكرات
هي أشد تأكيداً من كل المصادر التي نشر فيها في هذا الكتاب .

لقد قمنا في هذا الفصل ثلاثة نماذج من اللامتسي : وثلاثة أنواع
من النظم التي استخدمها هؤلاء لإنفس كل منهم الآخر في لائناتيه ،
الأول نظام مفروض على العقلية ، والثاني نظام مفروض على المشاعر ،
والثالث نظام مفروض على الجسد . وقد رأينا كيف أنه لم يكن واحداً
من هذه النظم كالمبدأ بحد ذاته ، لأن الأمر انتهى بشأن كوخ ونجسكي
إلى الجنون ، في حين لم يقل اتعداد لورنس العقلي عن جنون نجسكي ،
إنه تقل كل منها عن الكفاح وأدرا وجهيهما عن المشاكل ، ولم يقل
جنون نجسكي طوعية عن النفاق لورنس سلاح الطيران .

على أن أشد ملاحظتنا عن هؤلاء الثلاثة امتناعاً هي التي تقدم صلي
مقارنتهم الواحد بالآخر لمعرفة درجة ضياع كل واحد منهم . فاما نجسكي
فقد كان قريباً من فطرته إلى درجة أنه كان في حاجة إلى تعقيد وريكة
كثيرين لاطلاقه ثانية من قيود الأشياء التي كان متأكداً منها في أعماقه ،
وجعله يناقش مدى تأكده منها نقاشاً دقيقاً ، وأما لورنس ، فقد كان
على عكس نجسكي مواظباً على المناقشة طول الوقت ، ولم يعرف أسس
فطرته كما فعل نجسكي . وهنا نتجلى نقطة هامة ، فقد كان باستطاعة
لورنس إذا بذل جهداً كبيراً أن يفهم حالة نجسكي العقلية ، وقد كان
باستطاعة - إذا شئت - أن يصبح نجسكي أكثر بكل ميزاته الأساسية ،
في حين لم يكن باستطاعة نجسكي أن يصبح لورنس آخر ، لأن الجهد
الذي سيبدله لتبني القبول الحديثة فيه سيفصله عن يدياته الفطرية قبل أن
يكون قادراً على تأليف كتاب مثل وأحدة الحكمة السبعة . بوقت طويل
جداً . وبعبارة أخرى فإن لورنس كان أشد الثلاثة ضياعاً ، وأشد الثلاثة
دماراً بالشك الذاتي ، إلا أنه مع ذلك كان أظلم ضياعاً أيضاً ، أما
نجسكي فقد كان أظلم ضياعاً لأن يدياته كانت بالنسبة إليه مقايماً أفضل

من عقلية لورنس : - الا أنه كان أكثرهم ضياعاً أيضاً بالنسبة الى إمكانية
التطورية المحدودة . فلو تصورنا في خيالنا المزيح المثالي الذي سيحدث من
تركيب الثلاثة في واحد بأخذ عقلية لورنس الجارية ، وحسب فإن كوخ
الصوفي الطبيعية ، وإدراكه تخسكي لطافته الجسدية . فانه من الأفضل لنا
ان نبدأ بلورنس ونضيف اليه الاثنين الباقيين ، بدلاً من ان نبدأ بتجسكي
أو فان كوخ . ونحاول تطويرهما ليصلنا الى مستوى لورنس . وهذا لا
يعني ان لورنس كان فناناً أفضل منها ، لأنني لست معنياً بهم كفنانيين ،
وإنما كلامتين . وبقدر ما يعني الأمر اللامتنبي فإن كون عقليته قوية
هو أهم بكثير من كون قابليته على « الشعور » غالبة واسعة .

على أن أهم فرضية يتضمنها هذا الفصل هي الفرضية القائلة بأن رغبة
اللامتنبي الرئيسية هي في ان يكف عن كونه لامتنياً . وهو لا يستطيع
أن يكف عن كونه لامتنياً ليصبح يورجوازيادياً عادياً ، فإن هذا انبعاثاً
يبيده الى الزواء بمراحل : « الى الذئب أو الطفل » . وقسده علمنا من
هاري هالتر ان هذا الطريق ليس عالياً ، وليس حلاً لمشاكل اللامتنبي .
ان مشكلته اذن هي في : كيف يخطو الى الأمام ؟ وقسده عاد لورنس
وتجسكي وفان كوخ الى الوراء ، وانلحق الثلاثة ، ودلنا فحسنا ضم على
جسائب من أسباب اندحارهم : أما في الفصل القادم ، فإن علينا ان
نتبع بعض الاشارات المقتطعة من هؤلاء الأشخاص : نرى الى أي حد
ينجح اللامتنون الآخرون حيث فشل هؤلاء الثلاثة . ونستطيع ان نرى
الآن ان علينا ان نجرب بعناية شديدة كل المحاولات التي بذلت من أجل
إيجاد حل ، لأنها قد لا تكون حلولاً بالفعل ، وهناك طريق الى الأمام
وطريق الى الخلف ، ويمكن لأي الطرفين ان يحل مشكلة اللامتنبي .
ويستطيع اللامتنبي ان يتبع الطريقين في وقت واحد ، فيذهب قسم منه
الى الأمام متبعاً نظاماً معيناً ليصل به الى نتائج : بينما يقبل القسم الآخر
إدعائاً مثل اندحار لورنس العقلي . وفي كلتا الحالتين يستطيع هذا الانسان

أن يدعي أنه اكتشف حلاً لمشاكل اللامتنبي . الا أننا ، حسب أقوم
بتفحص حله ، سنجد ذلك بتطبيق الظواهر التي حققناها في هذا الفصل
- النظم الثلاثة - لعرف ما إذا كان حله سيناسب اللامتنبي الذي هو
من نوع تجسكي أو فان كوخ أو لورنس . وإذا اكتشفنا في أثناء ذلك
شيئاً من الحقيقة في ادعاءه فليس بأنه ، لم يحصل أي انسان على الادراك
العقلي قط ، فإن ذلك يعني أننا ستكون غيرتين على الاعتقاد . فدهماً أن
مشاكل اللامتنبي لا يمكن أن تحل حلاً كاملاً أبداً .

على أننا سأكون من أمر ، هو أن مشاكل اللامتنبي بدأت تحل نفسها
بصطلاحات الـ « نعم » النهائية والـ « لا » النهائية . فاما اللامتنبي العقلي
فعلية أن نجيب على الشكل الوجودي : الوجود أم العدم ؟ وأما اللامتنبي
الانفعالي فعليه أن نجيب عن : الحب الخالد أم اللاكثرات الخالد ؟ وأما
اللامتنبي من نوع تجسكي ، رجل الحركة اللامتنبي الجسدي : فإن السؤال
الخاص به هو : الموت أم الحياة ؟ اندحار الجسد النهائي أم الانتصار ؟
ما هي الحقيقة النهائية ، أنا الله أم الشاعة الانسانية من الفصح الجسدي ؟
ان كلمات تجسكي الأخيرة في مذكراته تعتبر إجابات :

« ان ايدي الصغيرة تعني : آه ، آه ، آه ، آه ، آه »

ولست أقوم بمناقشة « الا انني أشعر قداماً نريد أن نقوله ، انها تزيده
أن نقول : ان كل شيء ليس رعباً ، بل عظمة . » (٣٩)

ان مشكلة اللامتنبي هي في مقارنة هذه العبارات مع كلمات فان كوخ
الأخيرة : « ان يتقوى الشقاء » ، وأنه لسؤال لا علاقة له بالفلسفة بعد
الآن . ان سؤال جافس بالذات !

ألا يلوح انه من عاشر ذاتاً في الناحية والاحسنة من ناحية فاصل
 ان قد محتاج الى نوع من التفتت عن ذلك الذي يحتاج اليه من
 ذاتاً في الناحية الأخرى من الفاصل ؟

وهذه هي المشكلة التي طرأت اليها أختنا في اللاهوتي . وكما لو علمنا في
 الفصول السابقة ان اللاهوتي ليس مجزئاً ، وإنما هو أكثر حساسية
 صحيح العقل . فلما سيقف وولف فانه لا يتقدم في قبول ذلك ، إلا
 بفرص ياله من نوع أفضل من الانسان . فاما كان المقصود بالدرس
 في الحياة ، فكل توترات الانسان الروحية . فان اللاهوتي يرفض
 أن يصحح العقل عنك شيئاً ما . ويقول اللاهوتي انه اذا لم يتنزه
 عن بعضه على امان ما فان حياته لن تكون بالنسبة اليه أكثر مادية
 اذا كان يعتقد بأن قوة الفرس أو قوة مروحي العقل . ويبدأ اللاهوتي
 بتدبر دلتية معينة . وقد واجهنا جيلنا عند السؤال التالي : كيف
 ان نحل هذه التوترات ؟ وكنتيجة ان جواب صحيح العقل النهائي
 على هذا السؤال هو : ان نرسله الى المحلل النفسي . إلا ان هذا الجواب
 لا يرضى أن يلهم الحياة على الإنسانية . أما تعطيه الثانية فهي ان نقول :
 لا . فاما ذاتاً بأن تعاليمها كمشكلة رياضية . ويعتبره أخرى : دعنا
 نبدأ صحيح العقل : اذا كان فاصل الألم للموت وإطلاقاً الى هذا الحد
 فانه سيجل هذه التوترات ؟ . ومبدأنا اللاهوتي الذي سيقف في
 هذا الفصل في صحيح مفهوم موضوعي يأتي هذا السؤال . إلا اننا قبل
 ان نبحث في أمره يجب أن نتوسع في هذه التوترات أكثر . أو في المبدأ الذي
 نأخذ منه . وهذا يحتاج ان نشير أوسع في بعضه اللاهوتي . فاما النهاية
 . ان أوضح اننا نأخذ ان الشك في ان الشك في اننا نبدأ بالموت

عن الله الى الله فالتدبر بالنسبة الى الله العبد العار
 فالتدبر للناس

الفصل الخامس فاصل الألم

ان عنوان هذا الفصل مأخوذ من كتاب ولسم جيمس : أنواع من
 التجارب الدينية . وهو يعرفه بما يلي :
 المقصود بفاصل إدراك الانسان بصورة عامة في علم النفس الحديث
 المقادير المطلوب حدوث من الصوت أو الضغط . أو التوترات الأخرى لثم
 اثره الانتباه . وقد يحتاج الفرد الذي يكون لديه هذا الفاصل عالياً . وقد
 مقدار كبير من التسجيع ليستيقظ . في حين يكفي أقل من ذلك المقادير قوياً
 آخر بفاصل راطق . ليستيقظ حالاً بقطعة كاملة . وعلى هذا الأساس يستعمل
 كلمة فاصل مع أشياء أخرى غير الإدراك . فنقول « فاصل الألم » . و « فاصل
 الخوف » . و « فاصل الشفاء » . وسنجد هذه الفواصل وأمثالها عند بعض الناس
 حيث يمكن لاحد اكتهم أن يتأثرها بسرعة . في حين تحتاج عند الآخري
 عالية جداً الى درجة ان أدراكهم نفسها لا تستطيع ان تتسببها . فاصول
 أصحاب العقول الصحيحة في الناحية المشرقة من فاصل الشفاء بهم . في
 حين يعيش للكثيرون والبرادون وراعاة في الفلاديم والخوف . (١)
 ويستمر جيمس قائلاً :

إنها مشكلة الشك في أمر الحياة ، مشكلة : « كيف يستطيع الإنسان أن يهدف إلى شيء أو يؤمن به ، في حين أنه ليس واثقاً من أنه يستطيع زفير الهواء الذي يتنفسه الآن . » أن هذه الأسئلة التي يضعها شكسبير على لسان كلوستر معروفة للجميع . في حين أن الأسئلة التالية : « من كلام الدوق في « كتاب سخرية الموت » لبيدوس تعتبر أقل شهرة :

« أن ملاح هذا العلم كاذبة : لأنها تمثل وجهاً يعطي على القبور والأعناق الملتفة ، ولا شيء حقيقي إلا كل ما هو مرعب . ولو استطاع الإنسان أن يرى المخاطر والأمراض التي تحيط به

في المسافة التي يقطعها كل يوم ، محاولة الانقضاض عليه ، أو متهاوية خلفه ، بعد أن تسلب منه شيئاً عند مروره بها ، لو رآها ، تعلم أن الحياة تشبه حاجباً جيداً أعزل محارب ضد ألف جندي ... » (٢)

وجب أن نذكر هنا أن نفي بيدوس هذا انتهى ، كما هي الحال مع فان كوخ ، بالتحاول . أما مسرحياته فإنها قبضة يتورع من عبادة الموت . ومن المحتمل أن يرجع ذلك إلى تأثير نوليس وتلك عليه . ويذكرنا ذلك بأبيات كينس : « لم يلج لي من قبل كما يلوح الآن مليئاً بالعذوبة ، أن أموت .

أن أكف عن الحياة ، عند منتصف الليل ، بدون أي ألم ... » (٣) وقد يكون من الواجب علينا أيضاً أن نذكر في هذا الصدد كثيراً من كتاب القرن التاسع عشر وخاصة في السنوات الثلاث الأخيرة من ذلك القرن ، كالشعراء الذين دعاهم بيتس « جيل المساة » مثل : ليونيل جيليس ، وداوسن ، وفيرلين ، وكوربييه ، الذين يمثلون نهاية رومانسية القرن التاسع عشر ، ومن سبقهم مباشرة ، مثل بودلير ، ومالارميه ، ولوترمون ، والافطال لبوياردي . ولشعق « مدينة البيلة المفارقة » لجيمس تومسن أكثر مما يستطيع أن نخصصه لما في هذا الكتاب . لأنها تمثل تمهيداً ظهر في القرن التاسع عشر ، للأدب القفر .

التي طلع علينا بها ت . س . اليوت في هذا القرن ، بتأكيدها على طبيعة العالم الوهمية :

« لأن الحياة ليست غير حلم ، تعود بعض صورة

في أغلب الأحيان ، وبعضها نادراً ما تعود ، في حين تعود بعضها لئلا ونذكر

في الوقت الذي يتغير فيه بعضها ، ويختفي البعض الآخر بتكرار حدوثه مع التغييرات متكررة الحدوث ،

ندرك نوعاً من النظام الخففي ، وعند ذلك ..

تعتبر الأشياء حقيقية ، وكذلك الأمر مع الذاكرة . » (٤)

ويدعونا هذا إلى مقارنته بما يلي :

« مدينة لا حقيقية

تحت ضباب داكن يشره فجر شتائي ... » (٥)

وترجع قصة دو ليل آدم « آكسيل » إلى هذه الفترة نفسها . بل أن بطلها ليسل اللامتسي تماماً كما يمثل بطل قصة باربوس ، رجل ثقب الحائط . ونرى في هذه القصة أن الكونت الشاب آكسيل يعيش في قصره المنزل على نهر الراين ، ويدرس القبالة اليهودية والفلسفة ، في غرفة مكتبة التي تربتها ألواح خشب الباطل . ويثر على ابن عمه « القائد » المتعلق بفلسفات هذه الحياة ، فيحرق صلبه « بسيفه » . ونرى آكسيل في المشهد الأخير عطفاً سارداً ، الرعاية الهادية ، في قبو القصر ، وهذا يعاهدان على الانتحار ليتجنبا نقاعة هذه الحياة ، وليجيبا حبهما ما يتطلبه منها الحياة من تغيير عته : « أنا العيش في هذه الحياة فيؤدي عدما ذلك لنا .

ويبعد جيرة ستر اود وجوان إلى النهاية المنطقية ، إذ يتجران . ولا تختلف صورة « جوان » عن آكسيل وسارة في شيء . وأما ما أقل شعوراً بالصداق الذي يسيه « عدم وجود نموذج أو هدف في الطبيعة » . ولهذا فإنها يتجران انتحاراً عقلاً مثل لورنس .

إلا أن معظم شعراء نهاية القرن التاسع عشر ، كانوا نصف مبالين إلى الموت

المريح ، أما النصف الثاني من ميولهم فقد تعلّق بالحياة تعلّقاً شديداً ، وشكّاهم
تفانئها . ولا يذهب أحدهم (حتى ولا توسون) إلى أبعد مما ذهب إليه . ويظهر
في العقل في معنى حدود الاحتمال ، وانحسارهم ينعون عشاقهم أكثر ،
مخاولين جهد الامكان أن يكونوا مختصين في ذلك . فتكون النتيجة بيلسية مكررة
للحياة الذكرا تماماً ، بل انها خطيرة على الحياة . فإذا جمعا بين عبارة فان كجوخ
والتي ينتهي الشقاء ، وحياة مترادف ، لا شيء ينجح بدل أي مجهود . فان
النتيجة ستكون نوعاً من الشغس الروحي لا يمكن أن يرجى بسببه خلاص من
الموت أو الجنون . وتعالج قصة كونراد وقلب الظلام رجلاً قاد نفسه إلى هذه
النتيجة ، إذ تراه يموت وهو يغمم : الرعب ... الرعب ، في حين يعق الرجل
الذي يقص لنا القصة على ذلك قائلاً : ... لم أكن أجادل عنوناً قط ... لقد
كان ذكراً ، وانحسار كل الموضوع مكرراً ... على نفسه بشدة مفرقة ، غير أنها
وانحسار ... إلا أن روحه كانت عنونة ... فقد تركت الطوائف وروح في أعماق
فاتها حين كان وحيداً في الغار ... جيت ، وقال هو عن ذلك - الرعب .
لقد كان رجلاً خلاباً حقاً (٦) .

كان الرعب الفكرة الغالبة على قصص الكاتب الروسي ليونيد أندرييف
أيضاً ، فقصته « لارادوس » تؤكد على جوهرية الرعب في الحياة تأكيداً لا يحد
لدى أي كاتب آخر . ويمكن أن نعتبر « اثنان براند » هاوثورن قصة تدور على
الموضوع نفسه ، ولعلها أبعث من تجربة هاوثورن نفسه للشك الذي ان لا متني
هاوثورن يلقى بضيق في النار ليتخلص من رؤى مخيفه .

و ان هذا الموضوع لا يبرر الباحث فيه ، ونظن أن القضي في تعداد المقاولات
الميلولة لمعالجة هذه الفكرة ان نخلص عرضها عنها . عليه واننا نخلص في مختصاً
- لا تفكر الحياة - إلى النطاقات الثلاث الثاني نقلاً عن كتاب جيمس « أنواع من
التجارب الدينية » ، وقرئ أن جيمس انما يكتب صادقاً عن تجربة قام بها هو
للاخبار العنصري ، رغم انه لا يذكر ذلك في كتابه : و

« هذا القدرات مختلفة من كتابه » ماري جيمس - نظرية الزائبي وغيرهوسوس ...
ماتيزير ، الذي لا يذكر أي مصدر للمعلومات التي يقدمها فيه . « انما يشار إلى المصادر المذكورة
تجارب سير الخاصة » نفسه

وبما كنت في حالة من الشاؤم ، الفلسفي ، كثيراً مشغول بالذهن بال
الآن ، دخلت في إحدى الامسيات الى غرفة الملاعب ... فوجدت ... و
أحد اقدار سابق ، مخوف ملتزم من وجودي ، كأنه البعث من الظلام ، وفي
الوقت نفسه ، خلعت شعبي صورة مؤرق من مرضي الصرع كنت رأيت في
مستشفى العزل ، وكان شاباً أسود الشعر أخضر الجلد ، غريباً تماماً . انما كان
عاش « ليلة النهار ... لا يحرك شيئاً من جسمه غير عينيه السوداوين . ووقع
ان يلوح فيه الله تحت الى الانسانية بصفة . وامتزج عروفي بهذه الصورة
فترى شكلاً واحداً .. ترى هل كنت انما ذلك الشكل ؟ لقد أصبحت
بذلك بقوة . لا شيء املكه يمكن أن يجيني من هذا المصير أو ديت
شاعني كما ذلك حاجته . لقد تخيلتني رعب شديد منه ، ولاح في اني انما
احسب به الآن فقط ، الامر الذي احسنت معه وكان شيئاً كان واحداً
في صغري ، قد انهار الآن ، تاركاً اياي برتعداً من شدة الخوف . ولقد
الآن المنية في بعد ذلك ، وحسرت استيقظت كل صباح شامراً برعب خفيف
سمر فرق معدني ، ويعدم الامتثال لم افهمه من قبل » (٧)

ومن الطريف ان تذكر أيضاً أن السر هنري جيمس ، والد ولده والكاتب
الأمريكي هنري ، كان قد شعر فشل هذه التجربة أيضاً ، وهو يتحدث في
كتاب « المجمع » الشكل الانساني المتحور ، بما يلي : (٨)

« في يوم من الأيام الأخيرة من مايو ، بقيت خالداً في مكاني ، بعد ان
حاولت وحده عدة شوية مع أفراد العائلة الذين تبعوا مباشرة . وكانت أعلق
في ذلك الوقت ، بشغل وراح ، وفجأة ... وكأني انشغلت - قرأت في الجوفه
« صارت الى حلة نور خلاصي هذا » انما كان ، حاجتي بانحسار ، انه لم يكن صادقاً
في حديثه ، ومن معقول ، وانما كان هناك شيء في العين ، بالتحليل المضطرب
الفرع من الظلام ، وراح في الغرفة . وبعثت من ذلك المصنعة خائفاً انما فانه لا ينافي
المعنى وان كان في هذا ، غير شغرت ، انني صرت شامراً ، ولم انا ، ذلك
الامر الذي المصنعة انما راح ... انما كان من طرفة صموا . وشغرت ، والحادثة الى

حقيقة .

ان المدلولات التي يشير اليها هذا التسلسل الفكري كبيرة الى درجة انها يجب ان تقف قليلاً لتوضيحها قبل ان تستمر في بحثنا للنزعة الشكوكية في الأدب . لقد قررنا في نهاية الفصل السابق ان اللامتني يهدف دائماً الى الكف عن كونه لا متنباً ، وعددها ثلاثة أنواع متميزة من الانظمة التي تؤدي الى تلك النتيجة . أما السؤال الذي ينهش من ذلك فهو : ه الى أية نتيجة ؟ ، فإذا لم يكن يريد أن يستمر على كونه لا متنباً ، وإذا لم يكن يريد ان يصبح كائناتاً اجتماعياً عادياً متجنباً ، فإذا يريد ان يكون إذن على الشيطان ؟

لقد عقدنا السؤال قليلاً بتحليلنا المجردة . يريد اللامتني ان يكون حراً ، فما الذي يميز حرية هذا الانسان المولود مرة واحدة ؟ يقول اللامتني ان ما يميز تلك العبودية هو الاحقيقية ، وعليه فالتنا نستطيع ان نقول انحرافاً ، بصرف النظر عما يريد اللامتني ان يكون . ان شرط هذه الكثرة هو مفهوم الحقيقة . الحقيقة ؟ ترى ماذا يستطيع اللامتني ان يخبرنا عن الحقيقة ؟ ذلك أمر صعب حقاً . الا اننا نملك فوجئ من الاجوبة ، دعنا الآن نفرض هذا السؤال على لامتين مختلفين لنفكرن اجوبتهم بعد ذلك . ان سؤالنا هو : ما هي الحقيقة ؟ يا بومس : معرفة انحاء الطبيعة الانسانية .

ويلز : شامة النيبا ، لا شبيبة الانسان الناعمة .

ووكاتان : الزوجود العاري المجرد الذي يشل العقل البشري وينتبه .

ميرسول : العظمة ، لا اكترات الكون العظيم ، وبصرف النظر عما يقوله هؤلاء المحقق انصاف للحقيين من البشر ، فان الحقيقة رسيمة غير متبدلة . ان اجواب ميرسول هو اكتمل الاجوبة ، ولهذا دعنا نسال ميرسول : وماذا عن الروح الانسانية ؟

ميرسول : ان انسانها وأساس الكون واحد . يتهرب الانسان من تقاعسه بالتزامه لا اكترتاً جوهرياً للحياة اليومية .

ويستطيع همنغواي أيضاً ان يعطينا هذا الجواب نفسه او سألناه ، ما هي

الحقيقة ؟

كروبيز : هي اللحظة التي تفعل فيها شيئاً واحداً ، الشيء الوحيد . والتي تفعل فيها انك لست بيدقاً تافهاً سطعياً في رقعة الشطرنج الاجتماعية .

ستراود : لا يمكن وصفها ، لا يمكن ان تعيش . ومن يرثها يزيد نطقه بالحياة اليومية . ونسأل الآن اللامتين العليلين :

ستاي . لورنس : لا يمكن معرفتها . لم تسبق في رؤاي لتسا الا الماشية ، لا بالبحراني بضاغة الحياة اليومية دون ان تقول له اين يستطيع ان يجد طريقة أخرى للعيش ، فاصبحت حياتي بعد ذلك نكتة لا معنى لها .

فان كوخ : شقاء برومبوس ، ، لقد كان برومبوس اول لا متنب . نمسكي : الله في طرف ، والشقاء في الطرف الآخر : أما الكون فهو اوتر أودي متصل بين الله والشقاء .

يضع إذن انه لدنية نوعان من الاجوبة : تهايان من الة ولعمه والاولا ، والاولى وجود وكانان الذي يفي الانسان او مثل الثانية . وجود نمسكي الثاني يكمل على الانسان .

والبعد الى جواب زوكانان أيضاً نجد انه رد فعل . الكلاب القلوة ، والكلب القل هو ذلك الذي يعلن ان وجوده ضروري . فإذا عن قاذ كوخ نمسكي ولورنس لا أناني حالة فان كوخ ، فإنه لو تكب الانتماع العقل ، الا انه ولعمه ، ما دام قد انتفع بمكره العنة الأثرية . أما في حالة نمسكي فان الجواب موجود في المذكرات : ه الله ، ولعلنا فالجواب هو نعم . وعليه فقد كان حاله الر جان الالامة كلاً في أقصى لفظاتهم . كلا ، هذا يستتبع

فليس ، علينا ان نفكر بنجسكي ولورنس فان كوخ يقول ما يتعلق الامر
بمحسني المدينة الموجودين في معرض القصور في الماف ، لنعم من ذلك ان هذه
الفكرة تعتبر هراء ، هناك خطأ ما ، وليس علينا ان نلعب بيننا لاكتشافه انما
نعم انه يوجد نوعان من الطرق لحل مشاكل الامتناعي : طريق الى الامسام
وطريق الى الخلف ، ولذا اعتقدت ان وجودك ضروري ، لو كنت ، واتخذت من
هؤلاء الناس الموجودين في المعرض ، فذلك تجديف منك ، اما اذا اعتقدت بانه
ضروري ، بعد جهود زوجي جبار كمجهود لورنس أو فان كوخ ، فان ذلك
أمر طبيعي . وهنا يعترض الوجودي قائلاً : هذه مسطرة ، ان فان كوخ أعظم
من متصرف مدينة الماف السابق في الدرجة فحسب ، لا في النوع ، وانطلق القول
بقبول ان وجوده ليس أكثر ضرورية .

انه سؤال صعب ، فيما نرى هل خلق فان كوخ تلك اللوحات الرائعة حين
كان يعتقد بالوجود ضروري ، ثم أطلق النار على نفسه حين لم يعد
يعتقد بذلك ؟

انه نجسكي هو الذي يقدم الينا الجواب ، فهل كان باستطاعة نجسكي ان
يقع تحت تأثير عقبات روكفان ؟ كلا ، انه هذا بعدد أصه كل البعد ، لانعواش
قريباً جداً من فطرائه بحيث انه لن يته في مثل هذه الحيرة الفكرية . ولم يظن بأن
وجوده كان ضرورياً ، كما يظن ذلك أحد المحسنين مثلاً ، الذي يفعل ذلك
صادراً فيه عن غيظة عميقة مشروكة ، وانما شعر نجسكي بهذه الضرورة ولم يشعر
بها في بعض الأحيان كمشهور القديس الداخلي بها ، وينظف هذا على فان كوخ
أيضاً . اما لورنس ، الذي لا يختلف عنه في التاريخ عن دراسة ، وكان ان
التاريخية أيضاً ، فانه فكر بنفسه عن طريق عدم امانته بالقوة الروحية التي دعمته .
بينما لم يكن نجسكي على مثل هذا الحق يفعل هذا .

وهنا يتبع أمر غريب آخر . لقد عارضنا بين اعتقاد نجسكي بنفسه ، ذلك
الاعتقاد القطري وبين فضيحة أعضاء مجلس المدينة مثلاً ، الواقفين من أنفسهم ،
وان ذلك ليلكرنا بشيء آخر مشابه تجده لدى الكتاب المسيحيين ، كيبان ، على

حول المثال ، الذي كتب عن حياة عضو مجلس المدينة ، المواطن الضاليع ، الخ ،
واصبأ اياه باسم ، المستر بادمان ، الذي يعني « الشرير » ، ويصطلحهم مسيحي
بشدة فحافة . مثل روكفان ، بافوك ان وجوده غير ضروري ، ولذا أفضل
الاسم ؟ ، وقد قال سارتر عن كالمو انه ليس تجزئياً بالفضل وانما هو أحد
أحد أولئك الأخلاقيين الذين رآهم القرن الثامن عشر ، لغير أن ما استنتاجه
الآن جعل سارتر نفسه أحد جفيدة أولئك الأخلاقيين أيضاً ، ولعل سارتر يقول
بما في ان شيئاً من هذا الغشيان لا يد موجود في أعماق مسيحي بيتان : « ماذا
المنطوق ان لعل لا خلف » ، ولعله يقول ان الامانة العقلية تتجسد وتنتج روكفان
من قوله ثم المجلس (المنهج) كرسيلة لتقيم ثقافته .

الآن كله يواجهنا بأسئلة اخرى : لو كان عقلياً أن بيان وسارتر يستندان
على أساس عام ، ولماذا تختلف الطرق التي يتبعانها للوصول الى حل ؟ هل يمكن
ان افكر ان بعض القديسين للمسيحيين كانوا معينين بالمشاكل الميتافيزيقية نفسها
التي اشهرها لا سارتر تماماً كما يظهر الحايي ازانما ، باعتبارها آخر التطورات
العلمية في القرن العشرين ؟ هذا ما ستحكمة الآن ، لكنني نسير في عشا ،
استمر الى بعد ذلك .

الآن ، حول ان ننظر الى عت ثقافتهم الامتناعي المختلفة عن الحقيقة ، بحيث
ان ، حول ، ينظر كالمو الذي لم يكن حراً ، ولكنه لم يكن يعلم بذلك . برنار
الامتناعي السلبية ، وهو لا يعتبر الامتناعي المعادي للمؤامرة واحدة حراً ، وبغني
الآن من مسيحي ماكتلة بين البشر ، فما يضعه في مركز الجنازي الذي يدعي بأنه
الذي يجعله لافاق خطاه مع بقية الصمد . ماذا بين الرجال والكنساء الذين تفضل
يوم هذا الحديث ؟ هل هم كما يقول الامتناعي القاهون غير حقيقيين ، ضاعفون
هذه ان يعادوا بذلك ؟ لقد سألت حبيب نفسه هذا السؤال : مولود مرة واحدة
لم مراد ؟ صحتج الخلف لم لا نهم ؟

والآن ، حول ان ننظر الى عت ثقافتهم الامتناعي المختلفة عن الحقيقة ، بحيث
ان ، حول ، ينظر كالمو الذي لم يكن حراً ، ولكنه لم يكن يعلم بذلك . برنار
الامتناعي السلبية ، وهو لا يعتبر الامتناعي المعادي للمؤامرة واحدة حراً ، وبغني
الآن من مسيحي ماكتلة بين البشر ، فما يضعه في مركز الجنازي الذي يدعي بأنه
الذي يجعله لافاق خطاه مع بقية الصمد . ماذا بين الرجال والكنساء الذين تفضل
يوم هذا الحديث ؟ هل هم كما يقول الامتناعي القاهون غير حقيقيين ، ضاعفون
هذه ان يعادوا بذلك ؟ لقد سألت حبيب نفسه هذا السؤال : مولود مرة واحدة
لم مراد ؟ صحتج الخلف لم لا نهم ؟

اتباعه عن الشر والعيش في ضوء كل ما هو غير طريقة رائعة إذا كانت
مجدية حقاً .. إلا أنها تفشل حالما تعترضها السوادوية ، وحتى إذا لم يكن
الإنسان سوداويًا ، فلا شك في أن صحة العقل لا يمكن أن تكون كافية
كمقيدة فلسفية ... » (٩)

ليست كافية حقاً ، إلا أن جيمس لا يعني أنها مطلوبة . أما اللامتنعي فأنه
أشد حجوماً عليها ، وهو يقول عنها بلا تردد : « حالة غباوة وقصر نظر »
وقد رأينا كيف أن أقوال اللامتنعين الذين واجهتهم في الصفحات السابقة
كانت أكثر وضوحاً من جميع التصورات التي وآها محتلو العقول الذين اختارهم
جيمس . كما أن هؤلاء اللامتنعين بنوا وضعيتهم الحالية براءة جدلية ملحوظة .
إلا أن هذه الواجهة غير كاملة ، وهذا ما يقرره اللامتنعي نفسه . لقد بين
اللامتنعون أسباباً كافية لتبرير كرههم للبورجوازي المولود مرة واحدة ، ولأنات
أن هذا المخلوق لا يمكن أن يكون أصلي من اللامتنعي بأي حال من الأحوال .
إلا أن هذا البورجوازي كل الحق في أن يسأل بسخرية : ماذا حقق هذا اللامتنعي
من نجاح في الحياة ؟ أنهم يقدمون البنا قوضي من القاسدين المتخلفين مرمي
العقول (مع احترامنا لقاب كوخ) يحاولون إثبات أنهم الواع من الإنسان
البشري . نرى ألا يشبه هذا محاولتهم حملنا على سكب الماء العكر . قيل أن
تخلص على أي ماء نقي ؟

هذا ما لا يمكن أن يناقش الآن ، إذ يجب على اللامتنعي أن يجعل وضعيته
أكثر إيجابية ، قبل أن يبحث في أدعائه بأنه أفضل من رجل الشارع . أما في
الوقت الحاضر فإن وضعيته يمكن أن تكون أي شيء إلا كونها إيجابية . وبما
لدينا يا نرى ؟ تأكيدات ابتدأها بعض الأفراد على أن الشر أمر كوني ، يجب
أن يواجهه . حسناً ، أننا لن نكثر ذلك ، لأن أميل شكلي على جيمس يجعل
هذا الأمر واضحاً . أما الآن فلدينا عدد من الكتاب الذين عبروا بأن الشر هو
من الكونية ومن الإلهية في سبيل الوصول إلى شكل أصلي من أشكال الخير ،
بحيث أن مواجهته بأننا لا نسوق إلا إلى الجحيم . فإذا استقر في هذا ؟ ماذا لو

كان انقضاض صاعقة الانقطاع والتوقف يحمل في طياته وجوب الاعتراف
بأن الإلهية أو الجحيم ؟ وبما ستفيد الإلهية والصراخ عقلًا محملاً ؟
ما لم نختار الحياة والعيش في مثل هذا الموقف ؟

فإذا اخترنا العيش ، نرى ماذا سيكون من أمر رغبة فلاسفتنا في الوصول
إلى الحقيقة ؟
هذا سؤال صعب ، ولا نجد الفصل من تركه بين يدي لاسم فاده
عقله المجرب إلى مواجهة تلك المشكلة : ذلك هو الفيلسوف الوجودي
الوطني فردريك نيتشه .

إلا أننا قبل أن نبحث أمر نيتشه ، يجب أن نبحث في تعبيرين حديثين من
الشكوك في الأدب : لاسم فاده يوسمان من فهمنا للموضوع . وكما قد اشترنا إلى
عشرين في الصفحات السابقة ، أنها قرأت كافكا وث . من البوت . أما قصة
كافكا ، الضامن المحترف ، فإنها تعتبر قزوة إيمانه (١٠) ، « وأبلغ تعاريفه
لوضع اللامتنعي : وهي تعالج أمر التراجع المحترف . ذلك الذي يبيع نفسه في
المارش والمهرجانات من أجل المال . وبينما يكون في وسط الناس ، بين
كل هذه المظاهر ، نراه يرغب في الاستمرار على الضمان ، إلا أن الناس
يسألونه أن الانقطاع ، رغم أنه لم يصل بعد إلى غاية ما يستطيع الوصول
إليه من احتمال ، وتنتهي القصة : ويبقى الناس في قصصه الخس ،
بين العيش ، مهبطاً متباً ، فيستمر في صياحه . ونرى أنه الآخرون
إلى درجة أن أحدهم يلاصق قصصه بعد وقت طويل . وبسأل لماذا يكون هذا
الفهم القيد خالفاً ؟ إلا أنهم يأتون إلى فيجديون الناس في آخر ورق ، يموت
من الجوع ، جلداً بل عظام . وبينما يتخرج الناس قصص الموت يمس في ذلك
أحدهم قللاً : أنه لم يفس من الطعام لأنه عاكز إرادة خالقة قوية ،
وأما ، وبكل بساطة ، لأنه لا يوجد طعام بعد .

البناء هنا أيضاً رمز كأول آخر يشير إلى اللامتنعي . أن مشكلتك هي أنه لا
يشتهي الحياة وما دامت كل العائلات الإنسانية الأخرى تصل تلك القاعة

اسلم نفسي مقدماً الى انكاح اولي ، وذلك ما لا يستطيع ان يقدم عليه .
 تجد الشاعر انه يستطيع ان يجيب على هذا السؤال بـ نعم ، ومن الممكن
 فهم حاله هذه ، فانه يسلو بالعقل ، الذي يلوح انه يزوده بالاكفاء الثاني ، كما
 في حالة كتاب المعصر الميكروني) ، ويضع كل شيء لاختيار العقل ، ويقول
 له عقله نهائياً : « لست مكتسباً بذلك » ، انت تائه ، حائث في الخواء ،
 فاذا حشوت ؟ ماذا سيجعل ؟ ليحجر ، ما دمت تائه فان عقلك تائه ايضاً ، وفي
 هذه الحالة ، فان استنتاجاته ما هي الا اكاذيب على أي حال . هذا كثير .
 ويجب عليه ان ينسلم الى الفكرة : فقد يكون هناك شيء وليس تافهاً ، الا انه
 بعيد عني تماماً ، غير مفهوم بالنسبة لي ، وماذا لو لم يكن هناك شيء . وراه .
 كلا ، انه لا يستطيع ان يقول « أؤمن » ، ولهذا فانه يسأل :

هل مصطلح الاخت القصة التي تدير بين
 اشجار السرور العنقة الرقيقة لأولئك الذين يضيقونها
 أولئك الحائضين الذين لا يستطيعون التسليم ؟

ان اليوت يرتفع بهذه الايات عن سطوته ، ويخرج من حالة اللامتي . ولم
 يتطلب الامر منه مرحلة طويلة ليدرك ان هذه التجربة وهذا الرغب على جافة
 الاثني . لم يكن غريباً على القديسين والمسيحين وغيرهم ، وانه على ذلك فلا
 ضرورة تدعو الى التخليق الذين مرادفاً للامانة بقصة من القصص الخرافية . على
 ان الطريق ما يزال بعيداً بين هذه الحالة وحالة الاكتشاف بالكنيسة بالفعل ، لان
 يجب ان تقرر ان بعض مذاهب الكنيسة قد تلوح مغفولة منطقية للسان ما ، الا ان
 ذلك لا يعني ان هذا الانسان سيقبض انشاقاً دائماً مع محاولات الكنيسة الكبيرة . من
 اجل جعل الدين وسطاً يمكن ان يعيش فيه ملايين المنتسبين بزاوية وامتحان
 بالاضافة الى اولئك اللامتين العراشين .

كنت في اناء عني للتطورات التي طارها أسلوب اليوت ، قد ذكرت
 نقطة لا علاقة لها ببساطة هنا ، خاصة حين تطرقت الى بعض ابيات دارم
 الرماد ، الا انني علمت ذلك لانني لم أرد ان أغفل لاحية من نواحي هذا التطور

ومستطع الفراء الذين ما يزالون على شك من النواحي التي ذكرتها في الصعوبة
 انهم قد جعلوا الالتفات اليها ، لانا منسجم في البحث عائد الى موضوعنا
 الاساسي ، على ان نرجع الى هذه النقطة لبحثها من زاوية مختلفة لا علاقة لها
 بنا الحالي . اما الآن فتحت معيون بالسؤال : « نعم » ، النهاية أم لا ،
 النهاية لا ويجب ان نقرها بأن بحثنا السابق قادنا الى تقرير ، ولا ، النهاية . وهذا
 ما يعجز عن قازلاف تحتكمي قائلاً ان ذلك كان بسبب اعتبارنا العقل قادراً على
 ان يخل الصحيح بنفسه ، ان هذا الاعتراض يخص الفلاسفة ، ولكن ، هل
 ان يلج اعتقاد الفيلسوف بهذا ، مجردة من صفة الفيلسوف ؟ وهل يستطيع
 ان هذا الشخص ان يساعدنا في مشكلة اللامتي ؟ هذا ما يجب ان نحيط
 به في الامانة ان تقوم الانا بحيث تخالف فردريك نيتشه .

وقد يشته في رويكن في مقابلة ساكسوني عام ١٨٤٤ وكان والده قساً
 « واستناداً ، مثل والد فان كوخ . وتربية الوثائق التي طبع في الأيام الأخيرة
 ان نيتشه كان في طفولة متديناً جيداً ، والله فكر في انشاء فترة مراجعة
 الى ان يخلع المدير (١١) . - وسنحاول الآن ان نرى ان كل ما قام به
 في حياته لتجريد كل القبح من قيمها - انما كان بسبب الدوافع الدينية
 التي رمت الى ذلك . كما ان هجومه الأخير على المسيحية البعث من شعوره بان
 المسيحية ليست مغنية بما يكفي ، الا انه لم يكن مثل كثير كفارد الذي فعل الشيء
 ذاته ، ذلك فانه لم يداوم على فكرة المسيحية . لقد لعب نيتشه في كنفه لها الى
 حد اننا نضج استلهاها وقال ان هذه الاعطاء جوهرية فيها ، ولذلك فانه ، اني
 المسيحية ، سادس اليه شكلاً ، ومعموداً . يجب ان يشته بشر اناته هذه تخلص
 ظهر ، لا عمن ان يكون الذي انشأه في عقله . انما صرح نيتشه ان المسيحية
 قوماً « منسجون من الاحياء العفلة » ، معطولة من الاحياء الخلقية ، وان ذلك ناتج
 الى ما يعتقد الفراء المسيحي . ويقدم نيتشه عدداً آخر في الايمان ، ولهذا ان عجز
 هذه الاعطاء عن جعلهم عاقلين ، الا ان الشيء المهم الآن هو اننا نأخذ مسجداً شاملاً
 لنتبينه . وقد لا نرى ، انما نرى في الحياة والفكر من غير الحزن ، ومن

وجود الله أنكره شديداً ، كتب الى صديقه جون كيرز دورف يقول :
 « اذا كانت المسيحية تعني الاعتقاد بشخص أو حادثة تاريخيين ، فأنها
 لا تفيدني بشيء . أما اذا كانت تعني الحاجة الى الخلاص ، فاني استطيع
 ان اتى بها . »

هذا هو السبب الذي يجعلنا والذين من ان نيشته كان متديناً ، لقد
 كان ، قبل اي شيء آخر ، مدركاً للحاجة لما دعاه « بالخلاص » . وقد
 لا تنفق معه . بل قد تقول عنه ما قاله احد رجال الدين الجزويت عنه
 من ان هرطقته شامة وكثرة ، الا اننا لا نستطيع ان نشك في الخلاصه
 الذي يتجلى في حاجته الى « الخلاص » .

كان نيشته ورومانياً ، من جماعة شيلر ونوفاليس وهوفمان . وكان في جلال
 صباه ومراهقته قد قرأ الكثير ونشأ ونظم الشعر ، وفكر في نفسه وفي
 مصيره للتحليل ، وقد كتب في الثلاثين من عمره تاريخاً لحياهه حافلاً باليقيد
 والدراسة الذاتية . ولم يخرج عام على ذلك حتى أعلن انه سيكرس حياته لخدمة الله
 وكان وفاءه بطقوس عليه اسم « القس الصغير » . الا اننا نغفوه للدين كان
 مطاطياً دائماً ، ويرى عنه انه يرى هو وشقيقته في اخذ الايام مذبحاً على بقعة كان
 قد بنى عليها في زمن ما مابيع وثني للتضحيات . ثم تلقى بدور هو وشقيقته حول
 المذبح مزدحمين : « اصح اليا يا اودين » وسط الدخان المتصاعد .

وفي الرابعة عشرة من عمره ارسل نيشته الى مدرسة فوراً المشهورة التي تخرج
 منها نوفاليس وقبيلته « جماعة شيلر » . وهناك مثل دور البطل الرومانسي . لقد
 قيل بعد ذلك ان : « كل الرجال العظام انما يتلون مثلهم العليا » . أما نيشته فقد
 كان مثله الأعلى مزيجاً من « مانفريد » « بايرن » « ولصوص » « شيلر » و « هايزنوخ »
 نوفاليس . وتعلم من نوفاليس ان كل انسان قوتي وبطل الا ان التصور الذاتي
 « الانشورانية الذاتية » هو الذي يجعله متوسطاً معتدلاً ، وقد أثر ذلك في نفسه

« في وده الحبر والشر » الجزء الرابع - ص ١٤٧

أشده التأثير ، وما ان قرأ مقالات امرسون حتى لجس بالخطبة والجدال بضمير
 قلبه لأنه وجد بديهيته وبديهييات نوفاليس مؤكداً غايته في تلك المثالات بالانتماء
 « الاعتقاد على النفس » . « روح الله الشاملة لتكون » . وتعلم من ان امره هو ان
 شيئاً من الضيق الذاتي وعدم الاكتراف للذة والألم اللذين لم يمارقاه حتى البهامة .
 وقد حدث مرة ان بعض رفاقه كانوا يناقشون بشأن فرميدس . فكانوا يقولون :
 « إذا بنيتشه يضع على راسه بقعة كومة من عيشان الخشب المشتملة ايضاً للمناقشة
 ان ذلك شيء . يمكن ان يضعه الانسان . وبما كانت تعليمه لم يتركه في الحيرة .
 كانت تأثرات جديدة اخرى تأخذ طريقها الى أعماقه . « واشترى نيشته نسخة من
 موسيقى فاخر « لريستان وايسولت » وحفظها عن ظهر قلب . وشارك في
 تأسيس جمعية من المفكرين « حيث » « جرمانيا » وكتب مقالات عديدة للجملة هذه
 الجمعية . ومن بينها مقالة « القدر والتاريخ » التي قال فيها : « استعملت
 اسساً ثابتة واسعة في المستقبل . حلاً يدرك الناس ان المسيحية لا تستند الا على
 الغرضيات . لهذا حاولت ان أفكر بكل شيء . . . »

وفي هذه الفترة تحولت النزعة الدينية المخوفة في أعماله . كما يقول هو .
 « رغبة في الحقيقة مهما كلف الأمر . وحينئذ كنتك الذي يبدئه الشباب في
 هجوم الحق والصدق . . . وتستطيع ان تفهم من أقواله هذه انه وجد نفسه قريباً
 جداً من حالة « وليم جيمس » التي تصفت بالعرب الخلفي ، والتي انتم . والشعور
 بانته شعور من ينظر الى أقدامه هوة سحيقة . وهذا يحتاج الى انقطاع بعض
 العبارات التي نقلها جيمس عن الفيلسوف الفرنسي جوفري . لتدلنا دلالة كبيرة
 على ما كان يجري في ذهن نيشته في تلك المرحلة . توجد أن جوفري يوضح
 هذا الطرفة التي يستطيع العقل الباحث بواسطتها ان يتأمل قول الذكريات

في الاصل الرومانسي . - « عدم علم المرء ان امره هو ان يكون
 في حيرة من امره . . . »

والانفعالات التي تلوح عددة الامام حتى يصبح فراغاً هائلاً بفزع الروح الانسانية . يقول جوفروي : (١٢)

« لن انسى ما حيت تلك الليلة من ليالي البلول التي تمرق فيها القناع الذي كان يفصل بيني وبين عدم نفسي . اني ما زلت اسمع خطواتي في تلك الغرفة الضيقة العارية التي كنت معتاداً على السشي فيها بعد ان يكون الناس قد ناموا .. لقد تبعت افكاري بلهفة وهي تهبط طبقة طبقة لتوطد ادراكي مهددة كل الفلالات التي كانت قبل ذلك تمنعي من رؤيتها . وموضحة نفسها شيئاً فشيئاً .

لقد تعلقت بذلك المعضدات بلا جدوى . تعلق الملاح عظام سقيته الغازقة ، وكنت عاتقاً من الفراغ المجهول الذي كنت احس بانني سأطوقه بين لحظة وبألخرى . لقد رجعت بتلك المشاعر الى طفولتي ، وعائلتي ، وبلادي . وكل تلك الاشياء عزيزة علي ، الا ان نيار الفكر كان اقوى منها جميعاً فاضطرتني الى تركها كلها ثم بدأ يزداد صعوبة كلما اقتربنا من النهاية التي لم يتوقف ذلك التيار الا وقد أوصلي اليها . وعلمت بعد انه لم يبق في اعماق ذهني شيء قط ، وكانت تلك اللحظة خيفة مفرقة ، ولما انقبت بجسمي النصب على فراشي في السجرة شعرت عياني السابقة الباسمة الملية تلتهب فجأة ، وبخاني الجديدة تبدأ ، كتيبة لا بشر فيها . فلم يبق لي الا ان اعيش وخجلاً في المستقبل ، وخجلاً مع فكري الشاق الذي تقالي اليها . هذا الفكر الذي اقبل الآن الى صلب اللغات عليه ، وكانت الايام الاولى التي تبعت ذلك أشد أيامي كآبة .

ليست مثل هذه التجربة غريبة على المفكرين . ويضرب لنا جيمس ملان على ذلك حالة جون ستوارت مل ، التي تشبه هذه الحالة كثيراً ، وينبجث في الفصل التالي بعض تجارب تولستوي الاولى وتغارها مع هذه أيضاً . لقد جرب لينتشة هذه الحالة أيضاً ، وتدلنا بعض كتبه على ذلك دلالة غامضة ، وسنبجث عنه الكتب . . . وقتها . على ان هنالك صفحة في الحكمة المنقطة يتحدث فيها عن « الألم . . . الذي يضطربنا نحن الفلاسفة الى الميوطة الى انحنا مجردين انفسنا من كل تلك الطبيعة المجردة التي كنا من قبل قد استعاضنا انسانيتها . التي اشك في ان

مل هذا الألم يستطيع ان يوصلنا الى احسن مما نحن عليه الآن ، الا التي مع ذلك احسن بأنه يزيدنا عمقاً . » (١٣) وقد اعتاد لينتشة على الوحدة واعتبرها جزءاً من معبر العيش . وقد اقتنع بذلك بطله شوبنهاور حين كان في العشرين . وبالرغم من انه لاو على شوبنهاور في النهاية الا انه لم يتردد حين صير الوحدة هذا . فقرأ لينتشة اعمال شوبنهاور في جامعة لايبزك في عام ١٨٦٥ . وكان شوبنهاور قد قال لاحد اصدقائه وهو لم يبلغ العشرين بعد : « الحياة عذبة جداً ، ولما فرغت ان انفقها بالتأمل فيها . » ولدينا وصف لحالة لينتشة حين قرأ اعمال هذا الفيلسوف الكبير . لأول مرة ، وتمكن ان يتودنا هذا الوصف الى معرفة شيء عن « الفنان شاباً » :

« ان الامزجة المريضة والمضايقات ذات الطابع الشخصي تصفت عيزة عامة لدى الشباب الذين يتوقرو فيهم شيء من السوداوية . كنت في ذلك الوقت شديد القلق كثيراً بسبب بعض التجارب المؤلمة ، خائفاً نفساً ، لا امل لذي ولا معضدات جوهرية . وكنت اشعر بشيء من الراحة حين الجأ الى غرفتي واغلق علي بابها . وفي ذات يوم فرغت يدك ان دون الكتب المستعملة فوجدت هذا الكتاب معروضاً بين الكتب ، فالتفتله وقلبت صفحاته . وشعرت بقوة خفية تهمس لي : اخذ هذا الكتاب منك . ففعلت ، وعذت الى البيت واستلقيت على المتعد الطويل . ثم كنت تلك العيشية الغالية الكتيبة تأخذ طريقها الي . لقد وجدت هنا ، في هذا الامزج والنفي والتعاسي التي يحفل بها كل منظر ، برآة رأيت فيها العالم والحياة وروحي ان الحارة في عظمة خيفة . وشعرت بان عين النمل المقنوعة التابة تخلفني في . ووجدت هنا أيضاً المرض والشقاء . والياد . والاستقرار . والفردوس والحجم . لقد شعرت بالحاجة الى ان اعرف نفسي . الى ان أقدم نفسي قضياً ، الى علي الحاساً شديداً . . . انتهى بعد ذلك صفحات مذكراتي التي كتبها في تلك الايام . تلك الصفحات السوداوية القائمة المتطلعة الى الاعالي يأس شديد ، ملائمة الى اعادة بناء جوهر الانسان في شكل جديد . ولم يقتصر الأمر على روحي وانما كان جسدي أيضاً يعاني مما يعانيه علي . ذلك ، انني فرغت ان اذهب الى القرائن

في الثانية بعد منتصف الليل ، والنهض في السادسة صباحاً ، واستمر ذلك أربعة عشر يوماً أجست فيها بأفكار عصبية كثيرة . (١٤)
لقد رأينا ذلك كما رأينا في حالة لورنس أيضاً ، ان القطة الذهبية تكون دائماً مضطربة بالأم الجسدي . الا ان تغير طريقة نشته في النظر الى نفسه تعتبر أهم من حالة لورنس بمراحل . لقد كان شقياً يشعر بشعور السجين ، السجين في ذهنه وجسده ، ولذلك فان حاسة الاول في دراسة الفلسفة الاغريقية لم يتح له المزاولة التي يرى فيها وجهه هو ، الامر الذي فعلته قراءته للفلسفة شوننهاور . لانها أكدت على ما كان يشعر به نحو طبيعة العالم ومكانه فيه . لقد وجهه شوننهاور انفصاله عن نفسه ، ذلك الانفصال الذي يعتبر الخطوة الاولى نحو المعرفة الذاتية .

هناك تجربتان في حياة نيتشه تعتبر ان مفتاح شخصيته كما تعتبر الفترة التي مد فيها فان كوخ يده الى لب الشمعة مفتاحاً لشخصيته علقاً ، وسنلجأ في ذلك الى اختلاف شي . عن هاتين التجربتين بالرغم من وجود سنوات عديدة بينهما . اما الاولى فتجربتنا بها رسالته الى فون كيركزفورد في عام ١٨٦٥ :

« بالأمس كانت هناك عاصفة عيفة تهدد بالمحروب ، فأمرجت الى تل قريب يدعى لوتش ، وجدت في اعلاه كوخاً صغيراً ، ورجلاً يذبح عشرين صغيرين . في حين كان ابني يتفرج على ما كان يجري ، وفي تلك الاثناء انقضت العاصفة علينا بالرجل والمطر ، فشرعت يشعر لا بوصف من القوة والحيوية ان البرق والعصف غلطان مختلفان ، قوى حرة ، لا خلق بقيدها ، الارادة القوية التي لا تتركها الاضطرابات النفسية - يا للشعاع ، يا للحرية » (١٥)

تلوح هذه التجربة بسيطة جداً ، الا ان تأثيرها على أفكاره كان بعيداً جداً ، كانه متوقفاً ان يكدره منظر الدم ، اما الآن فقد امتزجت غيظته بسبب العاصفة مع رائحة الدم وميض السكين ، والصبي المألوف المثلج ، وكانت النتيجة ادراكه اليومي للارادة الحرة من مغاضل عقله وخبرته . كانت تلك البداية

اطلاقاً له من قيد « طبعته التي تحبها فكره » التي كانت مصدر المتاعب بالنسبة له .

اما التجربة الثانية فقد حدثت بعد مبني سنوات عديدة على التجربة الاولى ، وكان ذلك خلال الحرب الفرنسية - البروسية ، حين كان نيتشه حديقاً صحياً في إحدى فرق الاسعاف ، وقد روى ذلك لتلقيته حين سألته يوماً عن اصل فكرة ارادة القوة .

كان نيتشه قد قضى اسابيع طويلة معالجاً الجرحى في ساحات المعارك حتى جعلت مناظر الدم والاعضاء المتعنتة تزعجه يصل الى حد تحدر الاحساس به ، وفي ذات يوم دخل نيتشه إحدى المدن الصغيرة قرب ستراسبورج بعد نهار حافل قضاء بين الجرحى وكان يسير على قدميه وحيداً بلا رفيق . وفي تلك الاثناء سمع وقع حواله حذاء قابعند عن الطريق ووقف قرب الجدار منتظراً مرور القرفة . ومرت القرفة بقرساتها ومشاتها ، وكانت ترفقه القديسة . وبينما كان يراقب الجنود وهم يمشون امامه في طريقهم الى ساحة المعركة وريما الى الموت باغته الفكرة والفتح بان « اقوى وأسمى ارادة في الحياة لا تشمل في الكفاح النافذ من اجل الحياة ، وانما في ارادة الحرب ، ارادة السيطرة »

علينا ان نتفحص هاتين التجربتين بعناية وبلا تحامل ، واننا لنجد فيها شيئاً من « ميزات التصوف » ، وقد كان نيتشه مسجناً في طبعته التي تحبها أفكاره ، في حين تشير هاتان التجربتان الى غيطة بالحياة ، وبعد ذلك لدى نيتشه في قوله : « الحيوية هي القطة الخالدة » ان الفيارات « قوى حرة لا خلق بقيدها » و « الارادة الحرة » يمكن ان تعتبر أساس فلسفة نيتشه ، وهي ليست غير ذكريات تلميذ معتل الضجة رأى رؤيا تمثل الضجة الكاملة ، فتحرر من جلوده الجسدية ومن سيطرة الشخصية والبنكر . كانت تلك أعمق معارف نيتشه ، وقد بينها في العصفحات الاولى من كتبه « مولد المسألة » الذي كتبه حين كان أستاذاً شاباً في جامعة بازل .

« الممولد البعيد الذي يشق من اعماق الانسان ، أي من أعماق الطبيعة » في

لحظة ذوبان الشخصية الفردية وإخلاقها، والذي يجعلنا نحصل على شيء من الإدراك الديونيسي الذي يمكننا أن نفهمه جيداً بتحليلنا لحالة السكر. ويمكن خلق مثل هذا الدهور باستخدام العقاقير المخدرة التي تحدثنا عنها أناشيد وسابيح البشر الأوائل البدائيين، أو عندما نخل الربيع مغلفاً الغبطة في الطبيعة كلها، فإذا استيقظت هذه الأحاسيس الديونيسية ذابت الذات وأصبحت نسياً منسياً... (١٦)

لقد عرف نيتشه هذا الاحساس واستخدمه مقياساً بحكم بواسطته على الأشياء. ويقول نيتشه إن سقراط لم يعرفه، ويضيف «مزلولا» بعد ذلك عالم الأكاديمية، إن سقراط إنما يمثل تدهور الحضارة الأفريقية، في حين كانت ذروتها تتمثل في عبادة ياقوس، إله الحورية القيضة الخام. ومثل نيتشه ذلك على معظم الفلاسفة والمفكرين في عصره أيضاً، فلم يتج منهم إلا شوبنهاور، وسباني اليوم الذي يظف فيه شوبنهاور أيضاً ليبحث باليقية... وهكذا لم يكن نيتشه ليتعدى الثامنة والعشرين حين وقف وحيداً، ما عدا اثنين ظل يجزئهما وهما شوبنهاور وفاغنر، فكانوا ثلاثة رجال ضد العالم كله... ولكن أي رجال!

كان نيتشه قد عرف فاغنر شخصياً منذ عام ١٨٦٨، إذ قابلته بعد تعيينه استاذاً في جامعة بازل. وكان ذلك في مدينة لايبزك، يوم كان فاغنر في التاسعة والخمسين ونيتشه في الرابعة والعشرين. واستطاع نيتشه في أثناء وجوده في بازل أن يعمل من تعارفه ذلك مع فاغنر صداقة حارة. أما فاغنر فكان يعيش في تريشن على بحيرة لوسيرن، وكان منهماك في إنهاء مؤلفته «الحمام» - ترافقه كوسيا فون بيللو التي كانت قد هجرت زوجها لتعيش مع فاغنر، وكوسيا هذه هي ابنة فرانز ليست. ووجد نيتشه في منزلها اللاشعري الرائحة المشوذة، قصار يقضي الليالي مع فاغنر، متحدثين حتى الفجر. وأطلع فاغنر نيتشه على مقالته «عن الحكومة والدين»، التي تستند على فكرة أن الدين والوظيفية ضروريان جداً باختيارهما «أقوى الشعوب» - في حين أن الملك وحده هو الذي يسو على ذلك متمتعاً بالشجاعة التي تؤهله للمعاقاة، ولرفض الفضلات الشائعة التي يروجها «الفن الذي يجعل الحياة تلوح وكأنها

لعية ونجتنا مصيرنا المعروف». (وبعد عشر سنوات فقط، طلع دوستوييفسكي على الناس بهذه الفكرة ذاتها في «الأخوة كارامازوف» مستبدلاً الملك بالفتش العام).

كان نيتشه يعتبر فاغنر أخاه الروحي، في حين كان فاغنر يعتبره تلميذه الشاب اللامع. على أنها مخطئان معاً، إذ سيحين قريباً اليوم الذي سيكتب فيه نيتشه كرامساً يثبت فيه أن يزيه أعظم من فاغنر، ويكتب فيه فاغنر كرامساً آخر يثبت فيه أن نيتشه كان يهودياً. وإن من يقرأ نيتشه كلها قرأه، ويستمع إلى فاغنر كما فعلت كلما حانت لي فرصة لذلك، ليدعش أشد الدعة مسانداً: لماذا يسف هذا الرجلان هذا الاستفاف فيذكر أحدهما الآخر؟ أما الجواب فهو أن نيتشه كان شاعراً فيلسوفاً لم ين ولم يضعف ظموحه يوماً، في حين كان فاغنر في عام ١٨٦٨ «سيفياً عاجلاً جداً»، وكان مقتنعاً كل الاقتناع بحالته تلك. وعليه فإن الطموح الذي يسبق نفسه لا يمكن أن يحصل القانع الراضي بما هو عليه، وهكذا استمع «ما إلى» سيد المنيخ، فسي كل شيء ما عدا اقتناعه الذاتي بموسيقى الكيان والابواق القرصية. ولم يعد أمام فاغنر إلا أن بأسف على انقلاب تأسيده ضده. إلا أنها كانت في عام ١٨٦٨ على أنهم ما يكونون من الوفاق، وكانت فائدتها الممنعة تغطي كل شعور القصور. وقد أضاع نيتشه فصلاً إلى «مولد الأنثاء» معبد فيه فاغنر ويعتز به مسيح الفن، وكاناه فاغنر على ذلك بأعلاجه أن هذا الكتاب كان واحداً من أروع الكتب التي قرأها.

أما رفاق نيتشه من أمانة الجامعات فقد كانوا أقل ميلاً لعين فاغنر. إذ توقعوا من نيتشه أن يكتب كاستاذ، إلا أنه كتب كشيء، فأطلسوا عليه لقب «الناسي» المعروف. كان نيتشه من «الحظ»، ولم تكن تلك السمعة التي اشتهرت عنه لتزول إلا بعد عشر سنوات أخرى يستعيد خلالها منزلته كاستاذ. إلا أنه لم يكن متوقفاً من أن يترك ذلك في حي ميغرينه وشبابه. وأنه لما يدعو إلى الاعتصام بالبرك ذلك - لأن فشله في البعثة إلى الموقف كله مقله - فقد بدأ الآن الاستعداد الذي لم ينفذ إلا بوقت، وأصبح مسوقاً إلى التأكيد على نفسه والادعاء بالبراءة. وذلك بوقوده ضد المحافظين الذين اعتبروه نصف عاقل. حتى لقد

بلغ فيه الأمر أن يبدأ فصول كتابه الأخير بالعبارة : « لماذا أنا ذهني »
 إلى هذه الدرجة ؟ » ، « لماذا أنا حكيم إلى هذا الحد ؟ » ، « لماذا
 أكتب مثل هذه الكتب المخازنة ؟ »

أما بقية حياة نيتشه لم يكن تقسيمها إلى ثلاث فترات . فقد رفع كتابه « مولد
 للنساء » الحياة فوق الفكر : يسقط الفكر ، تعيش الحياة . أما الكتب التي ظهرت
 في السنوات العشر التالية فقد جاءت بالتعويض : تنشط الحياة ، يعيش الفكر ،
 ورفضت من شأن سقراط ثانية وجعلت الحقيقة الهدف الأول . وأخيراً ، في
 الوقت الذي اضطره فيه اعتلال صحته إلى ترك الزوجيات الجماعية ، ظهر
 نيتشه آخر تمثل في « الحكمة المسنة » ، « وهكذا تكلم زرادشت » ،
 وأصبحت الحياة العظيمة الخالدة من جديد . وكانت تلك النهاية .

خلت النهاية في عام ١٨٨٩ (السنة التي انهار فيها فان كوخ) وبدأ نيتشه
 يكتب رسائل غريبة شاذة موقفاً إياها « بالقبصر » أو « ملك نابولي » ، وبالخاص
 « المضي به » ، وكانت آخر رسالة إلى كوسيا قاعتر « كما يلي : « أردبان » ،
 أخيك : ديوتيسوس . » لقد كان ذلك انهاراً عقلياً كاملاً ، وظل نيتشه
 مجنوناً حتى وفاته بعد عشر سنوات من ذلك .

ليس من الممكن أن توفي أفكار نيتشه حقها في هذه الصفحات القليلة ، لأنه
 لم يكتب كتاباً واحداً رئيسياً يمكن أن يعتبر عنواناً ، لكل ما يخص نيتشه ،
 وهناك ما يوحى بأجواء اللامعة في كتابه ، إلى درجة أنه هو نفسه أدرك
 ذلك فبدل عنوان أحد كتبه وجعله « كيف يتخلص منظرقة » ، أما كتابه
 فلا يمكن أن تعتبر أجزاء متصلة في نظام معين ، وإنما هي أجزاء متلاخفة
 من الاعترافات الشخصية التي كتبها نيتشه كرجل . ولكن تفهم نيتشه جيداً علينا
 أن ندرس منه كتب على الأقل من كتبه « بما فيها » هكذا تكلم زرادشت »
 ونقل منها « مولد النساء » و « الناس المتأثرون أكثر مما يجب » ، و « وراء الخير
 والشر » و « أصل الأخلاق » و « التاريخ الشخصي » و « إرادة القوة » ،
 والكتاب الأخير ليس إلا مجموعة من الملاحظات جمعها شقيقه بعد موته . ولن

أحاول أن ألخص هذه الكتب جميعاً في هذا الفصل . فذلك أمر صعب حتى لو
 لم تكن غندراً هذه الصفحات القليلة ، بالإضافة إلى كونه قليل الأهمية بالنسبة
 لأغراض هذا الكتاب . إن السؤال الذي يعني هو : إلى أي حد أوضح
 نيتشه مشكلته كلامياً ؟ وإلى أي حد استطاع أن يحل مشاكله ؟ أما السؤال
 الأول فيمكننا أن نجيب عليه حالاً ، فإنه أوضح مشاكل اللامسي بأكثر
 مما حل أولئك الذين بحثوا أعظمهم حتى الآن ، أما السؤال الثاني فإن الأجابة
 عليه تتطلب منا فصلاً دقيقاً لحياة نيتشه .

لقد انقسم الأطباء والمقاد بشأن سبب جنون نيتشه . وتدل الأبحاث الأخيرة
 على أن مرضه كان نتيجة مرض جنسي أصيب به يوم كان طفلياً ، بسبب انتقاله
 إحدى البقايا . (ينظر توماس مان على هذه القصة قصته « دكتور فاوست ») .
 والواقع أن مثل هذا المرض كاف لإصابة الإنسان بالجنون ، تماماً كما كانت
 نورات غيسكي العصبية الموروثة سبباً في جنونه . وكما كانت شدة حساسية فان
 كوخ سبباً في ذلك أيضاً ، إلا أننا يجب أن نبحث عن سبب آخر أعمق
 في المشاكل التي جابهها نيتشه .

لقد كان وحيداً دائماً ، ولم يتزوج ، ولم تكن لديه عشيقة ، ولم تكن لديه
 « على ما تظن » أية صلة جسدية مع أية امرأة ما عدا إحدى البقايا . ولم
 تل إليه ويقف تجاهله إلا نفر قليل ، في حين لم يبعد المعجبون به في حياته كلها
 حديد أصابع اليد . وحتى هؤلاء كانوا يتقنون ضده في كثير من الأحيان . كانت
 هناك أيضاً صحنه المعتلة التي ورثها من سنوات الحرب ، وبالإضافة إلى أن
 انكساره على القراءة والكتابة سبباً له سلسلة طويلة من أمراض الصداع وسوء المزاج
 والأمراض العقلية والجسدية . فمما يليق به الأمر أنه لا يستطيع أن يفهم شيئاً أو
 يفكر أمراً مهماً في بعض الأحيان . وكانت تلك الأمور تعزّل طبعه الخلاقة ،

* بالرغم من أن الكتاب الذي اكتشفه يدعى « مولد النساء » ، إلا أنه يشهد على « الفكر » وليس « المرأة » .
 « مولد النساء » هو الذي من هذا « إلا أنه أصلاً هذا الكتاب »

لان دعوته ارفع الى مستويات عالية من التفكير حين كان يضع بصحة جيدة .
كان مثل فان كوخ في أن الامور النافذة صيقت عليه الحقائق في اللحظة الحرجة
التي بدأ فيها الانهيار ، ولم تنتج عنه بشفة من هذا أيضاً ، إذ ارسل احد اصدقائه
ليخطب له إحدى الفتيات ، فرفض ذلك وتزوجت الصديق (وكانت تلك
الفئة لو سالومي التي أصبحت بعد ذلك أقرب صديقات الشاعر النيتشي
العظيم الآخر راينر رنكه) . أما أشد كبحه تعظيلاً وغنى فقد أثارت مثقفي
ألمانيا وجعلتهم يهتمونه بالاسراف في حب الذات وبالجنون ، أما أفكاره التي
لاحت له علامة ، جذيرة بأن نهز العالم هزاً ، فقد استقبلها الناس بقشور
الا ان الروح الثاقولة التي تسود رسالته دائماً تبعث على البهجة :

« أما الصديق العزيز ، ان شمس آب شطع علينا الآن ، في حين تقرب السنة
من نهايتها .. القدوة والسلام ينتشران في الجبال والعبات ، في حين تروح في
أفق ذهبي أفكار لم أعهد لها فيه من قبل . يجب ان اعيش سنوات أخرى . اني
أشعر بما يوحى اليّ بأنني أحيأ حياة متاحة في المظورة ، ذلك لانني أشبه آلة من
هذه الآلات التي تنفجر أحياناً . أما شدة مشاعري واحاسي فانها تجعلني أرعد
وانفجر ضاحكاً . ولم يكن باستطاعتي عدة مرات ان أعبر غرفتي لسبب
نافه هو أن عيني متورمان ، ولكن لماذا ؟ .. ذلك لانني كنت ، في
كل مرة ، قد بكيت كثيراً في اليوم السابق حين كنت أغشى . ولم تكن
دموعي دموع انفعال ، وإنما كانت دموعاً حقيقية سبها غيطي السديلة .
كنت أغني وأمتف بكلمات حقاً ، وكانت ثنائيتي رؤى أرى فيها الناس
قبل أن أقابلهم في عالم الواقع . » (١٧)

يذكرنا هذا بعبارة فان كوخ : « أما بالنسبة الى اعمال الفينة ، فقد صيحت
من اجلها غيائي ، ومن اجلها فقدت نصف عقلي » ، الا ان القسم الاخير منه
يذكرنا برجل آخر غرق في تدينه ، ذلك ان باسكال استعمل عبارة « دموع
القطعة » في وصيته العجيبة التي وجدت في بطاقة سريره بعد موته . وكان
يصنف فيها الرؤيا التي رآها بعد مرضه وعذابه الطويلين :

والنار

اله ابراهيم واله يعقوب واله اسحق
لا اله الا الله

« الإرادة المطلقة ... الحرة من حيرت العقل .. »

لقد عرف نيتشه بعد ان عانى من العذاب ما عانى ايضاً ، وأنه لم يحدث
عن « الحكمة الممنعة » قائلًا :

« يلوح أنها مكتوبة بلغة العواصف ... والشكر يتدفق باستمرار ، كأنما قد
حدث شيء . لم يكن حدوثه متوقعاً بالمرة - شكر من شيء من مرضه - توأ - أما
هذا الشيء الذي لم يكن متوقع الحدوث فهو الشفاء . وليس هذا الكتاب
الا مادية طويلة بعد حرمان شديد ووحدة وضعف طويلاً ، انه تأجج
الحيرة المتعددة ، وبفظة جديدة للأمان بقدر بعد عقد ... » (١٨)
كانت قمر الوحدة والضعف الطويلة هي التي كتب نيتشه خلالها كبحه
السخرية ، أفكار ليست في وقتها ، « فجر النهار » ، الناس السابقون
أكثر مما يجب . ثم بدأ يظهر شيئاً من الشك . شك المفكر الذي يكشف
أنه كان قد لبس الجسد والشاعر :

« الانحاء الامتدك للتطلعات الجسدية تحت قناع الموضوعي والمثالي
الروحي المطلق ... لقد سألت نفسي مراراً ، ألم تكن الفلسفة الى حد
الآن تفسيراً للجسد ، وعدم فهم له ؟ » (١٩)

وهو يتحدث عن ذلك التخصص الذي يشمل كل شيء (والذي
افصلت عبارات جوفري لا يوضحه) :

« ... يلوح الانسان ، بعد هذه التجارب المظورة في السيطرة على النفس ،
أنه صار كائناتاً جديداً ... ميلاً الى التفحص والاختيار أكثر من قبل .. أما
الثقة بالحياة فقد تلاشت ، بل ان الحياة نفسها صارت مشكلة . وليس من الضروري
ان يصبح الانسان دائم الاعتلال والكتابة بسبب هذا . بل انه يستطيع ان ينجو
ايضاً ، الا ان حبه تختلف . أنه حب امرأة يشك هو فيها .. » (٢٠)

هذا هو مفهوم نيتشه للانسان المولود مرتين ، ويسمى في التعبير عن
غاية امله في الروحية السقراطية ، يقول :

«... علينا ، كفنانين ، ان نعلم كيف ننسى وكيف نعرف... على الله
ليس من المحصل ان نقضي أثر المعربين الذين يقيمون في المعابد ليلاً ،
معانين البابل ، مدعين بأنهم انما يكتشفون الغطاء عن كل شيء ، كان خفياً لانه
من الخبير ان يخفي . كلا ، لقد بدأنا نشعر من هذا الذوق الثقاف ، هذه الرغبة
في الحقيقة ، (الحقيقة فيها كلف الامر) ، وهذا هو الجنون الذي يتميز به الشباب
في حبههم للحقيقة ، ونحن الآن مجربون الى درجة اننا لن نلجأ الى هذا ، لاننا لم نعد
نعتقد بان الحقيقة تبقى حقيقة اذا تجردت من البشر . » (٢١)

ويلخص نيتشه في الموعظة الاولى من الكتاب الرابع «سانكتوس باپتواريوس» :
«ما زلت أعيش ، وما زلت أفكر ، ويجب ان اظل حياً ، لأنني يجب
ان استمر على التفكير . اود ان لا أقول من الآن فصاعداً غير نعم » .
هذا هو مقترح فلسفة نيتشه منذ الآن الى النهاية ، اذ انه بدأ يسأل بلا انقطاع
ويتخصص ويغير كل شيء ، وقد نزل كل الفلاسفة الغربيين السابقين قاطلاً انهم
حتى اغبياء تقضح فلسفتهم كل ما يشهدهم من الفراط في الانسانية ومن ضعف
ويتخذ من اخلاقية «كانط» الاستبدادية ، ومن «هيجل» اهدافاً خاصة لحيوه ،
لان هؤلاء عظموا شأن الفكر وكأنه من الممكن فصله عن الحياة ووضعها في درجة أعلى ،
وبهذا فالفهم انما جرموا الحياة من قيمتها وفشلوا في ادراك ان الفكر ليس الا وسيلة يجب ان
تساعدنا للوصول الى «حياة أكثر وفرة» . يجب على الانسان ان يركز على الاشياء
وربئها وأن يقول «نعم» دائماً ، وأن يشكر دائماً . أما هؤلاء المفكرين فلم
يكونوا غير سجناء ، تقلوا من شأن الحياة (او كما دعاهم كثير كفاردين) : ويدعون
ما يعانونه الآخرون . ان أعظم ما يستطيع الانسان أن يفعله هو أن «يشكر» رغم
كل شيء . «وإن يكون مدرّكاً لاسوأ ما في ال «لا» النهائية ، فإما لكل ما
يرتبط عليها ، وأن يظل في الوقت نفسه على إيمانته باليسة للحياة» .
نعم نيتشه أن يقول «نعم» شيئاً فشيئاً ، وكانت تلك هي المشكلة التي شغلت

باله في أثناء خروجه للتصني : «لا» النهائية ، أم «نعم» النهائية ؟ ولقد تركه
جنانة بازل مريضاً ، شجراً من الحياة ، شجراً من الحسنى ، ومن الغذاء الذي
جوبه به ، وجمع قوته من جديد ليفقدنا ثانية ، فصار شجراً من فردريك نيتشه
نفسه ومن أسلامه التي لا تنفك مع الكون ، شجراً من البتلون الذي لا يفي
بتحرك متضلاً من «لا» الى «نعم» ومن «نعم» الى «لا» ، ومن السعادة التي
جعلت الشقاء يلوح عديم الاهمية ، ومن الشقاء الذي جعل السعادة تلوح وهملاً .
كان يريد أن يحصل على المعرفة الاكيدة ، فظفر الى نفسه . الا أنه وجد
أنه لا يستطيع أن يقول «نعم» أو «لا» وسأل نفسه : أعطنا من طبيعة الحياة
حقاً ؟ هل يمكن أن يوجد ذلك الانسان الذي يقبل كل شيء ؟ وانطلق نيتشه
ليصور ذلك الانسان الذي يبلغ به العظمة حد الثبات الاشياء . ولم يكن يبحث عن
البطل ، فلا يفل يستطيع أن يقوّر باعجاب الفيلسوف الكامل ، وانما كان يبحث
عن الذي أو القديس أو العفري أو الفرد العملي ، أو ربما الفرد الذي يتمتع
بقدر اربعتهم .

وولد في ذهنه مفهومان ، الانسان السامي والسيرومان ، وتكرر الحديث عن هؤلاء .
أما قول «نعم» فيجسد على اعادة الحياة ، الا ان اعادة الحياة تعتمد على الانسان نفسه .
ويمكن ان تزداد اعادة الحياة عمقاً وسعة بالتأمل ، والكفاح الديني المستمر ، والاعمال
التي يتركز على ثبات الحياة فيها كلف الامر . أما التجربة فانها العدو ، ولا يمكن العلب
انها في الغريب منها أو تحويل الوجه عنها (كما قال آكسيل : أما العيش في هذه
الحياة «فيؤذي» ذلك تجديداً لنا) ، وانما تمكن ذلك بشربها والاشترائك بها .
وهكذا . فعندما تكون التجربة هي العدو ، يكون السؤال آنذاك : سيد أم عبد ؟
سيد التجربة أم عبده ؟ كما اننا نجرب في من السعة بحيث اننا لا نستطيع ان نعصور
اساساً بشربها كلها دون أن يكون منطاداً كبيراً . أي انه لا ينبغي انساساً . حل
ان فكرة الذي السامي أو البطل السامي لم تسكر نيتشه ان التجربة التي يعبرها هو
لما بعد «رائحة» وانساناً متياً . لانه انشط بقسديه على الارض مثلاً (انما يفكره
وتكرر الحديث الخالد ، وهكذا حتى نفسه من المثالية ، وتخصص طبعها

خاصة مثابة هيجل وليبنتز التي لا وزن لها : تلك المثالية التي ربطت الكون بنظام معين وصرحت : كل شيء هو للآخر في هذا العالم الذي يعتبر أحسن العوالم المحتمل وجودها . ان تكرار الحدوث الخالد يجعل الوجودية مطلقة (أو اذا كان هذا غامضاً) انه عمل الإيمان النهائي . ولا يتعارض مفهوم تكرار الحدوث الخالد مع مفهوم الانسان السامي السوبرمان . وانما بالعكس . فلهذا مترابطين بحيث اننا لنستطيع ان نفصل احدهما عن الآخر . ان تكرار الحدوث الخالد هو الذي سبب السوبرمان المفهوم الوجودي . لان السوبرمان مفهوم وجودي وليس مثالياً . (وهذا بالطبع هو الحاجز الذي تعطلت عليه سيقان الماتم من

لقد اضيق في هذا الفصل التي افهم فلسفة نيتشه فهنا يكون لقادراً ان يجد في أية مقدمة كتبت كتابه هكذا تكلم زرادشت . إلا ان قراءة الذين يحدون صعوبة في فهم تكرار الحدوث الخالد . لشيء في تلك نيتشه يستطيعون ان يفهموه من خلال فهمهم المقطعات التالية التي تحمل نفس هذا المفهوم الى الأمام : « ان يكون يتردد شيء في الفعل الثالث من مسحية الإنسان والسياسة السامية السوبرمان على لسان دوت جرات ما يلي : ... أعلم بأن مصدر قوة الحياة العظيم يشبه دوت السامية . وهو يستعمل الأرض في انقائه وحركته . ومن المسلم به أيضاً أن تاريخ كامل حركته من حركات هذا الدوت هو تاريخ الحركة السابقة كلها انه يفرح لنا نحن المظلمين . أما أضيئاً . أما الشمس فهي تفتت بالأرض وتسلطها من جديد تماماً كما يفعل البشران بالحركة . في دوت لا شيء من الروح . في حين ان قارنا التي تصعد بالاجيال والقرون ليست الا خلقت من الظلمة والسم . فما نرى أنا هذه الميكانيكية الزائفة من حركتي »

أما من حيث طبيعة حركة الأرض التي أدرك نيتشه فيها تكرار الحدوث الخالد فلا يمكننا إلا ان نحس بحسب مفهوم منها شيئاً . لهذا كانت التفسيرات منطقاً . أو إنحاء وجودياً بلا ارضية طبيعية الجاذبية والذرات الذائبة : كالتجارب والكوابير وراء « العقل في متاهة حذرة الاحتمال » أو يترك حلاً . « ان الطبيعة التي ينظر بها الإنسان شيء . ان الوقت يفرح من متاهة مع أحداثه السامية . وتنازع الطبيعة وحسنها ملاحظة قلة قرب إلى الصعود بالقيمة موحية فنظر الطبيعة القديمة منها إلى القيمة الزمنية المتكررة . الأحداث الممتدة على سلسلة من الحدوث السامية . أما الأشياء التي تعطل بالقياس إلى التاريخ الحوادث العرضية بسلسلة الملاحظة وليست الاحياء الانسانية التي تلوح وتكافأ

فحين نعلم العشرة الأخيرة إذا قرأنا التاريخ في كتابها من النص الأصلي « مقدمة يانك القرينة » مفهوم مثالي نوعاً . « واستطيع به أيضاً طريقة فصل الطبيعة المثالية عن الطبيعة المادية وهي من صميم حركته بغير هذا الفكر الضيق القديم » وتعتبر هذه الطريقة مثالية فكراً فنتنه عن تكرار

نقاد نيتشه . بما فيهم أحد أتباع نيتشه الكبار : فيكتور لاسير ديف . (وقد قال سبوس مرة : « أولئك الذين يتبعون ذلك الجانب العظيم من أنفسهم هم عظام . وأولئك الذين يتبعون ذلك الجانب القاع من أنفسهم هم ناقصون » . وهذا هو المفهوم الديني لا الانساني . ومن هذا المفهوم ينبعث السوبرمان .

قبل ان أبحث كتاب « هكذا تكلم زرادشت » ، علي أن أوضح بعض الأخطاء الشائعة بشأن فهم « فكرة السوبرمان » . لقد تشكى البعض من ان مفهوم تكرار الحدوث الخالد هو مفهوم سلمي غامضاً في حين ان السوبرمان عملاق بشري . ويكتب بيرديف مثلاً : « ينظر العاقرة ... الى نفوسهم باغتيالهم من نوع السوبرمان الذي يعتبر كل الأشياء صحيحة مبررة ... بل بالعكس . لانهم يندفعون الى العالم أشياء عظيمة بواسطة وضع أنفسهم في الدرجة الثانية بعد ذلك الذي يعتبرونه فوق البشر ... وقد اراداً دوستوفسكي مسجاة الادعاء بالسوبرمانية حين اعتبرها فكرة خادعة تقود الانسان الى الموت . « ان كل من يستطيع ان يفهم ان فكرة زرافا البوذية ليست سلبية وان بودا نفسه (الذي ينظر الى الانسان ليرى الانسان الملعوب ، كما ينظر رجل الجبال الى رجل السهول ، أو السوبرمان بعبارة اخرى) ليس عملاقاً كافراً . يستطيع من يفهم هذا ان يكشف كم تحظى هذه النظرة وكم تبعد عن جوهر الفكرة . لم يكن نيتشه كافراً . أو أنه لم يكن أكثر كبراً من بودا . . . وان من يقرأ أغنية الليل وأغنية الرقص في « هكذا تكلم زرادشت » يلاحظ انهما انما تصدران عما صدرت عنه التسايعس البعيدة أو الغائبة أو مزاجين دائره . ان فكرة السوبرمان ما هي الا صدى للحاجة الى الخلاص بالطريقة نفسها التي كانت بها البوذية جندی للعلامات الثلاث . اما

فد بيرديف . (شأنه شأن بقاد الآخرين) فانه يقتضي ان السوبرمان شيء شخصي . مثل سوزدي يا بويطاليا وولانيا فوق الجميع ، أي انه أبون

في ١٩١٤ كان الأستاذ ... انما انك تلاحظ ان هذه الفكرة ... في طبيعة ... في ...
 ... من ... الذي ...
 ...

ان الفرق بين المفهوم الديني والخرافة (الافينيون) هو ان اولها له صلة بالواقع البيكولوجي ، في حين ليس لثانيها شيء من هذا ، واعتني بالواقع البيكولوجي واقع الالامنتي ، ان مشاكل الالامنتي (وارجو ان يكون الجميع متفقين معي الآن) مشاكل حقيقية وليست خيالات نورانية (خاصة بالاضطرابات العصبية) ، كما انها ليست بالمشاكل التي نحياها في كل يوم ، اذ قد لا يجاوبها العامل او البائع مثلاً اكثر من مرة واحدة في حياته ، بالإضافة الى ان هذا البائع يقضي معنا في ان السؤال «متى ينتهي الكون» ؟ ليس مؤالافاً فاهماً كما كان رجلاً عملياً . وان من يسبح عليه أهمية لا يشترط فيه ان يكون مجنوناً ضالاً . اما اذا اجاب الانسان على سؤاله فقال : «يرتكز الكون على ظهور ثور» ، وهذا الثور يرتكز على ظهر فيل . الخ . فقد يكون لذلك البائع الحق في الحكم على مثل هذا الرأي بأنه مخالف للمعقول ، واذا فعل ذلك فانه انما يقضي مع الالامنتي في ان الميتافيزيكية (كجواب كامل على اسئلة الالامنتي) لا يمكن ان تعتبر أكثر من فكرة عامة أسبغت عليها التعظيم ، تماماً كما تجد الرياضيات العالية حياً أسبغت عليه التعظيم فحسب ، وسيورط نفسه بقبول الفكرة القائلة بأنه اذا اردنا ان نحقق هذا التعظيم المسبح على هذه الفكرة العامة المعقولة وجب علينا ان ننسب قبا الحساسية المعظمة أيضاً ، ذلك الذي تؤدي الى افراك للمشاكل التي ندفعها بمشاكل الالامنتي . ان التعالم الكلداني بأجمعها ليست الا عذراً وبوسيلة للحصول على مثل هذا الشو والتطور في الحساسية .

لكي نفهم نشته ، يجب علينا اولاً ان نفهم الطريقة التي خالغ بها مشاكل الالامنتي . يجب علينا أيضاً ان نضع أنفسنا في داخله لنرى ما كان يراه هو . ولن تحتاج هنا الى «هيكلة تكلم زرافنت» وأخذ المؤلفات التي كتبت عن تأريخ حياة نشته (وجميعها لا يمكن ان يعتمد عليها القارئ ولتحريفها او لحاصلها . بما فيها كتاب دانييل هاليفي) ، وانما تحتاج الى معرفة كاملة للالامنتي كنوع خامس ، لان هذه المعرفة هي المفتاح الحقيقي الى نشته .

ستجد ان بحثا ليليك في فصل سابق سيساعدنا كثيراً في فهمنا لنشته ان ليليك لامتّم ديني ، ومنتحج الى دوسوبسكي أيضاً للتوسع في الفصل الذي يصل اليه الالامنتي . الدين قبل ان تبحث أمراً لإبراهيم البيكولوجية الرائعة التي يتناول بها ليليك الموضوع ، ويمكننا ان نقول هنا ان ليليك ومنصفوا انكليزياً آخر هو براهيرين ، حقاً رؤاها الانجابية . «ثي قول نعم» . الأمر الذي يذكرنا بلوحات فان كوخ اللتهية . وقد عبر ليليك عن هذه الرؤى بالعبادات «الحيوية هي الغبطة الجليلية» «كل ما يعيش هو مقدس» ، «تتعب الحياة بالحياة» . أما نشته فانه كتب في تاريخ حياته «انني أخذ أتباع ديويسيسون» ، والتي لأفضل ان أكون رجلاً شهوانياً جيداً على ان أكون قديساً» . واذا تذكرنا ما كتبه نشته يصعد ديويسيسون في «موكدة النساء» ، وما عنته تجربته في «الإرادة المطلقة» «الخبرة مسر فيوت العقل» بالنسبة اليه . لعلنا كم نشته رؤياً نشته رؤياً ليليك من حيث جوهرها . ان الثقافة التي بدأت بكتابات «الحكمة المستعة» أتت نشته الى التسلسل بتداعياته الأولى عن «إرادة القوة» . ولما حاورته فكرة ديويسيسون الخلدني . ليليك كان يشعش بالقرب من تجربة خلفا ليليك . كتب على ورقة صغيرة قائلاً : «منذ آلاف قدم أعلى من البشر والزم» ، «هذا هو الله» . فانه في أمثل هذه اللحظات كان يشعر بوحدة مع الله . نشته . الأعضاء عن دورة الأيام وعجلة الفعالية . وهاجته في الطريق (وهذه هي حارة) . ان رايانو فكرة زرافنت . وسبوت عليه فحاة متبعة حلاقة متبعة ، ذلك لأن زرافنت كان أقرب ما يكون الى الفجالة التي السوط ان ما ذكره نشته في الديويسون المسيحيين كمثل في مقارنة أعيد كسر القرون الوسطى الذي قال : «يجب أن لا بدعشائري» في الطبيعة . «حالات الموت المصير الخاص» . في حين أن ديويسيشته تتجاهل النشته عن على شيء في الطبيعة . هو بعض دائماً في شعور مستمر مع بعض شيء . وإدراكه لآدم حراً

نجد في الكتاب الأول من « هكذا تكلم زرادشت » أن الناسك العجوز يحبه قائلا : « أجل اني أعرف انك زرادشت » فان عينه صافية ، أما في فليس عليه شيء ، قلدر ، ألا يسير في طريقة كالأرقص ؟ هذا هو زرادشت ، الذي بدأ ينشئه البشرية كما بدأها أنبياء الصحراء الذين تحدث عنهم أورليس ، تاركاً المجتمع ، متزواً لوحده طيلة عشر سنوات . ويعود زرادشت كأنبياء الكتب المقدسة ليدعو قبيد الوثنية . ويعد وثنين يعبدان الناس ، أولها هو النظام المثالي ويعبد الأساتذة والانسان العملاق الذي أضيفت عليه الكينية صفات الإله . وقد اختار بليك وشعر كشارد هاتين الشططين أيضاً في هجومها : فكتب بليك في « غالا » :

« ثم حبط الانسان منتحيا الى زواله قصيره
والعكس دقة خيال من عقلية المثنية المتهوكة .. »

وارتحن الانسان على وجهه أمام الخيال المائي

قائلاً : يا إلهي منذ بنى هذا التغيير انك تعلم اني لاشي ... (٢٢)
بلوح هذا من الوهلة الأولى من مبادئ الانسانية ، وكان بليك يقول : اختزع الانسان فكرة الله . إلا أن ذلك ليس صحيحاً . لقد اخترع الانسان هذا الإله فقط — الماسوم على اتباع الحق . صانع اللعب . بينما يصرح زرادشت : نبي الطبيعة ، المتصوف الطبيعي ، قائلاً : « ... اني أعلم الناس هذا ، فلا يعودون ينفقون رؤوسهم في رمال الأشياء السهوية ، وأما يحملون هذه الرؤوس خرة ذرووساً من الأرض ، تهب الأرض معنى . هذه هي فلسفة ينشئه الانجالية ، وتصلح هذه البداية أن تكون نقطة انطلاق لكل فلسفة مادية أخرى . كالمادية الماركسية والاستدلالية الشيوعية

دراسة تحليلية ، إلا أن هذا يمكن أن يقارن بعبارة سابقة قلنا نشت في معرض التعليق على كتاب دورلند : قصة الخيال . قال دورلند : « ليس الزهد صحيحاً كما ان ليس الا نتيجة خطأ فتم به الإنسان » فاجاب لينش : « كماله ، فالزهد امر ظاهري غير ان أليل الناس وانهم . انه حقيقة يجب أن يحس حساسها إذا أردنا أن نقيم نظم « حياة القشار » . وكان ماونك فاشتهر هذا قلماً ، فلم يأتها يوماً في أن يصرح ما له وما عليه

« الفاحصة » : إلا أن بدايات تنشئه الدينية خلقه الى أبعد من أية مادية استدلالية فاحصة . لقد بدأت فكرة زرادشت كره فعل على مرض ينشئه الروحي ، وصار الآن يحاول أن يصور فكرته عن الصحة الكاملة بحسبة في زرادشت . ولم يكن زرادشت من نوع السوبرمان . وأما كان الرجل الذي استطاع أن يتخلص من الأمراض التي تعيب الآخرين جميعاً فحسب . ويرى ينشئه البشر ، مثل هيس ، مرضى فاسدين خطئين ، فيشير بالدعوة الى اكتشاف هذه الأمراض للتخلص منها . -

« ما الانسان إلا جدول قبيد مأوود وتعفن ، ولا يمكن أن يستلم هذا الماء أحد ولا يصفيه شيء من قساده وغفوه ما لم يكن محيطاً ببلاته .

انني أعلمك عن السوبرمان ، فالسوبرمان هو المحيط ، عليه يتلانى احتفارك ويضع .

« ما هو أعظم شيء يمكنك أن تجربه ؟ ان الساعة التي تعالني فيها من أعظم الاحتفال الساعة التي تبدو حتى سعادتك كبرمة بالنسبة اليك فيها . كذلك عقلك وكذلك فضيلتك .

الساعة التي تقول فيها : ما هي قيمة سعادي ؟ انما الحرمان والفتن والراحة الخفية . إلا أن سعادي يجب أن تبرز نفسها ...

ليست خطيئتك وأما اكتشافك هو الذي يدعو السماء ، وحتى لو كنت صلياً فإن جعلك هو الذي يدعو السماء ... » (٢٣)

ان أمثالنا السابقة لا تترك لنا مجالاً للشك في ما يقوله زرادشت ، فانه يصف تدهور القيم لدى اللاعنتمني : واحتقاره لنفسه : وهو يطلب من المجتمع أن يكونوا لاجتمين .

انه يحصل على الطريق الوسط . طريق البورجوازي . ويشير الى انه في الأصل أن يكون الانسان خاطئاً عظيماً من أن يكون بورجوازي . انه لأن زرادشت يعطى بالطرف .

ولكن ما الذي يقابله اليك زرادشت ؟ هي معاد دينة لا والحواب على

ذلك ، كما رأينا ، هو السوبرمان .

أين هو البرق الذي يجب أن تمتد اليك السنة ؟ أين هي حتى الحياة التي يجب أن تصاب بملوحتها ؟

انظر ، اني أعطيك السوبرمان ، انه هو البرق ، وهو حتى الحياة ... (٢٤)
ونجد هنا ان نيتشه يعود الى التفكير عن طريق تشبيه البرق والماءقة عاتلان
عقيلان ، فوثان حرمان لا تعطيها أخلاق ... ، الارادة المطلقة ، التي لا تريكمها
مضايقات العقل ... وهو لا يعجز السوبرمان إلماً طويلاً تخاصي الملائح ،
ولما يبدأ برواية السامية عطفاً بذلك في ذهنه . انه لا يريد أن يخلق وثناً
آخر ، ويدلنا أدب الحاجة التي أنشأت من مذهبه في قوة الحياة وثناً ظلت
تعبه طيلة العشرين عاماً الأولى من هذا القرن أن نيتشه كان عتقاً في حوزة
من أن يخلق وثناً آخر . وهو يجدنا في : « هذا الإنسان » عن هذا بصراحة :
« ان آخر ما أعد بالتحاذه هو اصلاح البشر ... لينتروا الأسمان » (واضح
بالأسمان للتل العليا) . وكما عتبلوا المثل العليا المخادعة فانهم جردوا الواقع
من قيمته ومعناه وحقيقته ... ولم تكن كذبة المثل الأعلى حتى الآن إلا
لغة الدافعية . وبواسطتها أصبح حتى مصدر الفطرة الانسانية مخادعة مزيفاً ،
والمسحوت الأفكار المعبودة مضادة تماماً لتلك التي لاؤكد على عجز الانسان
ومستفاد ، وفي العظيم في المستقبل ... (٢٥)

هنا هو جوهر وجودية نيتشه ، ومعه يلوح لنا أن الوجودية صارنا
اعمال الارادة . انه لا يفي المثل الأعلى ، على شرط أن يأتي المثل الأعلى
في المثل الأعلى بعيد الارادة ، فإذا تغارضا ، أي اذا أصبحت ارادة
الحياة أكثر وفرة غداً خاصةً للمثل الأعلى أو زالت ، ولم تعد موجودة ،
أما هو الأمر مع معظم الأسانلة والفلاسفة المحترفين ، فان نيتشه يفي
للمثل الأعلى ان الحضيض مع كل المثل الأخرى التي تتبته

ولكن زرادشت يكشف انه لا يمكن تعليم الناس انجيل اللاهوتي
ولا تكلم زرادشت بهذا صاح أحد الناس : لقد سمعنا الكفاية من

هذا الانسان الذي يمشي كالبهوان متخضب القامة ، السوبرمان ، فدعنا
له . وضحك الناس جميعاً من زرادشت ... (٢٦)

ويستمر نيتشه على توضيح ما يريد ان كان زرادشت قد وصف الانسان
انه جبل متصل بين القرد وبين السوبرمان (ومن هنا نشأت فكرة عيس
من أن الانسان ليس إلا ثقافاً يورجوازيًا) . ويرافق أجل القرية مسا
حدث . في حين يخرج البهلوان من الزوج ويندأ بالدير على جبل مدهود
في سوق القرية ، وفجأة يخرج من البرج أحد المهرجين ويسير على
العقل ويحفر على البهلوان ، فيفقد توازنه ويسقط من على ويصيح زرادشت
انه وبهذي ، مخلوقه من الجحيم يند الموت ، ويقول له : لا تبتلع هناك
الجميع . مستغرب زوحك مع جسدك ثم نجل زرادشت اخذ ليدعوه
ولم يكن خادلاً غرضياً اني يتجهت زرادشت الى الناس عن الانسان
الآخر . قيل سقوط البهلوان وموته :

« يا لعة ، سيأتي اليوم الذي لا يعود فيه أشد الناس خطارة فادأ
من لوح فيه

« هناك يصغر حجم الأرض . وسيفوز عليها الانسان الأخير الذي
يصغر كل الأشياء صغيرة . ان نوعه يلق لا يمكن استئصاله ، كانت ادات
وسيفوز الانسان الأخير طويلاً جيداً ... (٢٧)

فان المهرج قد قفز ، كالمشاة ، فوق البهلوان . ولذا ذكر أن الامم
... ..
وهذا تذكر فان كوخ وممكن من جديده . ويسمى زرادشت قائداً ،
« ان الحياة التي يعيشها امر حزين . كما أنها مخلوقة باللامعقول ،
ان الله سبب مخرج موت هذا الانسان . »

« ان معنى نيتشه أيضاً انه يسقط من مثل هذا الارتداد ، الا أن
الان حلت ، بعد سبع سنوات من الألف ، عاتقه . فلم . زرادشت . ومعتدا
لقد عاتق زرادشت ان يعرف أسرار الموت . انه عرف نيتشه عاتقاً

عالمًا كان يعني بنقله وحيداً ، وتصوره بأنه الإنسان الوحيد الذي ينتج بالصحة الكاملة في عالم آخر المرصى . وأنه موجه من قوة عليا أصغر منه لتقف شاهداً على هذا ، بل لتعوت وحيداً إذا غلب الأمر ذلك . وتجد لدى ذلك في ذاته لا درنة برينكه . ما أدرك على لا متنى ينته ، إذ أن الشاعر الشاب جلس في غرفة وحيداً في مدينة غريبة وسأل نفسه : من المحتمل أنه لم يسمع أحد أو يز أو يقل شيئاً مهماً أو واقعياً حتى الآن . فمن المحتمل أن الإنسان لاحظ وفكر وسجل عليه الآلاف السبب . ساعداً هذه الآلاف أن تنضم . فبدأت تفتحي القدرات القصيرة بين النورس بأكل قطعة من السديوش وتلفاحة ..

أجل أنه ذلك محتمل ..

هل من المحتمل أنه بالرغم من اختلافنا ونقصنا قبلنا ما زال على سطح الحياة ؟

أجل أن ذلك محتمل ..

هل من المحتمل أن تاريخ العالم كله قد أخطئ فيه ؟

أجل أن ذلك محتمل ..

هل من المحتمل أن يعرف هؤلاء الناس معرفة جيدة ماضيهم لم يكن موجوداً ؟ هل من المحتمل أن كل الزمان لا شيء . بالنسبة إليهم . وأن حياتهم تستمر دون أن يربطها شيء . بأي شيء آخر . كأنها ساعة في غرفة خالية ؟

أجل أن ذلك محتمل ..

ولكن إذا كان ذلك كله محتملاً ، أو كان فيه فئس فئس من الاحتمال . فإنه لن المؤكد . أن شيئاً عجيباً قد يحدث . أن الآتي الأول بعد أن يصل شيئاً من الأشياء المهمة . وليس لدينا غيره الآن (٢٠٠)

وتغير زرافشت عن لائليته ينته في « طريقة الخالق » :

« فلا يقبل من يقبل » والوحدة هي خطيئة .. هذا ما يقوله التطبيع وقد كنت أنت منذ زمن بعيد من هذا القطيع .

ما يزال صوت التطبيع ذلك . أما إذا قلت : أن يكون لي صوته لم يعني يوم . فانا ذلك سبب لك أفا وحزناً كبيرين .

أنتظر نفسك حراً : التي أنتهي إلى سيدك الضخم . لأن عائلتك من الغدا ولكن هل أنت الإنسان التالي يسجد من القيد ؟ لقد حشر الكثير من

فيهم حين تخلوا عن جذباتهم وأهواؤهم

حر من ملأ ؟ وكيف يعني هذا الأمر وراحتك ؟ دج قوتك لمول لا يفترحة . حر . من أجل . ما إذا ؟ (٢٠١)

... حياتي اليوم الذي تجد نفسك فيه شجرة من الوحشة حين يتكلم محرك وكبرياؤك . وتصر شجاعتك على أمانيها . إذ ذاك تصرخ : أنا وحيد .

سأني اليوم الذي لا ترى فيه أحياءك الباعية . وإذ أنت حولك كل الأحياء القليلة . وأجلك مختلف من عيطك الباهلة . وترأها شخصاً غريباً . ومصرخ : كل شيء : القيد .

هالك أحسب قتل الزوجين لما قتلته في ذلك قلت مصداً هل

الاعتباطك أن تكون قاتلاً ؟ (٢٠٢)

وكان ينتبه قبل كسب ؟ لي . قبل أن يكسب ذلك سنة واحدة . و

الشيء من اليوم

و أود أن أقول : لعب - دائماً . و فقه في « وراحتك » كل الصدمات التي تعد من الإنسان المجولي على اليأس :

« وعلق كل لي القاري في عتق الساعات القليلة . سجنون لمسل

الاعتماد على - - - - -

ثم سحت أنت مع الأشباح القيد . وراحتك . ترى أن عتق الساعات القليلة ؟

أنت حر . مرة أن أرى . كل الشوار . فقلت أنت وقلت كل ما حولي أن عتقك وراحتك . فقلت القاري السيل ؟ (٢٠٣)

و « طوطم » أن قوله . نحن عائلتك . في قوله هذا . إن عتقك عتقك . و « طوطم » هذا . أو « طوطم » هذا . أو « طوطم » هذا . و « طوطم » هذا .

والقابلية الأولى على ضبط النفس للتحلب على الأحاسيس التي يثيرها الحس
والطاقة الانسانية . تماماً كما كانت تنقص هذه الأمور كلها من طان كوخ
ولورنس وينسكي وأبطال سائر وباربوس وكاسو . أما أبطال هينغواي
فقد نجوا من هذه الطاعة بالاشتراك في تجارب عتيفة : مثل الصيد الخطر
ومصارعة الثيران والحرب . إلا أن هذا لم يحل أية مشكلة ، وإنما كما
يقول برناردشو : عادت كلها إلى شهوة التعالية المنتجة والتوعية العالية
في الحياة . و أن المشكلة هي تلك التي يبتاعها في الفصل الثاني . هلم بلا قوة .
أن هذا العالم الذي يولد فيه اللامعني هو دائماً عالم بلا قمع . أن هذا العالم ،
بالنسبة إلى الأهداف والشهوات التي بتصورها اللامعني ، لا يمكن أن يسمى
حياته أنه تيار فحش . وهذا هو سر شقاء اللامعني ، لأن في البشر جميعاً
شيئاً من فطرة القطيع . التي تقودهم إلى الاعتقاد بأن ما يفعله معظمهم
يجب أن يكون صحيحاً . فإذا لم يستطع اللامعني أن يخفى قبحاً جديدة
تستحي مع البشدة التي تتميز بها أهدافه ، فإنه من الأفضل له أن يلقى نفسه
تحت عجلات الأوتوبيس . لأنه سيكون متودداً دائماً . ولن يناسب المجتمع قط .
ولكنه إذا استطاع أن يجد الهدف ، استطاع أن يتغلب على نصف الصعوبات .
فلنحس اللامعني يقبل ما يلي بلا أدنى تردد : « أنني غافل عن الآخرين ، لأنني
مصدوق إلى شيء أعظم . » ولأنه يعتبر نفسه كالإنسان المجد ليكون شاعراً أو
نياً أو مصلحاً اجتماعياً . إذا أنه يملك سيحل نصف مشاكله . إلا أن اللامعني
يقول الآن : « توجد في معظم البشر أحوة فطرة تدفعهم إلى الارتباط بغيرهم
من البشر ، وذلك هي فطرة القطيع . أما أنا . فأنني أحس بفطرة أخرى ،
برابطة توأمني بشيء أعظم ، بدلاً عن الشر ، وتتطلب مني شيئاً من السمو
والرفعة . » أما حين غنك اللامعني بالآخرين ويعطف عليهم ، فإنه يجد أن كل
ما يجيزه عنهم يتهاوى ويفلتحي . فهو لا يستطيع أن يقول : أنا شاعر ، وهم
ليسوا كذلك ، لأنه يدرك حالاً أن لا يوجد رجل أعمال كامل . تماماً كما في
حبه ، لا يوجد شاعر كامل ، فلا يستطيع إلا أن يقول : أن الهدف الذي يجعل

من شاعر هو أقوى لدي عما هو لديهم . أن أبرزه المخاطبية تشير إلى التغلب لأن
أفقه الجاذبية ، أما أرفعها فأنها تدور في كلى الأبعاد . ولا تشير إلى التغلب إلا إذا
تجربيت مع جيد ، أي حين يعقون تحت تأثير « الوطنية » أو « الميعة » أو
« المثلثة » . ولست أقول من شأن هذه العوامل الثلاثة الإكراه . فإن إلى
أنكامل الدفاع الانساني الذي يثير فيه العمل المذوق حبيوة وجيدة ، وإذا
استمرت لمدة طويلة كافية ، فيمكنها أن تجعل من الانسان لامعياً . وقد
كتب بليك يقول : « إذا استمر الأحمق على خفه فإنه يصبح حكيماً . »
فخرج هذه الاستنتاجات والحقبة بعد دراستنا لميسته . لأنه حتى عفتنا
تكونه بإمكانها أن تخفى كثيراً من الصورة على الطريق الغامض الذي يربط
أساعه من أجل الخلاص . ولتبدأ بالاستنتاجات التي وصل إليها ليته .
أما فعلاً نحن في الفصل الرابع : « إن النظام العقلي ليس تكافئاً عند ذاته .
وليس تزدادت إلا فعالية عقلية كخالفه . » وهو أيضاً شاعر ، وتصفوت
عليه مثل طان كوخ . ونعاشق للجنيد مثل غنسكي ، لأنه لا يكف عن
الادعاء بأنه راقص ، والرقص هو أبلغ أنواع التعبير البشري . ونستطيع
أن نجد فيه رد الفعل نفسه الذي نجده لدى بليك وويلت ونجان ضد الرغبة
بالهنة لأن زواجهم دائم . الذي يجهز بآلية الجسد : « أنا الجسد دائماً ، ولا
شيء غير الجسد . » ليست الروح إلا احتمالاً لشيء من الجسد . « في حين
تنب بليك : « ليس للانسان حسد متبر عن الروح . » لأن ما يدعى بالهنة
هو في الحقيقة جزء من الروح تحبزه الطوائس الجسد . وتجد أن حياتهم
تتوالى زمان . إلا أنها تعتبر أن ما رجلاً للهموم وأخذ . فهو أن الجسد جيري وحير
إلا أن فيشته الغنى تفهمه هذا مغفلاً . مع المفهوم المسيحي : « أن
الحسد ليس هو هيكل الله لا أعرف له عتوي عقل الروح . » أن هدف
المسيح هو التخلي عن الجسد ودمه المذبح طمسه في السموات الواسع
والذي يتجلى حتى الآن في كثير من أوزار الزهاد . ويعتبر الإنسان حراً
في بدايته ، إلا أن سلطوته يجعله مدأ للأشياء الخارجية . ولهذا فإن خلاصه

يكفى في غودته الى اعماقه ، بعيداً عن الأشياء الخارجية ، وكان متعلقاً
 بالمسيح أكثر من تعلقه بالمسيحية التاريخية ، ولما لم يجد شيئاً من الحقد
 الجسد لدى المسيح ، فإنه استطاع أن يصرح بأنه مسيحي لا يقصص حياته
 شيء ، أما نبشته فقد كان مهتماً بطور أكثر من اهتمامه بالمسيح ، ولما
 كان لوثر يحضر الجسد ، فقد دعا نبشته نفسه مضاداً للمسيحية ، في حين
 كان يعني أنه مضاد للوثر ، ويقل نبشته عن بليك تكرساً وذعية ، رغم
 وجود تشابه جوهري بينهما ، عل أنه من الأفضل أن ندعو نبشته باسم
 المسيحي من نوع بليك ، بدلاً من اعتباره وثيقاً كافراً ، على شرط أننا
 نفهم ماذا تعني بالمسيحي من نوع بليك (وأنه ليسوا أن تقرر أن دراسة
 مسيحية بليك ليست من اعتبارات هذا الكتاب) .

لقد فهم نبشته اللاهوتي أكثر مما فعل ذلك أي واحد من أولئك الذين
 اعتنقهم ، لقد كان لورنس وولكن كوخ رجلين يعملان في الظلام ، في
 حين لم يكن نبشته كذلك :

« ليس الانطباع حقيقاً ، وإنما البقعة هي المخيفة .

تلك الوحدة التي تهيئ إليها النظرة ، في حين تلمس اليد حزمها باخنة
 عن طريق الى الأعلى ...

تعلق ارادتي بالآسك ، وأربط نفسي بغيره تشدني الى الانسان ، لأنني
 مدفوع الى الأعلى .. الى السوريات ، حيث تنطلق ارادتي الأخرى (٣٢)
 لقد خطا نبشته الخطوة التالية ، وتخلص من عالم متراود الخالي من
 أي هدف ، قائماً بكلتا يديه على مصيره كشيء ، بالرغم من أن ذلك
 يعني بقاءه وحيداً تماماً ، وكان في البداية يعتبر ذلك « رغبة في الحقيقة »
 منها كلف الأمر ، وبطل أن هذا هو الدافع الذي يكس فيه ، إلا أنه
 اكتشف أخيراً هذا الدافع فيما بعد ، فلم يجد « رغبة في الحقيقة » فسب
 وإنما وجدته رغبة في الحياة والادراك وقبول الروح في القادة الثابتة .
 ولم يكن هذا آخر ما في المشكلة ، وقد يكون كذلك لو تأملنا حركات

أنتي سنة الى الزوال . ان ما أنزله نبشته هو أن يبدأ شيئاً جديداً ، قد شعر ، كما
 فعل ، ماله ، بطل ولكنه ، بأنه الوحيد الذي ليرك ضرورة ذلك ، وأنه ،
 لذلك ، الوحيد الذي يجب أن يعمل أحياء هذا العمل المتعب على ما فيه .
 إلا أنه لم يكن يعلم كيف يبدأ ، وكان كل ما عرسه يؤمنه ليكون مثلاً
 لغريباً قبيح . وقد كان أفضل لم يودرس كيف يكون قديماً ، أو فسناً
 كان يوماً مثلاً يشبه نبشته من حيث الجوهر . وكان عفوئاً لأنه آمن
 بأنه يجب أن ينشئ عن طريقه داخل المسيحية ، بقصد كان ذلك الأمر
 الوحيد المقبول الذي كان باستطاعته أن يفعله ما دام الانغماس في الصحراء
 لا يتفق مع الأورثوذكسي الحديث ولا يناسبه . إلا أن تأثير نبشته كان أعظم
 من تأثير يومانه ، لأن يومانه احتار أنه يعبر عن نفسه داخل الكنيسة ، في
 حين أن البطولة التي أبدتها نبشته أعظم من أجله ، وكذلك العقاب الذي تلاه ، كما
 أن مبادئه تؤثر فيما أكثر مما تفعل تلك مائة يومانه المعنوية في طيات السك .

إلا أن العنصر المشرق في حياة نبشته هو الضياع . ولم تكن ظروفه
 مؤاتية لتوفر لديه القوة على استعادة الانتماء الروحي . إلا أنه بدلاً
 من ذلك عاش عتيراً ، وكان في موته يشهد مدافعاً كبيراً بسبب غلظ
 سبيل في الصحراء ، وبقلي المحققين يوم حقيقياً . لقد انفجر نبشته بار من
 العوى التي كانت في بدايته . والإدراك السيكولوجي لنبشته الساذج لم
 أنسر نفسه إلى تحاييه هاوياً متوسخاً ، نرى كيف كان في الصحراء
 الجسد ذلك ، لقد كان شيء ما مغارلاً ، ولم يركب الذين السديد هذا .
 وقد أقره قوم نفسه ، ولم يستطع هجره أحياناً بقدر ما فعل ذلك مردود
 اللواتي الذين استمعوا بأدب من أفاعله ، وأنها تلك التي لم تكن قد
 تدهت عادته ، وأنها كانت تلك التي لم تكن لها حصة في ذلك .
 وهو يعرف أن وسأقول ، مستمعين في وقت من الأوقات في الفصل الرابع
 من هذه القصة ، في وقت ما ، كان أن يقال من أين ، حيث معها ذلك ، في
 الشكالي ، وأما ذلكما إلى السبب حقيقياً ، وليس

أما البوت فقد حلها لنفسه بالعودة الى التقليد . واستواجه مثل هذا الموقف حين بحثت . هنا . هو له في الفصل الأخير .

أما الآن يمكننا أن نلخص مساهمة نيته في الموضوع . لقد حل نيته مشكلة الجمع بين الجسد والشعور والعقلية وبلغ النتائج ذاتها التي توصلنا إليها في الفصل الرابع . وأولاً انه يعتبر اللامتعي نبياً مستقراً - حتى عن نفسه - وأن هذا النبي يجد خلاصه في اكتشافه أعمق أهدافه والقائه نفسه فيها بعد ذلك . وهو لا يميل قط الى ما يدعو اليه سارتر من استسلام - أي الاعتقاد بأن أي هدف هو معقول ما دام فيه شيء من الخير للآخرين - فإذا أردنا ألا نوضح هدف النبي هذا بأبسط ما يمكن لوجدنا انه الرغبة في صباح : استيقظ في كل اذن . ولكن لماذا هذه اللحظة ؟ ولم هذه اللحظة ؟ وهل ان البشر فاشون جميعاً ؟

ان ما نحتاج اليه هو دراسة سيكولوجية نافذة للوضع الانسانية ، فان هذا كله محدود المعنى بالنسبة اليها ، حتى نستطيع أن نقول : الانسان هو هذا ، وهذا هو ما يتقرر أن يفعله .

لم أحاول في هذا الفصل أن استعرض استمرافاً كاملاً جواب نيته الذي حاول أن يضرب به مشاكل اللامتعي . بل اني لم أقبس شيئاً من الكتب التي عالج فيها هذه المشاكل ، مثل دوراد الخير والشر و أصل الاخلاق و الإرادة القوة . الا ان الفصلين القادمين سيوضحان ذلك أشد التوضيح . أضف الى ذلك أن المشكلة ليست مشكلة فيلسوف ، كما أن نيته نفسه اكتشاف : ان الذهن ليس كافياً . الا انه ظل فيلسوفاً وظل يهاجم المشكلة بأساحة فلسفية ، لغة النقد ، وتنظيم الأفكار في مقاطع وفصول . إلا أن زوايا أوضح لنا أين يكمن الجواب ، انه كامن باتجاه السيكلوجي الفنان ، والمفكر الذاتي . ولا يوجد في آداب العالم إلا القليلون من أمثال هذا المفكر فان الفنان العظيم ليس مفكراً ، في حين ان المفكر العظيم ليس فناناً . الا أننا نستطيع ان نجد ذلك في الأدب الروسي . حيث نجد كاتيين عظيمين جميعاً من هابن الميزنس . وعليه الآن أن نبحث في الطريقة التي عالجها بها مشاكل اللامتعي .

الفصل السادس

مسألة الذاتية

لا يعرف اللامتعي من هو . « قد وجد (أنا) الا انها ليست (أنا) حقيقة » . أما هدفه الرئيسي فهو أن يجد طريقاً للعودة الى نفسه . ليس هذا سهلاً ، ولم نطرق الى هذه المشكلة بعد في الحقيقة . وإنما حللنا غياب اللامتعي فحسب . أما محاولة السيطرة ، فليست إلا فشل لم يجمع عنه غير ادراك أكثر لهذا اللامتعي المعقد تعقيد الساعة . وليس قولنا « بأنه يريد أن يجد طريقاً للعودة الى نفسه » إلا تعريفاً مؤثراً قدده . الا ان ذلك ليس بسيطاً كما يصوره لنا بعض الروائيين الناجحين في هذا العصر . الذين يبيعون أكثر عدد ممكن من الكتب عن حياة وان كوخ وكونان دويل الخ . أولئك الذين يسطروا الأمر في «عالمهم» التي تعتمد على الخيال . لما ذبح اللامتعي . ان المشكلة تحتاج الى تحليل سيكلوجي معقل . وان لغة محكمة لم يبت لها مثل في عالم الأدب . اذا قبلنا على هذا الأساس شعر البوت خاصة ، القطع الموسيقية الأربع . وبعض الصعوبات - بوليسيس - بوليسيس جزئياً . بحلى انه موضوع لا يتلو عن القارئ والهاوي التي تعرقل الفهم وتضلل . كما أن الكتابة فيه تضيق كون لغتنا أصبحت عاجزة عن أيدي الصحفيين والكتاب الذين لا يجنون ما يقولونه . على أن اللغة هي الوسيط الطبيعي لتدبير عن الذات . ولهذا فإن فكرة العودة الى النفس ، لا يمكن أن تتحقق أو يعبر عنها إلا عن طريق

العلم . وهذا سيجد القارىء اذا بحث فيما يضمه اللاهوتي من نفسه دون
 ان يشير الى طريقة الى ذلك . ويجب على هذا ان اشر الى ان هذا الطريق
 لا يدخل ضمن نطاق الكلمات بقدر علاقته بالحركة . ان اللاهوتي يسأل
 في مرحلة معينة سؤالاً وبقائه : ماذا يتعين على ان يفعل لكي يحصل ؟
 فاذا كان جوابه هو جواب ايفان سترود : « لا شيء يستحق بذل أي
 مجهود » ، فلا طريق له افق ، ومن الأفضل له ان يقتل نفسه او يتجر
 عقلاً . على انه من حسن الحظ ان لا يكون جواب سترود نهائياً ذلك
 اننا نستطيع ان نهاجم السؤال من ناحية أخرى نسأل بدورنا : الخلاص
 من ماذا ؟ وهذا ما يقتل من شأن المشكلة شيئاً وعصرها بـ « ولا » او
 « نعم » النهائيين . وعليها سؤالنا : الخلاص من ماذا ؟ الى سؤال آخر
 مباشر : ما هو أسوأ ما تريد ان تخلف منه ؟ او ما هو أسوأ شكل
 من أشكال « لا » النهائية ؟ وقد ذكرنا بعض الأمثلة المربعة : هيروشما
 والمبلعة الأرمنية - وهناك صفحات في « أعمدة الحكمة السبعة » تكفي
 فرامها ليصبح المرء عن الطعام ، إلا ان هذه الأشياء ليست إشكالات نهائية
 الشر . كما انها أشياء قذرة مألوفة في التاريخ . ويستطيع القارىء ان يجد
 كثيراً من هذه الأمثلة في الجناح الاثوري في المتحف البريطاني مثلاً .
 كيف ان آشور قاصر بال الثاني « أحسرت شياهم وشبابهم بالبلاد »
 واركتب جرائمهم التي لا تحصى ذكرها هنا . ويمكننا أيضاً ان نقارن هنا
 بيلس . وبوخسالد بعد ثلاثة آلاف سنة من الحضارة . أجل ان هذه الأشياء
 شروط قاتلة قاسية ، إلا انها لا تقف بوجهنا دون ان يكون في استطاعتنا تجنبها .
 اننا نأتي الى فكرة الشر الحقيقي حين نبحث امر تشبثات جنيس وأبيه
 ذلك لأن هذا الشر يهاجم العقل لا الجسد . لقد كان آشور قاصر بال
 معوضاً بهذا الخوف نفسه أو كان في عقل لواطك الذين قتلهم وكان حشر
 معروفاً له أيضاً لو كان هو في عقل أولئك الذين علموا ان المتفجرات
 أو في عقل يهود وارسلوا مثل هذا الزعم لا بدع فرسه قسراً لاسموا

على وجودهم الحقيقي وإنما يجعلهم لا حقيقين :
 « فكيف بنا ، لا كأرواح ضالعة قاسية ،
 وإنما كيشم فارسي » كيشم متخوئين .
 فاذا حانت ساعةي كما حانت ساعةي ،
 فان كل ما أمكنه لا يستطيع ان يتغلبني

هذا يحتاج رهيب تهيب من قوله يا عزيزنا بشرأ ، ولهذا علينا ان
 نعيد السؤال : هل من طريق الى الخارج ؟
 يجب ان لا نغير شيئاً من طريقنا السابقة في بحث هذه المشكلة ، أي
 أنه يجب ان للحج الى الأمثلة الحقيقية أيضاً ، ونمكننا ان نعود الى ولع
 جيس بحثاً عن اتجاه سير قبح . وسبل الحالات النفسية جميعاً . وهذا ما
 بطل من خريطين في اختيار الأرواح المريضة . إلا ان جيس يشير الى
 « اعراض » تولسوي . وهذا ما يمكن اعتباره نقطة انطلاق بالنسبة اليه .
 ان تولسوي يبدأ كمفكر سر على الأقل دائماً في ذلك تقليد البعد الرابع
 من القرن الماضي . وبالإضافة الى ذلك فان تولسوي يشبه نفسه وكثير كماره
 في أنه وصل الى استنتاجات دينية في الوقت الذي كان يجد فيه قاضيه
 لاهية للطريقة الاوثوذكسية مستجلاً . وهذا أمر مألوف من اللاهوتي .
 بدلاً من اعترافه من اعترافاته على أنه بدأ في الإيمان من عجزه حين كان
 ظهور أنفعيته الحرب والسلام . وأما كارنتيا ، يسأل الأمثلة التالية : ما هي
 الحياة ؟ ماذا يجب على ان أعيش ؟ ماذا يجب علي ان أفعل أي شيء . لا هل
 حالاً أي معنى في الحياة في أمكنة ان يظهر الموت الذي لا يمكن تجنبه ؟
 ومن الطريقة ان نلاحظ ان تولسوي يقول . ويصفه طبعاً بان هذه
 الأمثلة لم . فجد من قبل وجوده حبيبة . إلا اننا مع ذلك نبحث على لسلك
 به . فربما على عدة عشر عاماً في « الحروب والبلية » الميراث : فها هو
 الآن ١٩١٤ هو العام ٢ . لا يعيش الإنسان « ماذا ؟ » ما هي الحوادث ؟
 الموت ؟ الخ . (١) وهذا طبعاً مرحلة في تفهم مشاكل اللاهوتي . وقد

دفعت قوة المرحلة الثانية تولسوي ان ترك المرحلة الأولى . إلا أننا يجب أن نلاحظ أيضاً أنه كلما اشتدت هذه المشاكل ازداد عجز الإنسان أمامها . ويمكن اعتبار تولسوي مثالا على الأمر الذي ذكرته في الفصل الرابع : حالة محاولة الوصول الى حل مع الاحتفاظ بالأشياء القديمة ، أي حالة البقاء على الموالاة الواحدة . ونرى في مشهد القصص في « الحرب والسلام » كيف أن بتر يلاحظ أن الجنود لا يدرسون طبيعة ما يقومون بعمله .. (٢) أن مشكلة الموت ، ومعنى الحياة مفصلة تماماً عن الصورة الانسانية ، ولا انسانية الانسان نحو أخيه الانسان . ولا يفكر آشور فاضر بال ولا هنتر بهذا في حين يلاحظ فلوريان ، بطل قصة والترينير ، عقل في البيت ، أن جميع الكائنات الحية مشتركة في شريك واسع من القوة ، على رغم لطيفها ومديتها : ذلك لأن الشر هو في الخارج . لقد بدأت تجارب تولسوي تماماً كما بدأت عند دوكانتان : « متدخنة أعوام » : بدأ يحدث في شيء غريب ، تألفت في البداية من لحظات من القلق والفصيص بالحياة ، وكأنني لم أكن أعرف كيف أعيش وماذا أصنع ... ثم حاربت تلك اللحظات تتكرر دائماً .. (٣) وأخيراً بدأت نوبات الغثيا . . . شعرت بأن ما كنت أفقد عليه قد انهار ، وأنه لم يبق لي شيء قديمي شيء ، ولم يعد ما كنت أبحث من أجله موجوداً ، ولم يبق لي شيء أعيش له .. (٤) .

ليست هنالك مغامرة ما : لا حاجة لي الى الاستمرار على ما كان يحدث . وعندنا تولسوي يتيه بوجي بسلوك اللامتناهي الكامل نحو البشر : يقبض علينا خرافة شريفة تدور على رجل يتعلق بنفسه بطل الى هوة عميقة . ليسج من وجش مغترس في الأعلى ، ومن وجش آخر في الأسفل ، بينما يقترض الغضب جبراً كان . وبينما هو معلق هكذا ينتظر الموت ، يلاحظ بعض فطرات من العمل على أوراق الغضب ، فيبدد لسانه اليها ويلعنها . (٥) وهذا هو الانسان الذي يتعلق بين اختيالي الموت العرضي الغيب ، والموت الطبيعي الذي لا يمكن تجنبه . أما الأمراض ، الجرداء ، فانها تترسح بالهزيمة ، لأن هذا الانسان ما

يرى يأكل ، وينضجك من المطبق المزيج في السبا . . هذه هي الامور التي يقول ان اللامتناهي عليل ، لأنه لا يشتهي العمل !

وهنا يجب أن نعود الى أقصوصة تولسوي « مذكرات جنون » التي كتب فيها عن هذه الأزمة أيضاً ، لأنها تجعل هذه القصة أشد وضوحاً . ان يظل هذه الأقصوصة يشرح لنا كيف ان المجلس صحبه نواً ولم يفرج جونه لأنه كان مجنوناً . وانما لأنه كبت نفسه ولم يستسلم ، ويستمر في حربه فيجبرنا كيف صار مجنوناً . وفي هذا يقول انه كان طفلاً حين رأى النوبة الأولى ، وكان ذلك حين سمع بقصة « صليب المسح » : « أدركت عليه تلك النسبة أبلغ الأثر : فيكبت ويكبت وأخذت أسرت . . . من المجلس . . . ثم يستمر في وصف لزوجته ، وفترة شبابه ، والعادة السرية ، وقد شغلت هذه المشكلة بال تولسوي : الأمر الذي يجده يشبه وأقر كفاؤه منسجماً ، . ويصبح بعد ذلك موظفاً مديناً ويتزوج ويلدز مقابلة له ، وأخيراً يصبح قاضياً للصلح . بعد أن يبلغ منتصف العمر .

وبينا هو في طريقه يوماً يشراه مقابلة له . يستيقظ من العربة ، شاهراً بوجود شيء غريب ، الأمر الذي يذكرنا حالة السر هيريا . . . ان يصيبه مثل هذا وهو في وسط حياته . ويحدثه الجليدة . وأخيراً تأثر هذا الشهور ذاته يشبه حالة دوكانتان . ان يقصيه الغثيا حين تعامل صاحب القصور . ورواها العزقة البيضاء .

وبمازده الرعب ذلك . . . فذلك . . . لماذا جئت هنا ؟ ان أرى أنا . . . انني عاربه من شيء . . . ربما لا أستطيع ان أعرف . . . انني مع نفسي دائماً . . . والى ذلك الذي أعاني نفسي . لا أفهمه . . . ولا أن . . . انني أواجه نفسي أن يصعب لي أن أسلي شيئاً الذي يخرج من نفسي وأحدها قد لا تكفي الحزن . . . أريد أن أنام وأسكن نفسي إلا اني لا أستطيع أن أفعل ذلك . لا أستطيع ان أكون . . . من نفسي . . . (٦)

الـ «السر» التي أراها وأسمعها ، وإن شاء تجرى من روكانيك وتغسكي
ووليم جيسن : لا شيء أملاك يستطيع أن يتقضي ..

وحدثنا تولستوي في هذه الأقصوصة عن كثير من هذه التوبات ،
وبريت كيف أن فكرة الموت تفلقه ، ولا معنى الحياة بعده :

« فلماذا قلده الحياة ؟ الموت ؟ الأخير حالاً ؟ كلاً ، التي تخالف . أنتظر
الموت حتى يحين ؟ بل التي أخاف ذلك أكثر . لقد يجب أن أعيش . ولكن لماذا ؟
الذي أموت ؟ ولم أستطع أن أنجز من تلك الحلقة المفرقة . وأخذت كتاباً وقرأت ،
وتسيت نفسي للحظة ، إلا أنني عدت مباشرة إلى الرغب والسؤال السابقين ،
واضطجعت وأغلقت عيني ، ولم يقل الأمر سوماً . (٧) »

ويحاول أن يصلي ، صلاة بالعي المساء بالشكر . كما في « أربعة الرماد » ،
« لو كنت موجوداً فأخبرني من أنا ولماذا أنا موجود ، . ولا نتيجة .
لما نهاية الأقصوصة فلما حيرة ، فانه يخرج المصيد ، ويب في الغاية ،
ويطوده الرعب فيها ، إلا انه يجد نفسه قريباً من طريق قطري للخروج . ويعود
إلى البيت فيصلي مستغراً عن خطايه ، ويتابع مقاطعه بعداهم ، بشروط تفيد
المشترى وتفر بالفلاحين . فيدرك أن البشر أبناء أب واحد . ويقرر عدم شرارتها .
ويذهب إلى الكنيسة ويعطي كل أمواله إلى الفقراء ويعود مع الفلاحين إلى
بيت وهم يتحدثون عن الدين . (النتيجة نفسها مع شخصي أيضاً) .
ونظن أن أفرادهم هم الذين يظنون أن حكم المجلس عبثونه . والله هنا . جد أن
تبعنا لفظة « المجنون » عكس أن يذرك تبعنا السابق للامتصين الآخرين .
ما عدا الصلاة ودراسة الأجيل . لقد كتب تولستوي هذه الأقصوصة حين
كان في السجن ، إلا انه تجد الله توصل إلى نتائج أبعده من هذه حين كتب
قصة « الحرب والسلام » . يوم كان في الخامسة والثلاثين فقط . إذ تجد أن
يتر يزوكوف يصل إلى حل نهائي . وذلك بالاشتراك في الماسقية المفرقة . إذ انه
يتبنى فكرة أن البشر جميعاً هم أشقاء . على أن تولستوي لم يكن أبق .
ولا بد أن هناك شيئاً في استنتاجه الأخيرة شيئاً منطقاً عن مشاغل العنصر .

إلا أنا سلباً . قبل أن تبحث ذلك . إلى ناحية أخرى عالج فيها
تولستوي الفكرة نفسها ، لأنها شاعرتنا كثيراً في الاستمرار على الإيمان .
انه يتحدث في بداية « الاعتراقد » عن التوبات المترابطة المشفرة :
« وجدت ما غيب لكل من يغديه مرض فاضلي ميت . ولم بعدد
الأمر في البداية بعض علامات المرض التي تتكرر بعد ذلك حتى تصبح
مسئلة طويلة متصلة من العذاب . ويشد العذاب ، وما يكاد المرض
يرفع رأسه ليظهر ما حوله حتى يموت ! » (٨)

ولا تشذ قصة « موت إيفان إيليش » عن هذا أيضاً ، إذ تربنا إيفان إيليش
موفقاً غداً مولوداً مرة واحدة فحسب . يسعى ليكون قاضياً ناصحاً . ويكن
« استوي دائماً العبارة التالية : « لا تحكم لئلا تحكم عليك » . ويضع إيفان باليت
والأطفال والنادي والرفاق المحبين به الخ ثم « تبدأ الوعكة الخفيفة » .
ويشعر السرطان يأكل وجوده ، حتى إذا شعر بأن الموت يهدد حياته بدأ
بالنفس : ترى ألا عكس أن تكون حياتي كلها خطأ ؟ ذلك الشعور
الذي يشبه شعور روكانيك ، الشعور بلا معنى الحياة ، حياته وحياته الناس
الآخرين . ولكن كيف كان يعين عليه أن يعيش الحياة إذن ؟ ولكنه لا يستطيع
أن يجد جواباً . كانت هناك لحظات ، إلا أنها كانت كالنور الخاطف .
حدثت ثم تلاشت ، ولم يعد يذكرها ، أما زوجته وأطفاله فإنهم لا يكثرنون
إليه . الواقع ، وحتى لو اكثرنوا إليه فليس ذلك أمراً مهماً . لقد عاش حياته
كلها مع الناس الآخرين . إلا انه موت الآن وحيداً . وقفاة يشمر بشيء من
الحزن نحو زوجته التي كان قد كرهها لعدم إخلاصها وتضحياتها . وبقي هذا
الحزن ظلاله وبعث فيه شيئاً من الاثارة ، وأما حقوقه من الموت يتلقت :

« إن هناك نور بدلاً من الموت ..

« لقد انتهى الأمر » ، تلك كانت الكلمات التي ردها أحد الحاضرين .

« ومع الكلمات ردها في روحه .

« لقد انتهى الموت » . (٩)

اما الكلمات التي أطلقته من شقائه فكانت : « يا يحيى »
لدينا الآن أربعة أشكال من لفظة الدينية التي يعبر عنها تولستوي :
تبدأ كلها بأن يصح التعبير لاسمياً . ويمكن تقسيمها الى نوعين :
يتردد بكثرة المجنون وتولستوي نفسه . وقد قاميا معاً من أدبيات تشبه
تلك التي قامها روكاتان . أما إيليان إليش فقد عاش حياة لا حقيقية
ولم يدرك ذلك إلا حين أحس بالقراب الموت . تماماً مثل ميسول .
وكان العرض الرئيسي في كل الحالات الشعور بكرهية الذات ، ومحاولة
التهرب من النفس . ويتم هذا التهرب عن طريق اعتبار الأفعال جوهر
المسيحية والتعلق به . إن الهدف هو التخلص من النفس . أما الثاني
الآخر فهو الوسيلة التي يتحقق بها هذا الهدف . قبل أن الهدف مما
يزاله الرغبة في التخلص من النفس ، فإذا تم هذا عيب الآخرين والشعور
بالخلاف تجاههم . فإن ذلك لا يعني إلا شكلاً جديداً من أشكال حب النفس .
لا يوجد كبير اختلاف بين هذا وبين تعاليم نيشته في « زوايشت » .
لقد قال زرادشت « ما هو أعظم شيء يمكن أن يجربه الإنسان ؟ انه
احتضار النفس » . إن الوسيلة التي يتبعها نيشته مختلفة ، إلا أن النتيجة واحدة .
لا يستطيع تولستوي أن يقنعنا أكثر مما نحن عليه خصوصاً مشاكل اللاهوتي .
انه يستطيع أن يأخذنا أبعد مما لو لم يكن عرفتنا استبعاد المقاصد الدينية . ولهذا
وجب علينا أن نحضر عينا عن تولستوي . على أنه مقصد ديني مبني على الدراسة
العقلية . لأنه يبحث عن جوهر المسيح في حياته وتعاليمه لا في « موته المخلص » .
إلا أنه يذهب في ذلك إلى حدود لا تتكهن أن تقني أي ضرورة على الدراسة . انه
يقول مثلاً : إن عالم الروح هو غير ومن الله . وأن عالم المادة هو شر وهو مست
الشيطن . وقد ذهب أولئك الذين كانوا يدينون بهذا الرأي في القرون الوسطى
إلى غشوى ما ينسب اليه الاستعاج المطلق منه . فقالوا بأن العملية الجسدية والسبب
في مولد بشر آخرين هما بعد ذاتها شر (ويؤكد تولستوي ذلك أيضاً) .
وكانوا يرمون إلى مساعدة المخترعين فيجربونهم على تجرع السموم

قائلين لهم أنهم يقتلون على ترك الشر وزامعتهم مع الجسد . إلا أن تولستوي
لا يظفر هكذا : بل يفهم معتقده فيها هو خير أو شر إن الاعتد
بين تلستوي القناتين وعقيدته لا يمكن أن يصلها وجوديو الفصل الأول
من أنا ؟ - هذه هي مشكلة اللاهوتي النهائية . حسناً ، من هو بالقبض ؟
إن الإنسان هو اتفاق بوزجوازي ، أي أنه موضوع في منتصف الطريق ،
ولكن في منتصف الطريق إلى ماذا ؟ إلى السورمان ؟ لقد رأينا أن السورمان
ليس قطعة علاجية من الغرائب النيشية ، وإنما هو مفهوم شعري كامل
تطور عن الذوايع ذاتها التي تطور عنها القديس أو المصلح الروحي . إلا
أنه الرجل العظيم هو في الحقيقة المثل الأول لهذه العملية الخاصة ،
وفي يستطيع المرء أن يمثل دوره جيداً ما لم تكن لديه فكرة واضحة عن
هذا الدور . ولهذا فحين يستيقظ مجنون تولستوي في غربه الركاوس مربعه ،
وعلى السؤال : ما هو أنا ؟ فإن الطريق إلى السورمان ، أو القديس أو
السان الشعري يخلق مؤقتاً . أما مسألة المعرفة النهائية فهي كامة عريه .
تلك نقطة تتحقق الإحتمال . فما ترى ما هي المعرفة الذاتية ؟ أو أولئك
الذين يذهبون إلى المدينة في الصباح ، وكل منهم منهمك بمطالعة حريته
أو بالتطلع إلى الاعلانات . لا يظفروهم أدلي شك في ، ماذا هم ؟
لك إذا وقعت آيات الموت القاتلة :

عن القارون
عن المخزون المختفون
بنكي . أخذنا على الآخر ..

في حال الكلمات المكتوبة على أحد تلك الاعلانات ، فانهم ميغزواونها
بالك الإلهام المادي . نفسه الذي يقولون به الآيات التي تدعو إلى اقتناء
وع معين من شرفات الملائكة ، متساكين : ماذا سيكتب أصحاب المضاعف
في اعلاتهم في المرات القادمة ؟
وقد يحمل معهم بطاقات دعوية لا شيء إلا أنهم اعتادوا على

ذلك - وإنما كان عليه البطافات أن تعزك من هم وابن يعيش - ولما
هؤلاء الناس أهداف - بعضها بعد - كتماء سيرة خلال ثلاث سنوات ،
أو بيت جميل في ظرف خمس سنوات - إلا أن كلاماً من الأهداف لا
يمكن أن يعتبر مثلاً أعلى - كما أن هؤلاء الناس ليسوا مثاليين - أنهم
يعبرون قصصهم يوماً ، إلا أنهم لا يعبرون من مفهوم أنفسهم بالنسبة إليهم
شيئاً - لقد اعترف نيومان بأنه - حين طار إلى العالم - لم يستطع أن يجد
أي دليل على وجود الله (٦٠) ، أما غير - الذين يحتمل أن تكون
بدايات نيكسكي الفطرية قد واثقت يوماً - حين يستمع إلى الموسيقى مثلاً -
فإننا نستطيع أن نفهم أن فكرة الله تفصل - بتلاطم الروح الديناميكي على سواحل
المادة - وأن نفهم أن نيومان إنما عني هذا البحر من الشخصية المتحركة -
يقول اللامنتي أن هؤلاء الناس مسجونون - واسم قاتمون - بسجنهم -
كالحيوانات المحبوسة في أقفاصها والتي لم تلق طعم الحرية يوماً ، إلا أن تلك
الأقفاص تعتبر سجوناً مع ذلك ، أما اللامنتي فهو مسجون أيضاً - وقد أخبرنا
كل لامتس عيشه في هذا الكائن هذا - باللغة التي تلائمه - أما رغبة فهي في
الحرب - إلا أن تعطيم السجن ليس عملاً سهلاً - ويجب عليه أن يعرف كل ما في
سجنه - وألا فقد يغش السوات الطوارق في حفر الأنفاق كالراعب في قصبة
والكونت دي مونت كريستو - ، ليجد نفسه بعد ذلك كله في زنزقة أخرى -
ويؤاذه الوحي الأخير حين ينطلق إلى هؤلاء الناس الداعين إلى المدينة -
قوله أن عملية الحرب محقة جداً بالنسبة إليهم - لأنهم يعتقدون أنهم السجن -
ويأله من موقف مدعش - تصوره قلعة ضخمة على جزيرة منعزلة - تحتوي على
زنايات لا يمكن الحرب منها - بالأخفاص إلى أن السجن قد استعمل ككل وسيلة
ممكنة لمح الماسجين من الحرب - بل أنه استخدم نهائياً التورم المغناطيسي - فهو مهم
ثم أوحى إليهم بأنهم والسجن أمر واحد - فإذا استيقظ أحدهم على رغبة تعمل

استخدم بطرح هذا الكائن في كتابه - وفيه في ريت القلعة - من المادة الروحية

التي هي

في تبعية من أجل الحرية ، وأخير أصحابه بذلك ، فإنهم سينظرون إليه
دعشين ويقولون : الحرية من ماذا ؟ أنا نحن السجن - ، فإنه من موقفه
هذا هو نفسه ما يحدث للامنتي - هناك رجل واحد فقط - اذ يجب
عليه أن يخصص القلعة شخصياً ، وأن يدور نقاط الضعف في استراتيجته ،
ويضع خطة للهروب وحده - إذ عملية تفحص القلعة هي نفسها عملية
معرفة الذات - التي أشرنا إليها في بداية الفصل الرابع -

إن أول سؤال يخطر على بال السجن الذي يحس بتلك النقطة من
نومه المغناطيسي هو : من أنا ؟

لقد عرفنا في الفصل الثالث والرابع الكثير عن لامنتي - يستيقظون على
حقيقة أنهم لم يعزوا على الحالة التي كانوا يحسون أنفسهم عليها ، ذلك
لأنهم شعروا بشيء يفتح الطريق أمامهم لاحتالات جديدة - ويصلح مثلاً
على ذلك لحظات كريست في الحرب حين فعل - شيئاً واحداً ، الذي -
الوحيد - ، وأخماس سرابود بالقوة الداعية ، ورؤيا ستيفن - وولف حين
كان يستمع إلى موسيقى موتزارت - ولكن يستعيد هؤلاء تلك الرؤى ثانية
حين عليهم أن يجدوا طريقة يقودهم إلى المكان وال لحظة المثلين وأولاً تلك
الرؤى فيها - ولا يضع الفكر لاثبات ذلك ، لأن الفكر هو الذي كان مفيداً
بالتورم المغناطيسي ، أي بالعبادات والكمل والوسائل التي تتيح للإنسان أن يرى
نفسه - الخ - أن ما يجدي هنا هو العمل - إذ يستطيع الإنسان أن يعبر من عادته
بتغير طريقة حياته - ويأكل عمل واحد أن يغير وجهة النظر الفكرية كلها -
ويستطيع العابر أن يكون رجلاً مزروجاً صلحاً إذا كثر عبارة - أنا أريد -
على شرط أن يحس معنى هذه العبارة إحساساً عميقاً - والأكبر الرئيسي المطلوب
هذا هو أن يحس الإنسان بأن أي عمل من أعماله أو أدته يجب أن يكون ثابته لا يمكن
تغييره - إن هذه العادة يجب التي ظهرت من البحث الذي قام به في الفصل الأخير
بعضاً في بقعة نظرية نصف مغنطية - حيث نجد اللامنتي تحملاً نصف الخفاء في
سجنه فير جادوس من الملائكة والأشباح - أما هدفه فإنه أصبح بالنسبة إلى نفسه

أن يجد طريقاً إلى النصارى حيث يستطيع أن يجد إرادة غير منقسمة. وإرادة
 نشئة الشبهة التي لا تقيدها التعليلات العقلية. أما عطلته الأولى إلى ذلك
 فهي أن يبدد نهار الوجود في الملوذ مرة واحدة، الخارج أما عطلته الثانية
 فهي أن يجد عملاً إرادياً، عملاً به القوة على مواجهة شكوكه وفجوة النهاية.
 وهنا يمكننا أن نضع الأمر بين يدي كتاب روسي آخر، ليفردنا مراحل
 أخرى.

لقد حدثت حوادث كثيرة وتجارب عتيقة، الحاجة في حياة دوستوفسكي
 كان لها أثر كبير في عقلية. مما وسع في عداد اللامتنين، لأنه مر
 عابرون به من نقطة وإحساس بأنهم ليسوا هم. أن ذلك يجعله شديد
 الأهمية بالنسبة إلى هذه الدراسة لأنه يتبع مجراها. كان كوخ وهو مان هيس،
 أي تجاريا النوع الذي يعبر عن مشاكله والنوع الذي يعيشها.

قتل القلاخون والد دوستوفسكي، مستخدمين في ذلك الطريقة القديمة
 المألوفة، سحق الحصى، وقد نجحوا في إخفاء جرمهم. لأن الضيق
 لم يجد أي جرح أو رنح في جسده. وسع دوستوفسكي بموت والده
 حين كان يلزم الخامسة في بطرسبورغ.

بدأت شهرة دوستوفسكي حين كان في الرابعة والعشرين، بفضته والقراء
 التي قاله انتقاد عنها في روسيا أنها أعظم قصة بعد (الأرواح الميتة). وهكذا
 صار تلميذ المدرسة المصور كاتباً شهيراً. والذي القى عليه بعد سنوات
 ثلاث تهمة القوضوية. ويعرف الجميع قصة تنفيذ الأعدام الرومي، التي
 قصها دوستوفسكي على لسان الأمير مشكين في (الأمن). وفي اللحظة
 التي صدر فيها الأمر بالفرار، في الدقيقة التي عبت لتنفيذ حكم الأعدام
 عن دوستوفسكي والأخوين، جن أحد رفاق دوستوفسكي، ولم يشف من
 جثوته قط. وقضى دوستوفسكي السنوات العشر التالية في سجن في سيبيريا.
 وامتلات حياته التالية بالشجاعات للحاجة إلى جانب الكوارث المتفاقمة.
 وكان يلوح منغ الشفاء خفيفاً ليق، إلا أنه في كتاباته كان الانسان

التي يصنع بقوة روحية خائفة. وثرينا كتيب «الأخوة كارامازوف»
 و«الشاطين» و«الأمن» كثيراً من التفكير في الأسلوب، إلا أنها
 مع ذلك أروع ما كتب من القصص.

وتجلى فكرة اللامتن في كل كتاب ألفه دوستوفسكي، بل أن
 رواياته الخمس الكبرى تمثل بحثاً معشداً كاملاً عن مشاكل اللامتن.
 وما دعا تلك حوالاً خمسة عشر كتاباً من كتبه مترجمة إلى لغتنا. علينا
 أن نختار منها الكتاب التي تعنى بالمشكلة أشد العناية، والأهم علينا أن
 نخصص للدوستوفسكي من الصفحات أكثر مما خصصناه لغيره. وهذا يعني
 أننا سنهمل كثيراً من كتبه التي لا تقل أهمية عن الكتب التي سنخارها
 سنهمل مثلاً: «بيت الموتى» و«المقاربون» وغيرها.

أما الروايات التي سنحظى بأهم هذا الفصل فهي «ملاحظات من تحت
 الأرض» و«الجرعة والعقاب» و«الأخوة كارامازوف». ولما
 «ملاحظات من تحت الأرض» هي أول رواية وليست من
 رواياته التي يتالح فيها مشكلة اللامتن، وأولها في الأدب الحديث أيضاً.
 أن هذه الرواية، بالإضافة إلى «بيت الموتى» التي عشاها، لميس.
 يعتبر أكبر عرض لمشاكل اللامتن التي نتعاملها في هذا الكتاب. وهي
 تقع عروفاً للفكر الوجودي رغم أنها كتبت قبل قصة هيس بست وأربعين
 سنة وقبل قصة إاريوس بأربع وستين سنة.

أن عنوانها الحرفي باللغة الروسية هو «ملاحظات من تحت سطح الأرض»
 ويوحى إليها العنوان بأن البطل ليس إنساناً وإنما هو صرصار. وهذا قد لا يحسن
 أو يبدد في بدايتها، فانه يقول: «أني مر بعين...» بلوه بالفتح والثن...
 ويرينا التحليل الشعبي التالي لماذا يعتبر قصة صرصاراً. لقد كان
 لذلك لمدة عشرين عاماً. كما يقول، وقد عاش في غرفة وحيدة،
 دوراً ما يظن أنها، يشكو من عصر التقدم والمزاج الحاد، ويعبرك ويذكر...
 ويستمر كل شرح الأفكار، فيسرق وقت حسن مرممة. أنه غصائب والحساسية

الروحانية الشديدة . وهو يقول في ذلك : « لا أحب ، ولا قرم يمكن
أن يكون أكثر اشتواً وضجراً مني ... »

على أن هذا كله لا يفي لفصولنا ، فنضجر من القراءة ، وتكاد تنبذ متابعة
هذا الإنسان الصرصار وأفكاره المكونة ، حين ندرك فجأة ، أنه بصرف النظر
عن الأملاب والأطالة ، فإنه أعما يحاول أن يخبرنا بشيء هام معين ، أنه يوضح لنا
توضيحاً خيالياً ، حاله الذهنية المتعددة ، والتيك نموذجاً مختصراً من ذلك :

« يدعني أولئك الذين يستطيعون أن يتقموا من حاجتهم ، وأن يدافعوا
عن أنفسهم . ترى كيف يفعلون ذلك ؟ ما أفهم إلا وقد علمتهم رغبة
الانضمام تحملاً بحيث لم يبق فيهم أي دافع آخر . أن الرجل منهم ليندفع
إلى هذه كالدفاع الثور المقاتل ... ولا اظن أن انساناً من هذا النوع يمكن
أن يعتبر نموذجاً مألوفاً للإنسان كما تربيده الطبيعة أن يكون ... إلا أنني
مع ذلك أجد مثل هذا الإنسان بكل قواي ... » (١١)

وذكرنا هذا بعددتي . في لورنس الجليلي التي يعاين الفناء ، والرجل
الذي يتداعى الكلب .. أجل إننا نعلم الكثير عن هذا الإنسان الصرصار ، أنه
يفكر أكثر من اللازم ، وقد أنضب هذا التفكير منه فلم يبق في استطاعته أن
يستمتع بالأشياء استمتاعاً طويلاً ، أنه يحسد الناس البسطاء الحسني ، لأنهم ليسوا
مفكرين مثله ، وليس هذا جديداً علينا ، فإذا ملك الإنسان الصرصار أكثر من
هذا ليخبرنا به ؟ حساً ، إليك هذا الأمير الجديد ، أنه يجب أن يعاين ويقاوم :
« ... في هذا الجنون النضغي ، الكريه ، وفي هذا الانكار النضغي
الذات ... هذا السم من الرغبات الانطوائية .. في هذا كله أجود جوهر
القطعة التي تحدث عنها ... » (١٢)

و « هذه القطعة الغريبة » هي مركز جدلية هذا الإنسان الصرصار ، لأن
مسألة الحرية أعما تدور حولها . ألا يستطيع الإنسان حقاً أن يعرف الشر المطلق ،
كما يقول روثموس (بعد أفلاطون) ؟ وهل يكافح دائماً من أجل ما يفهمه
بضرورة قطرية على أنه خير ؟ فأما المجرم فإن الجرعة هي ، والفضل حياته

الاجتماعية المعتدلة . وفي هذه الحالة ، هل يتحكم القرائن الطبيعية في الروح ،
قرايين آينشتاين في الجاذبية مثلاً ؟ كل شيء هو للأفضل في هذا العالم
الذي يعتبر أفضل العوالم الممكنة ، وبكامل هيكل ما يداه لينتشر ، لقد
كان لينتشر هو الذي أسخ على الفلسفة مفهوم المطلق العظيم الذي عاين
نتائج في الفلسفة الحديثة ، ولهذا يقول هيل إن المقل يتحكم في كل
شيء ، وأن البشر ليسوا غير أجزاء في آلة عظيمة تعمل من أجل الخير النهائي .
الأن صرصار دوسوفسكي ينضجر فجأة ويفتح فم فتلوح أسنانه القلرية ،
ويواجهنا بعينه المحلقتين صائحاً : « ليلعب هذا النظام إلى الجحيم ، أنني
أطالب عني في التصرف كما أشاء .. عني في اعتبار نفسي جوهراً أفذاً فرداً ،
وهنا تفكر ماذا يريد هذا الإنسان الصرصار ، بتفكراته الشريرة ، وضحكائه
الرائقة ، فإن إشهاره الحرب ما هو إلا رد فعل ضد شيء معين ، وهذا الشيء هو
الانسانية الاستدلالية ، ولا عني وقت طويل حتى تغير لديه اللهجة النيشية :
« أن الإيمان بالفطريات التي تدعو إلى إصلاح الجنس البشري بواسطة الأنظمة
هو كالإيمان بأن الإنسان يصبح أرق كلما أوغل في الحضارة . ولعل ذلك صحيح
من الناحية المنطقية ، إلا أنه مبال إلى الأنظمة والاستنتاجات المجردة إلى درجة أنه
يستعد حتى لتزييف الحقيقة ، للتعاسي أمام الأشياء التي يراها ، والتعاسي أمام ما
يسمعه ما دام ذلك يساعده على إثبات منطقته ... أن الحضارة لا تطور في الإنسان إلا
قابلية إضافية على استيعاب المؤثرات - وهذا هو كل ما في الأمر ، كما أن قوة هذه
القابلية يزيد من ميله إلى البحث عن الثقة في سفك الدماء ، ولعلك تلاحظ أن أشد
الناس دنويةً وحقاً هم في الوقت نفسه أشدهم تحدياً وحضارة ... » (١٣)
هذا ما رآه لينتشر أيضاً على قمة الثلج ، عديم العقل ، والوجه الدم ، والعنف ،
واحتقار جميع الفعاليات النضغية .. ويمكننا أن نتصور كم سيكون اشتواً
الرجل الصرصار عظيماً لو سمع بفلسفة فرويد في علم النفس ، ذلك العلم الذي
يعبر أجند النماذج عن العوامل التي تسبب التصرفات الانسانية الانطوائية .
« ... انك تقول ، على العكس ، أن العلم مبرهن يوماً أن الإنسان لا يملك

شيئاً من الأداة أو القطعة الخاصة به - وانحسار هو كلونه المقتضى في
 اليات. ونضيف فضلاً عن ذلك أن العلم غيرنا أن هناك قوانين معينة
 في الطبيعة هي التي تسبب حدوث كل شيء. - وفيه فذلك نقول إن
 هذه القوانين مشروح للانسان، وإذا تم هذا فانه منجزه من كل المسؤوليات
 ويعيش حياة سهل. ستكون كل الأعمال الانسانية حينئذ مجرد حسابات
 مقبوضة وفق القوانين الطبيعية. - داعية حسن جدول الزيارات
 ولكن من يجرؤ على ممارسة قوة اوائيه حقاً لجدول الزيارات
 وهنا استطع أن نفعل شيئاً للاحط أن هذه الجدولة التي يقدمها
 الانسان الصريح، وهذا الكلام الطويل الغريب الذي يهتج عند الاستدلال،
 كان قد نشرنا قبل أن يسبح الناس باسم كيم كغارد خارج الممارك، أو
 باسم يشته خارج ألمانيا. - إن الملحق الانجليزي الذي كتبه كيم كغارد،
 والذي ليس غير حالة الاسماء الصريح محبوبة في بعض حلات من الصفحات،
 كان قد نشر تحت الاسم المستعار الغريب، جوهانس كليمكوس، في
 ذات العام الذي ظهرت فيه قصة الفراء. - إلا أنه لم يخط ذاته الذي
 حظيت به قصة دوستويفسكي، بالإضافة أن كيم كغارد لم يكن أول
 من دعا إلى القبلية الوجودية، فقد كتب ميمور أنكر قبله بما يلي:
 "إن الكتب القديمة كلها كانت هي السبب في الأخطاء التي حدثت
 بعد ظهورها".

وتلك الأخطاء هي:

أن الانسان جليلي وتألف منها، هذا الجسد والروح.

وأن القناعة التي ليس بالشعر هي من الجسد وحده، وأن العقل الذي
 يلبي بانقر هو من الروح وحده.

الأن الأشياء الثابتة التي تعتبر أمثلاً للأشياء السابقة، هي الصحيحة.

ليس للانسان تحت متغير بين الروح - لأننا نأمن بأنفسنا ان هو

لا فلك الجزء من الروح الذي يمكن تمييزه بالمدى المسير

الإنسانية فهي الحياة الحقيقية الوحيدة، وهي مسخرة عن الجسد،
 أنا العقل فهو الجسد أو المحيط الخارجي للعالية.

أما القناعة فهي القطعة الخاصة . . . (١٨٤)

ولم يكن ولم يلبك ليحب القناعة والوفاؤهم، وقد كرهه الاكثلية
 كما كرهها كيم كغارد. - إلا أنه كان عليه أن يعمل في سبيل تحقيق مسا
 كان يحاول الوصول إليه من فلسفة وجودية:

ليس واجبي أن أذوق وأقارن - وإنما واجبي هو أن أخلق . . . (١٨٥)

على أن أخلق لنظامي الخاص، - ولا سأكون عبداً لنظام اسان آخر.

بعد هنا أنه قد تفرقت لنا جماعة من الناس، بحرية حقاً، فقام بملك

كيم كغارد وثبتت دوستويفسكي، فيلسوفين مسيحيين خارجين على المسيحية

بعين، وفيلسوفاً وثيقاً عمل المظرفة، وفيلسوفاً مثلاً نصب كافر نصف

مسيحي، ويخلصهم جميعاً مذهبين بنفس الدوافع وميوزين بالولادة منها.

ولما وجدنا أن هذه الدوافع هي أشياء أساسية في الانساني، فليكننا ان

الصرح، نقول أن غشياً شيئاً، إنه هؤلاء الرجال يلبثون بمعتقدات واحدة.

أما القروق التي تلوح، وكأنها تفعل بينهم ليست غير فروق في المرحلة

التي تصور، وبالفعل الذي يحدث لدى بليك حين يقرأ "ملذات المسند"

أيم كغارد، أو يد فعل يشبهه حين يقرأ قصة دوستويفسكي - حياة

الأن زوسما، - إلا أن الفكرة الأساسية هي واحدة لدى الجميع.

إن الوصول إلى هذه النتيجة هو الحقيقة الفزار عظمة الأشياء التي يهتج

هذا الخطاب على أنها، أي الافتراض بأن قيم الانساني هي في الحقيقة دينية.

ولاً إن ارتداد هذه القطعة أكثر من غير الدافع، من تحت دوستويفسكي.

نقار الانسان الصريح، يصل أن دوره في ما يلي

إذا قال أحد ما شيء، فالقوى والطعام والاموات، فكأن أن ينقص

من صبح مجرد - فإن الانسان مجرد لأنه لا يكون ذاته

منه، أو أن يصفوه، كما شاء الذي اعتقد، ولذا لأنه من الواضح أن الانساني

هو، دون استثناء، لا حراً من اجزاء القدر، ومن يدين في ذلك

كفاح الانسان على الأرض مؤلفاً من كفاح من أجل شيء يعني الوصول إليه في الحياة نفسها أكثر من أن يكون من أجل نهاية حقيقية هي في الواقع قاعدة ثابتة تشبه في جوهرها قاعدة أن $2+2=4$ ، التي يتأكد من أن الانسان لن يزيل عذابه الاصل الذي تسببه له القوضى والدمار . ولماذا يفعل ذلك ؟ أليس العذاب والمعاناة والشقاء المصادر الوحيدة للمعرفة ؟ (١٦) وإن ما يجب أن أدفع عنه هو ارادتي الحرة الخاصة ، وما تستطيع هذه الازادة أن تفعلني به حين أعود الى طبيعتي الحقيقي لأقوم باستخدامها آنذاك . (١٧) ولا يستطيع هذا الانسان الصريح ، بعد هذه التحليلات الواسعة ، أن يقاوم النتائج التي وصلي اليها إيمان سترأود : وهكذا وصلنا الى الاعتقاد بأن أفضل شيء يمكننا أن نفعله هو أن لا نفعل شيئاً قط - أي أن نفرض في استمرارية تأملاتنا . « الا انه يعرف مثل سترأود ، أنه هذا ليس ما يريده . وأنه ليس غير صنف جودته من الدرجة الثانية ، كتضيق عن جودة الدرجة الأولى ، التي أنا جالس لها ، والتي لن أجدها قط . » وهنا تنتهي مقدمة الانسان الصريح بالنسبة للقارئ .

أما القسم الثاني من اعترافه فهو قصة يرويها عن ماضيه ، ولحظة خاطفة يري فيها . ذلك الشيء الذي لن يحصل عليه . وليست قصة ممتازة ، فهو يروي لنا كيف فرض نفسه على بعض رفاق المدرسة القدامى ، وكيف أنهم صاروا بكرامتهم له ، وكيف أنه تبعهم الى المبنى . ثم تراءى مع إحدى البنات في قرائها وهو يتحدث معها عن الموت ، في حين ينطلق خياله انطلاقاً لأبعد . ويبدأ حديثه بالكلام عن الحب والدين والله ، فتتبعه بأنه يتحدث وكأنه كاتب ، ويشرح منه : الا انه يزداد بلاغة ، ووجهة تكشف أننا اذا قرئ دوستوفسكي نفسه الفنان البيكولوجي العظيم ، مؤلف الفقراء ، الذي خلق لنا صورة عن التعابة الانسانية والحب المعوس والذي يتحدث في ظلام الغي ، التي تضيق الى جانبه . ذلك هي ساعة اللاوعي وذلك هو شعوره بالولف والوحشة . به القوة التي في داخله . وبني الفتاة فجأة ، فترك اللاوعي الفرائض ، ثم يغادر الغرفة بعد أن يعطيها عنوانه .

ولكن الفتاة ما ان تزوره في مكانه بعد ايام قليلة ، حتى تجد انه قد طرا عليه تغير كبير . فان ذلك الاحساس الثلاثي تماماً ، وجل حاله شعوره بالضييق وميله الى العنف ، انه يلعبها ويبتليها ، الا انها وهي تحبه وتعرف انه لا يقد يشعر بشيء من عدم الرضا ، تحمك طبيعة المرأة ، تحاول أن تفعل كل ما في وسعها لتبديد كآبته ، فتقدم نفسها اليه . وما تكاد تفعل ذلك حتى يتحول احتقاره لنفسه اليها فيلعب في جسده ثم يعطيها بعض الدريهمات كتمن لخدمتها . ويتركه ، فتراه وحيداً ثانية ، يشعر بالضيق والشقاء ، كارهها نفسه وفشله في التحكم في الأشياء التي تسيطر في أعماله .

ليست قصة ، ملاحظات من تحت الأرض ، بالقصة السارة ، بل انها لا تشجع القارئ على متابعتها ، الا ان ما تفيدنا به هنا هو انها تظهر لنا اللاوعي معذباً موزع النفس . اما الطعم المر الذي تركه قراءتها في فم القارئ فانه راجع الى فشلها كعمل فني . والى إلحاح دوستوفسكي فيها على اظهار الضعف الانساني . للبحر . ان أعمال دوستوفسكي كلها تقريباً تترك مثل هذا الطعم . ومثل هذا الشعور في نفس القارئ . وان أقصوه « الزوج الخالد » وغيرها من القصص القصيرة تترك شيئاً من الصبر المسترح بالاضيق والذين تتركها أيضاً قراءة ألدوس هكسلي ، حين تراه يشرح شخصيته تشريحاً ، فإذا كان علينا ان نحكم على دوستوفسكي بالنسبة الى مثل هذه المؤلفات فان حكمنا هذا لن يختلف في شيء عن حكم شو على شكسبير - انه يفهم الضعف الانساني ، الا انه لا يفهم القوة الانسانية . على ان هذا ليس صحيحاً . فان مؤلفات دوستوفسكي ما هي إلا خطوات بليغة نحو فهم القوة الانسانية . وبعد أبطال قصصه الأولى لا يمكن أن يمتنع ، ثم لانهم يتخلون شيئاً فشيئاً عن قناعاتهم وغرورهم . الناجع رامكوليكوف ثم الأكبر مشكين . ثم كيريلوف ، ثم شاتوف وأخيراً عبد الاخوة كارامازوف الذين يعتبرون الحلقة بالسياسة الى الانسان الصريح . لقد حالت قصته « الحرة والمعاق » الكثير من القراء ، الذي وجوه

اليها نقاد يهودي على اعتبارها قصة اخلاقية تدور على الشر الكامن في
 الخلق بالحياة الانسانية ، بالرغم من ان دوستوفسكي يذكر الكثير فيها
 من هدف الحياة الحقيقي . ان بركلافس يردد في نفسه ، الذي كتب
 اروع الكتب التي اُلفت من دوستوفسكي . يلزم جانب المسيحية وبينهم
 واسكولنيكوف ، احد أبطال دوستوفسكي . ، بأنه عملاق شرير لا يبالى ،
 ان ما رأيناه في عثنا ، محاولة السيطرة ، بقطعة ناعمة مثل هذا الضمير
 دون ان تكون كمن يفتش عتبه عن جريمة قتل . التاجيد واسكولنيكوف
 في « الجريمة والعقاب » في موقف يشبه موقف الانسان الضعيف ، فهو
 يعيش في خوفه وحيداً ، كراماً الاضيق بالآخرين ، نعماً في نفسه انحر
 من اللازم ، تحقراً للشروط البشرية ، والضعف الانساني الذي يعتبره سبب
 تلك الشرور . انه يريد ان يتصل بهذه « القوة في داخله » ، وهو يعلم
 انه لكي يفعل هذا فإنه يجب ان يشر اوافته نحو هدف معين ، وأن يجد
 عملاً معيناً يقوم بأدائه . وبهذا لنا دوستوفسكي في فصل آخر من القصة
 - أي بعد ارتكاب واسكولنيكوف جريمة القتل - نقطة واسكولنيكوف :
 « كانت حركته عديدة واضحة وكان في أحاطة هدف واضح ملحوظ ،
 وقال في نفسه - اليوم - . الا انه فهم انه ما يزال ضعيفاً وغير ان تركيزه
 النفسي وجه القوة والثقة بالنفس . ١٠ (١٨) ويقول بعد بضع صفحات :
 « ... والضح في عينيه فجاءة قزع من النشاط الوحي . ولم يقتصر
 على عينيه المضمومتين وانحلالاً في وجهه الأصفر الجحل أيضاً . لم يكن
 يعرف ان أي كان ذاعاً ، وانما كان يفكر في أمر واحد فحسب ، هو
 ان يملك كله يجب ان يتنهي اليوم . . . وانه ان يعود الى البيت دون ان
 يفعل ذلك ، لأنه ان يستمر على الحياة كذلك . »
 يمكننا ان نرى ان « الجريمة والطبيب » ليست إلا دراسة لاجتهاد في
 الفضل الرابع ، أي الجبل الواضح المحيد ، وشبه وضعية واسكولنيكوف هنا
 وضعية يشبه . فهو يكره ضعفه ، ويكره الضعف الانساني ، والشر الذي يجابه

الشر . أما فطرته العميقة فانها تنجذ نحو القوة والصحة ، ان الإرادة المطلقة
 في الاقويكها القيود العقلية ، التي انه لا يؤمن بأنه فاسد حتى الانساني .
 وبانه ليست هناك صحة فيها ، بل انه هناك قوة ، وهو يؤمن بذلك انما
 كياً . الا انه يعرف ان هذه القوة موجودة في الانسان البعيد . وبانه ان
 يتطلع شرطاً بعيداً في هذه الاعناق لكي يتصلها ، الامر الذي يتطلب رادة قوية
 جداً حسناً ، قوة الطيريق ، أي طريق . انه عابو مكافئاً لقوته
 هنا تكمن الصعوبة . لان واسكولنيكوف ، كيهال ناروس - لا تلك لديه
 ولا موجه معينة . ان الكاتب والمفكر والاعطاء والجنسي ليجيبون شيئاً به قوته
 ان حلي الشقاء والفساد الانساني . الا ان واسكولنيكوف لا يؤمن بالعناية من
 وجوده . انه يرى بوضوح ان يرى انك لذلك ، في ايام الثورة الصناعية :
 « اجول في كل شارع ، فلم
 تجدي محذاته من الضمير القليل
 وأحد على كل وجه انساني
 ما يثبت للشعب . وتعبيرات الوحد . »
 ان الشقاء الذي دفع بالطلاب الروس الى الانشقاق يهودي وما يهودي (أول
 دوستوفسكي شيئاً آخر من عبود الثورة الاجتماعية . أما واسكولنيكوف
 في « الجريمة والعقاب » فهو الشاغل بيلان دوستوفسكي والمغالب المضموم .
 ان ليس رد الفعل الذي يولد في نفسه تلك تلك الثورة من مشاعر دوستوفسكي
 القام ، وصورة في قلب نفسي .
 نخرج مثلاً التمدد في هذه الحالة صفة جدياً ، فان رد الفعل الذي قام في
 حيز واسكولنيكوف ضد الشقاء الانساني هو ، انما انقلب حوله القتل ، رد فعل
 احسن المعاشير انساني يعطينا ذلك المرد . وذلك ليعتق بوجوب ، الموت هو ان
 انقلب منه من الفضل الى الا الذي يستطاع . ان هذا في حركته وانفسه .
 والشر هو انه يستطيع ان يتصور ، انه ان يقبل جعل من القتل لم يقبل
 ان انفسه هو انفسه . ذلك لانك بعد ان تعلم انك انفسه . وانه يشاء

القارئ : لماذا لم يحل أية مشكلة ؟ على أنه بإمكاننا بسهولة أن نزيد الرعب الذي قام في نفسه حين رأى الدماء ، وكذلك ما كان قصد المؤلف إليه من غاية خلقية : أن يبرديف يكتب عن ذلك قائلا :

« إن طبيعة الإنسان الروحية تمنع أن يقتل الإنسان أقل أو أشد البشر ضرراً : لأن ذلك يعني أن يفقد الإنسان جوهر إنسانيته .. أنها جرمته لا يمكن أن يبررها أي مبرر ، أنه جارحاً آمن لدينا من أية فكرة جردة ، هذا هو مفهوم المسيحية ، وهذا هو مفهوم دوستوفسكي أيضاً . » (١٩)

إن هذا التبسيط السهل يغفل عن معنى القصة الحقيقي تغطية ثامة ، لأن راسكولنيكوف يتبدل هذا الرأي ، وليس لدينا أي دليل على أن دوستوفسكي يقلبه . إن دوستوفسكي لا يقول : « إن القتل خطأ لأن مفهوم المسيحي عن قسمة الإنسان صحيح ، وإنما نذهب أفكاره إلى نواح أخرى أشد قوة ، وبالرغم من أن نتائجه النهائية مسيحية : إلا أنه عطف قيمة الفكر دوستوفسكي أن نقبل إنجاز برديف هذا ، لأن ذلك يعني أننا سنفهم أن دوستوفسكي خلق شخصية راسكولنيكوف كما خلق شخصية أياكوف ليكون قدلاً لمحب ، وعند ذلك ستتم مع برديف على أن : راسكولنيكوف لا يملك شيئاً من النزعة الانتقامية ، وأنه ظالم عديم الرحمة . » في حين أن نظرية واحدة إلى أية صفحة من صفحات « الجريمة والعقاب » نرىنا أن ذلك محقق . إن الفكر فالإنسانية في « الجريمة والعقاب » هي الشفقة ، والشفقة هي التي تربك راسكولنيكوف . أما الفكرة التي تشغل باله فهي فكرة فإن كوخ : « إن الشقاء الإنساني لن ينتهي » . ونهدف القصة منذ مطورها الأولى حتى النهاية إلى إثبات هذه النقطة : فإن مارملادوف الكبير ، الذي يستمع بالعذاب مثل الإنسان الضعيف ، وعائلته الجائعة ، وحلم الجنان التي يشعرون ضرباً حتى الموت ، ورسالة والد راسكولنيكوف المملوءة بالتحذيرات ، والحوادث العرقية التي ليست ذات علاقة بالقصة ، والتي تكشف عن الشقاء الإنساني ، كالثقاة الشابة التي يسكنونها ، وما إلى ذلك التي تحاول أن تلقى نفسها في النهر بينما كان راسكولنيكوف والمصطفى على الدفة . أضف إلى

ذلك قصة راسكولنيكوف . وقدره وإلحاح صاحبة البيت عليه ليدفع لها الأجر ، كل ذلك يحظى تحت أيضاً سؤال الإنسان الضعيف الملحاح ، ما هو الشيء الذي يستحق أن يقوم بقتله الإنسان ؟

أما بالنسبة إلى الإنسان الضعيف فإن المشكلة معقدة أكثر بسبب ضعفه العاطفي ، لأنه يفكر أكثر من أن يستمع أو يتعذب . في حين أن راسكولنيكوف أفضل منه قليلاً ، لأن شقاء العالم يوحد كبرائه كله مع شعوره بالثورة عمتج بالشفقة ، وخاصة شعوره نحو من يعيشون عيشة أوسع من عيشته (الذي يشبه اشتراز لورنس) ، وشعوره نحو العجائز اللواتي يطفن المال بالربا مثلاً . إنه إنسان غير قانع ، ولهذا فهو إنسان خطير . وهناك الشقاء الإنساني ، وهناك كذلك السؤال الذي ينهض في نفسه : ماذا يمكن أن أفعل لادفع هذا الشقاء ؟ أما السؤال الذي يسفه به عقله الصحيح فهو : « لن يكون في استطاعتك أن تفعل أي شيء . » ما حدث على هذه الحال . « ولكن لماذا ؟ » لأنه في وضعه الحاضر يعاني من كل الأشياء التي تثبط عزمة اللاشمسي . « إنه شاعر بؤس . » إلا أنه لا يعرف كيف يستعملها : ولهذا فإنه يفكر بدلاً من أن يعمل .

إنه ليس مجبوراً أو اجترأ أو سوداويًا كالإنسان الضعيف ، إلا أنه مع ذلك شديد الحساسية : وهو يعجز نفسه قسماً جداً ، في حين أنه ليس كذلك . وبالإضافة إلى ذلك فإنه قرر أن يقتل المرأة العجوز وخديعة ، إلا أن شقيقتها باعته فعين عليه أن يقتلها هي أيضاً . ثم يؤخذ بالجريمة وسمان ، ويروج أنهما سيذممان ، وهكذا يعتبر قاتلاً لأربعة . ذلك كله يؤلف سبب إتهامه ، بالإضافة إلى أن تلك الجرائم لم تقرب من حياته شيئاً : ولم تحصل على قائمة تذكر منها ، وإنما عاد وفي عطفه جرمنا قتل « ورعا أربع » إلى حيث بدأ ، فلا عجب إذا ما أتهام واعتُرف .

الآن ، قبل أن ينتهي الكتاب ، يدرك إدراكاً خاطئاً « طريقاً إلى الخارج » ، أو لراه مع البعي سوليا التي تنفرد له بصوت مرفوع قصة بنت لازاروس من الموت . فمدرك راسكولنيكوف أنه هو أيضاً يحتاج إلى بعض من الموت . ولا

تختلف في شيء عن غيره من اللامتمنين في هذا الشأن ، لأنه يحيل الى هذه الفكرة ، وفي الوقت نفسه يثير تشوئتهما ، ان البعث امر تخيّل بالنسبة الى من ماتت روحه ، غير ان سوريا ، المواقفة البسيطة التي تشبه سوزان في الحياة السرية ، تحترم شهاد واسكولييكوف ، وتستطيع هي ايضاً ان تقول له : لا بد ان تكون شيئاً ، بأية طريقة . الا ان المحادثة التي يقوم بها لحل مشكلة كلامهم تفشل ، اذ انه يحاول ان يسيطر على نفسه ولكنه لم يستطع ، الا ان فشله في ذلك ليس راجعاً الى خطأ طريقته ، لأنه كان قد وصل الى مثل حالة نيشته ، اي « وراء الخير والشر » ، ورغم انه يقول لسوريا ، معترفاً لها بأنه قاتل : « لقد قتلت نفسي ، ولم اقلها هي » ، فان ذلك لا يعني انه يعتبر القتل شراً ، لأنه يسأل بعد ذلك : « الجرعة » ما هي الجرعة ؟ اي جرعة ان اقتل حشرة شريرة ساعة ١٩ .

ومن الواضح انه لا يشعر في النهاية بشيء من القوة المسيحية ، عن ذلك القتل . انه لا يريد ان يتخل عن نفسه ، وأما يريد ان يموتها ، ان يقتض لها . الآل فقط استطعت ان ادرك مدى عيالي وجيبي ... فلم افور التخل عن انفسى الا لانني جدير لا امك في اعمالي شيئاً .. لقد اردت ان افيد الناس ، وأن اقوم بألف عمل خير مقابل تلك الحاجة الوحيدة ، والتي لا تعبر حافة بقدر كونها حياة ، لأنها لم تكن تبدو حقاً من قبل كما تبدو كذلك الآن عند قتلها . (٢٠)

هنا امر واضح ، وما لم يتصل دوستوفسكي من افكار واسكولييكوف ، فانا لا نستطيع ان نلتمس على الاعتقاد بأن واسكولييكوف فشل في حله لان هذا الحل خاطيء . من الوجهة الاخلاقية . لقد فشل في امر آخر مختلف كل الاختلاف ، ذلك هو انه لم يكن قوياً بما يكفي ليكتف عن كونه لامتمنياً . الا ان هذا لا يعني اننا يجب ان نعلم برأي واسكولييكوف في ان القتل ليس خطئاً من الوجهة الاخلاقية ، وأما يعني ان هذه المسألة لا علاقة لها بمشاكل اللامتمني ، في حين ان قصة الجرعة والعقاب ، ما هي الا بحث لمشاكل اللامتمني ان الانتقال من ملاحظات من تحت الأرض الى الجرعة والعقاب .

يشبه الانتقال من بطل باربوس الى فان كوخ وت. جي. لورنس . كما ان الانسان الضربان هو لامتمني معنوي مثل باربوس ، في حين ان واسكولييكوف هو لامتمني فعلي مثل فان كوخ ، وقد ففر دوستوفسكي في معالجته للمشكلة من مرحلة الى اخرى . واذا لاحظنا ان « انقراضه » و « المردوج » اللتين كتبها دوستوفسكي قبل نفيه الى سيبيريا تدوران عن اللامتمني ايضاً ، بل تدوران عن لامتمنين اشد ضعفاً وحقاً من الانسان الضربان ، فهي استطاعتنا ان نقول اذن ان مشاكل اللامتمني كانت كل ما شغل بال دوستوفسكي ، وأنه كلما تقدم في قصته خطوة الى الامام كفتان ، ازداد لامتمنوه طولاً وأهمية .

ان قصصه التالية تدلنا على هذا ايضاً ، فنجني مشكين في « الاحق » ، يمكن ان يعتبر لامتمنياً ، رغم انه يختلف عن اللامتمنين الذين نعتناهم . انه صورة خيالية « التاو » الصيني :
 « هو لطيف ، كالضيف ،
 مستلم ، كالفلج المقبل على اللوديان ،
 بسيط ، كالعابرة التي لم تعيث بها يد الانسان ،
 خال ، كالوديان الجوفاء ،
 معتم ، كالللمعكر ... » .

هذا هو مشكين ، كما وصفه لاورتي قبل المسيح بخصيافة عام ، اما مرة فبسيط ، لأنه لا يزال طفلاً . ان الناس يفعلون الشر لانهم يعلقون أهمية كبيرة على الانبياء الخاطئة . لانهم كثير ناضجون ، أما مشكين فانه يتمتع ببساطة فطرية كاملة ، غير ان التفد الذي يمكن ان يوجهه اليه سبق ان وجهناه في بحثنا الماضي ، فهو لا يستطيع ان يحل مشكلة الشر بالبقاء طفلاً ، وأما يجب ان يواجه الفوضى ، ويجب ان يحط الى العالم الاسفل . ونجد في « الاحق » ، كما وجدنا لدى اميل مكلير ، بلين ايضاً ، عالم عائلة الجيرال الجميل ، خاصة أكلابا ، وعالم الثور العصبي

والجرعة والقوضي ، « لانساسيا وروكوجين » . إلا أن مشكن ينفجر تحت وطأة هذا الجاذب بين هذين العلين ، قبض كما جن فازلاف بيسكي ، فالمشكلة هنا إذن تشبه تلك التي تتجلى في « دميان » ، أي أن التشبه بالأطفال لا يمكن أن يكون جلاءً لمشاكل اللانستي .

هناك قصتان أخريان لدوستوفسكي يجب علينا تحليلهما تحليلًا شاملاً : إذا تركنا قصة - شاب عام - التي تعتبر من الناحية الفنية قصة عبثية لا نظام فيها ، ضمة القراءة ، لأنها تعتبران محاورين جديدين لحل مشاكل اللانستي . ويمكننا أن ننظر الكثير من طبيعة دوستوفسكي الفنية وذوذه الحبيب وقابليته الخلاقة الهائلة . كما أننا نرى أنه يفلح جداً في تحليل هذه المشاكل تحليلًا شاملاً في « الشياطين » و « الأخوة كارامازوف » الأمر الذي لم يقعه أحد آخر غيره . تعتبر « الشياطين » نظرياً لفكرة قصة « الجرعة والعقاب » . وهذا علينا أن نبحثها في ما ترقى من هذا الفصل . أما أعظم جهود قام به دوستوفسكي لمعالجة تلك المشاكل فقد تجلى في قصته الأخيرة التي تنقلنا إلى ميدان جديد تماماً ، ولهذا سنؤخرها ونخصص لها فصلاً كاملاً . لقد كانت الأفكار الأخلاقية في دور النكوب في القصص ، « ملاحظات من تحت الأرض » و « الشياطين » و « الجرعة والعقاب » ، أما في قصة « الأخوة كارامازوف » فالتناجد تلك الأفكار متبلورة في مفاهيم معينة من الخير والشر .

تعتبر « الشياطين » نتيجة منطقية للقصص التي سبقها ، وهذا أمر متوقع ، ويبسط دوستوفسكي معالجته للمشكلة بتقسيمها إلى قسمين وتوزيع الأدوار على الشخصيتين الرئيسيتين فيها ، « سافروجين » و « كيريلوف » . ولتحدث الآن عن أصل فكرة الكتاب قبل الحديث عن بطله .

تبقى فكرة الكتاب من « حادثة نيشايف » ، وقد كان نيشايف نيلسيا فوضوياً ، ولهذا فقد كان يستحي أن تكون دراسة تاريخية لحياته . كان نيشايف يقف موقف المثالي المتعصب كلما تلقى الأمر بالورعوبة ، بالإضافة إلى أن مزاياه الشخصية تمثل أسوأاً في التاريخ الجنائي من شرو ومخاض وضعه وراءها حبله

وخدعه أنه لم يكن ليقول الخطأ عن لا سيبر ، ولا وحشية ولا قوة عن أي نازي . إلا أن سحياته تزيها مع ذلك أن فيه شيئاً من البطولة القريفة ، الضافة ، وهناك قصة تروي لنا كيف أن هذا الرجل ساعد على تنفيذ خطة لاعتقال الاسكندر الثاني بينما كان سجيناً في قلعة بيتروبول (جزيرة الشياطين في روسيا) ، وإن رفاعة سألوه ما إذا كان الأفضل القاذة هو أو قتل القيصر ، إذ قال لهم : « اقتلوا الظالم » ، وكانت النتيجة أن اغتيل القيصر ، ومات نيشايف في السجن ، بعد عذاب شديد تعرض الاسخريوط .

كان نيشايف « الثعلب المنمر » من أشهر المخادعين في العالم ، لأنه حاول أن يخلق حركة ثورية عظمى على أساس من الأكاذيب والخداع والتضليل : فقد خدع الجميع بما فيهم قواد الثورة باكونين وهيرزن وغيرهما ، ولو ساعده المخطأ أكثر لأصبح دكتاتور روسيا (وكان ذلك ما هدف إليه) .

كانت تلك الفكرة التي استعملها دوستوفسكي في كتابه قصة « الشياطين » هي ذاتها التي أدت إلى انبعاث نيشايف . لقد نظم نيشايف جماعة ثورية من الطلاب والعسكريين السابقين في موسكو ، يدعى أنه يمثل التحالف الثوري الأوروبي . وجعل تلك الجماعة في لجان ثورية . وحدث أن أهم طالب يدعى إيفانوف ، أختبأ الجماعة ، فظنه نيشايف بالانفاق مع الجماعة ، واكتشفت السلطات الأمر ، وتبعته تلك سلسلة من الاعتقالات ، فقرر نيشايف إلى سويسرا ثم الكلاوا ، في حين كانت الحادثة تحتل بالنيابته المذرة جميع الصفحات الأولى من صحف روسيا ، إلا أن نيشايف ما علم أن عاد إلى قم الأسد ، طائناً أن السلطات نيت أمرة ، فالتهم أمرة إلى قلعة بيتروبول .

وقد استلذذ دوستوفسكي في هذه القصة من نقطة أخرى ، تلك هي أن أحد الطلاب قرر الانتحار ، إلا أن الجماعة الثورية طليت منه أن ينهي حياته ، فإذا ارتكب أحد أفراد الجماعة جريمة القتل وحملت حوله الشكوك ، كان على الطالب أن يذهب ويعترف بأنه هو الذي ارتكبها . وهكذا قدم إلنا دوستوفسكي

كيريلوف - المصاب بجنون الانتحار والذي يعتبر نموذجاً مهماً على معالجة دوستوفسكي لمشاكل اللاوعي .

اما بناء القصة فمحل غير متع ، وهي تبدأ بمشهد طويل نرى فيه رجلاً مسلماً كان من احرار عام ١٨٤٠ ، وأرملة الجنرال التي تعاضده . ويعتبر هذان نموذجين لشكل المدينة الصغيرة التي تحدث فيها حوادث القصة . وهكذا يبدأ دوستوفسكي القصة ، ويضع أسسها ، ليصح المجال بعد ذلك لابطاله ، عجائز الانتحار ، للظهور أمامنا . وهنا نرى نيتشايف (الذي يدعى بيوتر فركوفسكي في القصة) باعتباره ابن الرجل المسن . ستافروجين باعتباره ابن الأرملة .

اما وجود نيتشايف ، فانه يزود القصة بمكملها العام واستمراريتها ، الا انه مع ذلك يلوح عديم الامة ، في حين ان ستافروجين هو بطل القصة ، الا انه ليس هنالك تناقض بينه وبين نيتشايف باعتباره الآخر شريكاً فذلاً ، ولو نظرنا الى القصة بمنظار حادثة نيتشايف للآح ستافروجين نفسه عديم الامة فيها . الا ان القصة تظهر على أتم قوتها حين نرى ستافروجين (أو كيريلوف) وتشر بأن نيتشايف هو الدخيل على المشهد ، لا ستافروجين .

وتبلغ القصة ذروتها في المشهد الذي يقوم فيه رفاق نيتشايف التوريون عرق المدينة وقتل ضابط سابق مع شقيقته المريضة عقلياً والتي هي زوجة ستافروجين . اما العجز الذي كان ينتمي الى احرار الروس في السابق ، فانه يترك البيت ويموت ، ويموت التلميذ شاتوف (ايفانوف) مقتولاً ، ويتحر كيريلوف حين يسمع التفاصيل التي يرويها له نيتشايف ، في حين يلتقي نيتشايف بالقطار ، ويقر الى سويسرا .

تعتبر قصة ستافروجين مركز القصة . وليس ستافروجين غير خضاد أفكار دوستوفسكي السابقة حين أراد أن يكتب قصة حياة خاطي كبير ، وقد خلت الجريمة لب دوستوفسكي ، لانه يعتبر خافداً من قيود الشخصية الانسانية ، يظهر حين يشعر اللاوعي بأنه مهي عن المجتمع . ان المجرم الكبير بعد عن البؤس جوازي العادي بعد القديس عنه . اما من الناحية العملية ، فانا نجد ان معظم المجرمين الكبار ليسوا غير الخالقة

أغبياء او مرضى في اعصابهم كمرضى فرويد ، الا انهم يظلون في ذهن الفنان وخياله ، او بالاحرى من الناحية النظرية ، اشخاصاً يتمتعون بالاستقلال العقلي الذاتي غير المؤلف ، ويختلفون عن عظمة الفنان او القديس . ان دوستوفسكي يقدم لنا في « بيت الموتى » كل ما يعرفه من قصص المجرمين الذين قابلهم في سيبيريا ، ويمكننا ان نجد هؤلاء المجرمين ، القتل ، شيئاً أكثر من ان يكون اسائياً فقط ، شيئاً يجذب انتباه القارى . (بمقارنته مع الشخصيات الانسانية التي نراها في قصص الروائيين اليوم ، الذين يصيرون بالسر العقلي بعد كتابة حين صفحة لا أكثر) . وفي الوقت نفسه ، فان هذا المجرم الذي يختار الجريمة « اختياراً » ، ولا يقع فيها وقوعاً بسبب غيابه أو أهمله ، انما يهبط الى العالم الاسفل المظلم طائعاً مختاراً ، الامر الذي يقصه قريباً من مسألة تقرير الحيز والشئ التي يحققها القديس ، وهكذا نجد الخلاص عن طريق الوقوع في الخطيئة يتكرر عند دوستوفسكي .

نجد في « الشياطين » ان قصة ستافروجين مروية بطريقة تجعلها عمالة بالغموض : لأن دوستوفسكي يريد ان يظهره لامتمياً . الا ان القارى الذي يدرك مفاهيم بطل باربوس ادراكاً جيداً ، لا يجد شيئاً غامضاً في تصرفات ستافروجين . المك اذا فهمت على انه مزيج رومني من ايفان ستراد ، وأوليفر كاونزليث : مع شيء من بطل بوشكين ، يوجين اولوجين ، فتكون امامك صورة واضحة كل الوضوح له . ان قصته تكشف عن سلسلة من الاضداد ، فهو يقبل زوجة احدهم وسط جمع من الناس ، ويقبض على جنرال متقاعد ، ويعضن اذن رجل عجوز مسلم ، اما منقوبة القول فهي انه يمثل دور غلام واميد الحسن في غرف استقبال المدينة ، ان اللينين والعجزة محرقون الى درجة انهم يتوقون ان من يذبحهم . . . ويتضح سلوك ستافروجين

« باروخ لي اندرسي » لم استطاع ان يصور هذا النوع من المزيج في المجتمع في واحد من هذه النماذج . « حزن بعض علماء النفس انهم لم يصلوا الى هذا المستوى من الفهم والعمق »

لسكان المدينة حين يضاب ، بانتيار عقلي ويرسل الى مضج عقلي لمعالجته .
اما بالنسبة الى القاريء المدرك ، فانه يعلم جيداً ان تلك الاعمال وذلك
الانتيار العقلي هما نتيجتان لميوله اللاتائية .

ونستمر القصة ، ويفعل ستافروجين اموراً اشد غرابة ، فيقبل صفة على
وجهه من شاتوف ، ويترك في مبارزة يسبح فيها لخصمه برميه اولاً ، ثم يطلق
نار مدسمة الى اعل ، ويطلب من فتاة شديدة اليأس ضعيفة العقل ان تكون
زوجه ، رغم ان معظم نساء المدينة راغبات في الحصول عليه ، واخيراً
فانه يبدى باعتراف رهيب رهبة الكابوس ، ويشق نفسه . وفي هذا يقول
دوستوفسكي : « لقد قرر اطباء المدينة ان حالة ستافروجين لم تكن جنوناً ،
ان العبارة الاخيرة شديدة الاهمية ، كما ان دوستوفسكي لم يكن لينهي القصة
لقرائه نهاية عادية ، ويعتبر ستافروجين اهم محاولات لتخليص افكاره عن الخير
والشر . ان اعتبار ستافروجين مجنوناً ، لا يقل ضخامة عن اعتبار راسكولنيكوف
شريراً قاسياً لا يرحم .

ولا يقوم ستافروجين بتقديم نفسه اليها في القصة ، كما ان دوستوفسكي لم
يكتب مقالة او بحثاً علمياً عن اللاتسي . بالرغم مما قام به من مجهودات ضخمة
في هذا الباب . (كان واجبه ان يخلق ، لا ان يقرأ ويبحث) ، رغم انه يكون
من غير الانصاف ان لا نعرف بأن طريقته في ذلك كانت في ٨٠٪ منها طريقة
النابد الحاذق . اما من الناحية الخلاقة ، فانه من غير المعقول ان نتوقع من

مأوسط جميع من الرافضين ، فون ان يصنعها احد ، وليذكر ان ذلك الوقت كان اللاتائية
وهذه الحادثة قد اقول نفسي ، ويمكن ان تكون اساساً لبحث كامل من العقلية الفارغة
على المصنع .

• خلف الناشرون فعل الاعتراف هذا من القصة ، ولم يظهر إلا بعد سنوات عديدة ، حين
نشره السوفيت . وقد وصفه ميرزكوفسكي بأنه « جوهر الرعب المكنى » . وقد نشر هذا الاعتراف
في كراس صغير في لندن ، وقالت بذلك مجلة هوكارت ، الا ان هذا لا يسد على سبيل القصة في
اية طبعة من طبعاتها الكاملة

شخص . دوستوفسكي ان يقوموا بتحويل أنفسهم بالسلطة التي يقوم بها
ابطال براندنيل وشو . ولحسن الحظ ، فان دوستوفسكي لم يقدم لنا شيئاً
لم نجده في هذه الدراسة ، بالاضافة الى ان ستافروجين لا يغفل مشكلة ما .
اما الرسالة التي كتبها قبل قيامه بشق نفسه ، فانها تصلح ان تكون تمهيداً
لكتاب « أمثلة الحكمة السبعة » لورنس .

« لقد جربت قوتي في كل مكان ، لانك نصحتني بذلك قائلاً انه سيصعبي
- أعرف نفسي - الا اني حين فعلت ذلك من اجل نفسي ، ومن اجل اهلها
نفسى للناس ، لاح لي ان قوتي ليست محدودة ، كما كانت قبلاً طيلة حياتي .
وقد رأيت بعينك كيف اني احسنت صفة من اخيك ، واحسنت زواجي على
الملا . اما على اي شيء ، اطلب قوتي ، فان ذلك ما لم اعرفه ولا اعرفه الآن ايضاً .
ليست رغباتي قوية بما يكفي ، لانها لا تستطيع ان تقودني ، انك تستطيع ان
تغير النهر على جرع شجرة ، الا انك لا تستطيع ان تفعل ذلك على شجرة
شجرة . » (٢١)

ان ستافروجين ، الذي يشبه ايوان ستراود في لاتائياته ، فقد دوافعه ،
الا انه ما يزال قادراً على الاعتراف بقوة هذه الدوافع لدى الآخرين ،
فاما اللبدي كيريلوف ، المصاب بجنون الانتحار :

« ... على الرغم مما كان يسمع به كيريلوف من شهامة وصبر ، فانه
لم يستطيع ان يتفق مع اية فكرة ، وانما اطلق الرصاص على نفسه ،
الا ان ستافروجين يعلم انه لا يستطيع ان يقتله .

« لا استطع ان اتفق مع اية فكرة ، الى ذلك الحد نفسه ، وليس في استطاعتي
فعل ان اطلق الرصاص على نفسي . »

الا انه مع ذلك يتحير ، بالرغم من ان الانتحار لا يراه املاً ما :
« التي اعراف ان ذلك سيكون ضيلاً لا آخر ، في سلسلة لانهاية من الضلالت .
لا شيء حقيقي . ولهذا فانه لا يملك شيئاً يعيش من اجله ، ولا يملك
شيئاً يدفعه الى الموت

« لن يكون حتى أقل نفاعاً مني ... التي أعرف التي يجب أن أقل نفسي ، وأنه أفضل نفسي من الأرض كآفة حشرة كرمية ... »

الملك نجد دوستوفسكي يقارن البشر بالحشرات دائماً : « يمكنك أن تتذكر في ذلك كثيراً من صفاته . ويشبه هذا الموقف موقف همنواي أيضاً معظم البشر ... يقولون كالمحيوانات » : ومقارنته كاترين بازكي بالمثل على قطعة مشتعلة من الخشب . لا أمان هناك ، أما حياة البشر فهي عبث ، وهم لا ينجون برفقة غنيقة .. وإنما بنواح خافتة ، أما حين يلهمهم أمان ماء ، فإن ذلك يعتمد على مدى قابليتهم واستعدادهم لترك العواطف تعمي أعينهم . هذه هي حالة ستافروجين ، وأنه ليكره ذلك ، ويريد أن يتنفس الهواء الطلق ويشعر بعنف قوته الذاتية . ولكن كيف ؟ أبأن يفعل الخير ؟ ذلك امر بعيد عن الموضوع ، لأنه يرى عمل الخير مجرد لعبة ليس فيها غير ربح عاطفي ، ليس فيها غير الإعجاب بالنفس . ألم بأن يفعل الشر ؟ أن اعترافه ليس غير وصف لمحاولاته في عمل الشر ؟ ولا يلوح ذلك عبر عت متعبد عن كل ما يثير المشاعر ، كيموت دوريان غراي ، ما عدا أن دوريان غراي إنما يبحث عن اللذة والشهوة ، وكذلك ستافروجين ، فإنه يتجرد من كل الاخلاق ، ويسرق احد كتاب الملك من آخر روبلته ، ويقصد طفلة في العاشرة من عمرها ثم يغرمها بقتل نفسها . وتقوم بذلك عبر مبركة فلا يتمتع بها . وهكذا ، فأننا ما أن نقرأ الاعتراف حتى نشعر على ستافروجين . نرى لماذا لا يتخلص من محيطه المتهالك ، ويكتشف كم هو قوي ذلك الدافع إلى الحياة الذي يتميز به الجسد ؟ أننا نشعر أن عشر سنوات في سربيا عندها أن تعلم قيمة الحياة ، وأنا نجد أن دوستوفسكي يقدم هذا الحل فعلاً لطفل آخر من أبطاله مع لظافته بأن تعمي عينيه ، وذلك في قصة « الاخوة كارامازوف » .

إن ستافروجين يقن بأنه سبب الحياة من اقصاها إلى اقصاها فوجدتها كلها خواء ، في حين أنه إنما كان هو نفسه هذا الخواء . أنه يفشل في استعمال قواه العقلية للاجابة عن هذا السؤال : لماذا تفضل الأشياء الحية الحياة على الموت دائماً ؟

لقد أخطأ ستافروجين المذهب . إلا أن مخالفته لم يكن بشيء في الحسنى ، لأن

الرجل الذي وقف أمام قرعة الرمي متعباً لساعة اعدائه في ميدان سينونوفسكي يمزق كل شيء عن الحياة . ونجد راسكولنيكوف في « الجريمة والعقاب » يفكر بما يلي :

« ... يقول اخذ المحكوم عليهم بالاعدام ، أو يفكر حين لا يبقى على موجد اعدائه إلا ساعة واحدة ، بأنه إذا كان عليه أن يجنا على صنعة عالية ، ذات حافة ضيقة ، له منها موطنه قلبه فحسب ، يحيط به البحر ، والظلام ، والوحدة ، وإذا كان عليه أن يقف في ياردة مربعة فقط ملوك حياته ، أو ألفت ست ، أو حتى الأبد ، فإن ذلك كله أفضل من أن يموت الآن ، أن يعيش فقط ، يعيش ، يعيش ، معها كانت الحياة ... »

وعلى التيقن من ذلك ، نجد روليا سفيدريكابلوف ، الشهواني المجرم الذي لا يعرف ما إذا لم يكن الأبد أيضاً زاوية مزبة في عزة ضيقة ، ملوثة بالعناكب وأنسجتها . ويطلق سفيدريكابلوف النار على نفسه ، في حين حد راسكولنيكوف العدة لتحمل عشر سنوات من التي في سربيا ، ذلك النبي الذي سينعه من بين الموتى .

أما في « الشياطين » ، فإن ستافروجين يمثل ذلك المجرم الشهواني الذي لا يفهم الأبد ، ما عدا ما يسعفه به وجوده الكثيب الحليس من يقاهم هذا الأبد . أما كيريلوف ، المصاب بمجنون الانتحار ، فإنه يقتل نفسه أيضاً ، إلا أنه بذلك لا يكتشف طريقاً للخروج من كابوس اللاخقية . إن كيريلوف يمثل أعلى درجوات القصة ، وهو ينتظر الإشارة من نيشايت ليقول نفسه ، إلا أنه كان قد مرر ذلك نفسه ، أما آسياه في ذلك فهي لا الثانية المطلق . لو كان الله موجوداً ، فكل شيء هو رهن إرادته ، وإذا لم يكن موجوداً ، فإن كيريلوف هو الله ، وعليه أن يظهر إرادته بالوصول إلى حل نهائي لا يمكن رده فقط ، إلى حل أكيد نهائي ، وذلك هو الذي يقتل نفسه

« لأن الإرادة ملكي ، نرى ، أليس في هذه الأرض انسان واحد ، انتهى من شكك وجود الله ، وأعلن بإرادته هو ، تلك الشهادة الكافية لتعبر عن إرادته

الذاتية في أهم مظاهرها ؟ أنه يمثل الشجاذ الذي ورث ثروة كبيرة ، إلا أنه يخاف منها . (٢٣)

لقد انتهى كيريلوف من أمر الله ، لأنه لا يستطيع أن يؤمن بأي مبدأ خارجي أعظم من حقيقته الذاتية . ويقول كيريلوف في هذا : « ولو كان الله موجوداً ، فإنه يجب أن يكون حقيقة خارجية ، مثل جبهوها ، إله العهد القديم . » أن منطقته الوجودي ينشأ مثل هذا الآلة ، ولهذا فإنه على التيقض من يدو لورنس الذين لا يستطيعون أن يجدوا إلهاً في قلوبهم ، وإنما كانوا يعتقدون بأنهم موجودون في الله . إلا أن كيريلوف لا يؤمن حتى بالله في ذاته ، لسوء الحظ .

الإ أن القرار الذي يصل إليه كيريلوف ، من أن الحياة لا قيمة لها ، إنما به الإدراك الذي كان يشده . بمقارنته مع إرادته الخاصة . وقد حصل على الانفصال الثاني دون أن يشعر بذلك ، الانفصال الذي يشبه التلألؤ الذي . ولما كان مستعداً للتخلي عن حياته في أية لحظة ، فإنه استطاع بذلك أن يجنب حياته الشجاذ التي تفيد أعظم البشر بقلوبهم . لقد جطم « الطبيعة التي يلمعها الفكر » . وهو يسأل سافروحين قائلين :

« هل رأيت ورقة - ورقة في شجرة ؟ »
« بل . »

« لقد رأيت واحدة في الأيام القريبة الماضية - ورقة صفراء - صفراء قليلاً ، ذابلة على الخافة ، تعانها الرياح . لقد كنت أغتنى عيني ، حين كنت غلاماً ، إذا جاء الشتاء ، وانصهر ورقة الخضراء ، فأبيض الغروق ، والشمس تسطع عليها ... »

« ما هذا الكلام ؟ أرمز به إلى شيء ؟ »

« كلا ، لماذا ؟ أنني لا أرمز إلى شيء . » « أنني أفتقد ورقة فحسب ، والورقة شيء . » يمثل قبة الخير ، كل شيء . يمثل فيه الخير .

« كل شيء ؟ »

« أجل ، كل شيء . » إن الإنسان يحس أنه هو سعيد لأنه لا يعرف أنه سعيد

« صوره على الخراف »

فعلًا ... أما من يعرف ذلك ، فإنه يشعر بالسعادة جالاً ، مباشرة ...

« وماذا عن الإنسان الذي يموت من الجوع ، والإنسان الذي يفقد

ويقتل غلة صغيرة ؟ يرى هل يعتبر مثل هذا الإنسان خيراً أيضاً ؟ »

« أجل ، أنه لكذلك ، بالإضافة إلى أن من يقتل نفسه أسفاً على تلك

القناعة هو أيضاً خير . كل شيء خير ... »

« ترى متى اكتشفت أنك سعيد إلى هذه الدرجة ؟ »

« أنا ؟ لقد كنت أسير في الغزقة ، وفجأة أوقفت الساعة ، وكانت

تشير إلى الثالثة إلا ثلاثاً وعشرين دقيقة . » (٢٤)

لقد كان دوستوفسكي شديد التأثر بالقطع الذي يدور عن « الأخوة » :

« ووقفت الملائكة التي رأيت على البحر ... ورفع يديه وأقيم أن لا يكون

فناك زمن بعد ذلك ، وإن ينتهي عروض الله ... » (٢٥)

من المحتمل أن يكون دوستوفسكي قد شعر « باللحظات الزمنية » في

اللحظات التي كان يرى فيها رؤاه مباشرة قبل أصابته بوبانه العصبية .

واليك بعضه لأحدى هذه اللحظات ، كما جاء في « الاخوة » :

« وفي اللحظة التالية ، لاج وكان شيئاً يتغير أمامه ، ويطبق شعاع يدب

يسرع في روجه ، واستمر ذلك نصف ثانية ، إلا أنه لم ينس أن يسمع نواحاً جرساً

غريباً صدر عنه هو دون إرادته ... ثم غاب عن وعيه ... » (٢٦)

تشبه هذه اللحظة (لحظة النور الداخلي) لحظة نبشته التي أحس فيها

إيراداته الحرة ، التي لم تعد تخضع لتربكها ... وهي تعبر عن إرادته ووعيته

في أن يموت ليفصح بذلك عن عظمة إرادته وعن قابليتها على فعل كل

شيء . ويمكننا أن نقول إلى ما كتبه القديس يوحنا أيضاً :

« ونعاليه ، فإن الروح التي تسبح فيها على الأشياء المختلفة ... لا تستطيع

أن تحصل على الاتحاد بوجود الله الأبداني : لأن ما ليس موجوداً لا يستطيع

لقد حقق كيريلوف رؤيا القدس بدون أن يلجأ إلى الدين أو الإيمان بالله ، وقد جعله انفصاله التام شيئاً روحياً ، فعاش دائماً في تلك الرؤيا المذركة التي لم يعرفها ميركوف إلا في ليلة اعدامه : «لقد كنت سعيداً ، والتي ما زلت سعيداً ، ولم يتوقف دوستويفسكي ليبحث أو ليوضح هذه النقطة ، وإنما جعلها على شكل قصة ، وما هي القصة تقرب الآن من نهايتها ، وكل شيء فيها يتحرك بسرعة إلى هذه النهاية ، ويصل في الصفحات المائة الأخيرة إلى تركيز نبوي شديد لم يصل إليه كاتب آخر في عالم الأدب . كان نيتشايف قد قرر أن يقتل شاتوف ، ويحرق المدينة ويقتل زوجة ستافروجين الضعيفة العقل ، وأخاها الكبير ، وكان على شاتوف أن يقابل «خسة وفناء» في مقاطعة ستافروجين ليستمع المطبعة السرية . إلا أنه قبل أن يطلاق في سبيله لإداء ذلك تصل زوجته وهي في الأشهر الأخيرة من الحمل . وكانت قد هجرته منذ ثلاث سنوات ، أي بعد أربعة عشر يوماً من زواجها ، لتعيش مع ستافروجين . وبهرع شاتوف ليقترض مالا ويبحث عن قابله ، وما أن يولد الطفل ، وينظر إليه شاتوف حتى يدركه الألم ويصرخ بعض فتنم : «كان جنائك شخصاً ، أما الآن فهناك ثلاثة كانتات حية من البشر .. روح جديدة تامة كاملة ... وتفكير جديد .. وجيب جديد .. ذلك يعني .. ليس هناك في العالم شيء أكبر من هذا ..» (٢٧٧) ثم يصل أحد الرفاق ليعتصمه . ويسأل شاتوف : «بيتا ، كانا يسيران في الظلام ، أليس كذلك ، هل شعرت يوماً بالسعادة ؟»

أما القتل الذي يعقب ذلك - لمعله أفلح حادثة في قصص دوستويفسكي كلها - بل إن القارئ يشعر بأنه لا يستطيع احتمال القصة أكثر ، بعد أن شهد مشهد مؤلم الطويل . إلا أن أعمال نيتشايف لم تنته بعد . فيعد أن ترمي جثة شاتوف في أحد المستشفيات ، يذهب لمقابلة كيريلوف . لقد جاءت الآن الساعة التي يجب على كيريلوف أن يقتل «خسة» فيها من أجل «التخالف الثوري الأوروسي» ، إلا أنه مشغول من الرغبات يجب أن يسيئ ذلك . ادعى كيريلوف أن يكتب ورقة يعترف فيها بالانحياز ، يقر فيها بأنه هو الذي قتل شاتوف ، ويعمل المشهود ثانياً

أولاً ، «التوثر الثرمافانيكي» ، الذي لا يشارعه فيه أي عمل أوروسي آخر في تلك الحليمة ، ما عدا مشهد القتل في «الجرعة والعقاب» . ويضع دوستويفسكي في البداية بأن كيريلوف لن يفعلها ، فيجته على الادلاء بأسباب انجازه ، وهكذا يقنع كيريلوف بذلك ، فيطلق هذا النار على نفسه . ثم يبتشاييف يجد أن يقسم أصابعه الذي عنه كيريلوف مندبه ، «القطار يخرج المدينة بازكاً وراءه مدينة يذهب» وثلاثة قتل ، «الآن القتل لم يتم بعد» وأما شهداء فقط نهاية «الشعب المنسحق» ، ولم يجد نيتشايف مهرباً في القصة . وإنما كان يمثل دور «أياكس» ، «لأنه لم يكن لامتصياً» ، أما أهم شخصيات القصة : «فانه ميت» ، «غرفة متهللة» ، «المسدس ما يزال في يده» ، «وتجده زوجة شاتوف في الصباح» ، حين تخرج باخنة على زوجها .

ويستحق الكابوس «بله الدراسة الأخيرة الكبيرة التي قام بها دوستويفسكي

من الداخل .

أنا فكرة القصة قبيلة ، إذ نجد ميتا وأباه الشرير الشهواني يتارع
أمامنا الآخر على حبة فنانة واحدة وسين يقتل نعيم دياكوف ، شقيق
نورا اللاشعري ، أبا ميتا ، تحوم الشكوك حول ميتا ، فيقبض عليه ويرسل
إلى سيرا (في حين يتحرر نعيم دياكوف) .

والجانب هذه الفكرة تجد فكرتين الخريتين ، مرتبطتين بالبيان والبوشا .
فقد إن البوشا يمتاز بطبع فان كوخ الأزعاجي ، إلا أنه . ولحسن الحظ ،
الملك الثمين ويفهمه في وقت مبكر . ونحن نراه في بداية القصة قليلاً
دياً في أحد الأديرة المحلية (مثل فلاديمير يفل بارويس) ، أما البوشا
فإنه يصايه برجة عقلية تسيبها وفاة الأب روسي ، ورئيس الديور الذي
يخدمه البوشا تكل القديس ، وينتهي الأمر بالبوشا ذليلاً إلى العالم (مثل
نورماند وكليست) ليبحث عن خلاصه .

تتم قصة إيفان الثانية ، لأنها تجده لامتياً عقلياً ، يفكر أكثر مما يجب
الجميع بالحياة . ونجد في إيفان ، بالإضافة إلى ذلك ، شيئاً من قسوة
النيكوليكوف . في حين نجد أن أخاه اللاشعري نعيم دياكوف يجد حياً
جداً وقلة في كل شيء ، مما يذكرك دائماً بأنه لا يتبع إلا شخصين
في الحياة العقلية ، أي أنه ليس غير الجسد والحق الكبير . على أنه
لا يفتقر إلى ، لا يفتقر . وإنما يستلهم دوستويفسكي لطرح السؤال التالي :
هل الشيء يحدث حين يؤمن الإنسان بأنه لا يستطيع أن يعيش الحياة ؟ أما
الشيء الذي يحدث على شكل تجد لعدم إقناعه ، فيرويه الشيطان

والمعنى دوستويفسكي والاختراع كارامازوف ، وأما أنه لم نغير تماماً إذا كانت
الشيء الذي يحدث هو دائماً أنه أفسد . وأما يقل لنا ماذا فعل البوشا حتى
يصل إلى العالم . وكان حراً بذلك . وهو معصوم بملحق القصة . إن بعض
من دوستويفسكي السوء ، إلا أن دوستويفسكي يخدم لنا القصة في ذلك عمله
في الحقيقة بعد الإحصاء من الحل الذي لم يجرى له أبداً ، فإنا نعلم ، بدلاً من

الفصل السابع

التركيب العظيم

تعتبر ، الأخوة كارامازوف ، أعظم محاولة قام بها دوستويفسكي لبحث
مشكلة اللامتنى . وقد رأينا كيف أنه بدأها بلامتن من نوع يارويس -
الإنسان الصريح . اللاشعري : الإنسان تحت الأرض الذي لا يستطيع الخلاص من
اشتهائه من حق الجنس البشري - وظل يتبع قاعدة أن خلاص اللامتنى هو
في التعرف على خلق ، نيكوليكوف ، ومشكين ، وسنام وجير الذين يسمون
لامتن يعرفون من هم وابن كانوا ذاهبين . أن للتطرف في الجريمة والتطرف
في الزهد ، القتل والبلد . أولاً ، كلاً من شروط اللامتنى من زودوه
الاسامي وكذا يمكنه من الوصول إلى مشكلة إلى مرحلة أعلى .

ويستعمل دوستويفسكي في الأخوة كارامازوف ، كل ما تعلمه سابقاً من
اللامتنى . بدأ نوري في وقت واحد الإنسان الصريح . ورومان نيكوف ، ومشكين
تتبعون في هذا التركيب العظيم ، أنهم الأخوة اللاشعري - ميتا ، وإيفان ،
البوشا - أفسد ، والعقل ، والشارع . هذا كارامازوف دوستويفسكي نفسه (أفسد)
من النوع العقل . هناك إيفان هو الشرير شمع في كل أول في هذه القصة التي
تتم (أول) قصته . وجد في إيفان أن مشاكته ، بدلاً من ، هو إيفان

«... لو كنت حدثت أماني بنظام الأشياء ، ولو كنت مقتنعا بأن كل شيء مضطرب لعين شيطاني ، أو كبحه الله تعالى ، ولو اضلني كل ما يصيب البشر من رعب وخيبة أمل ، فاني لم أخطئ عن رغبتي في الحياة...» (١)

واليك نية الإنسان الطبيعية التي يربكها الفكر :

«أود أن اسافر إلى أوروبا باليوثا ، والتي لا أعلم أن أوروبا ليست غير مقفرة في هذه الأيام ، إلا انها مقفرة فينا راحة . أن أولئك الموتى المضطربين فيها ينطقون بالحياة المنتهية التي عاشوها في الماضي والآن الذي أقوا به المحلوم... سأعطي بروحي هذا الشعر ، التي لعب الأوراني في الربيع ، والسلام الزرقاء - وهذا كل ما في الأمر . وليس هذا من اختصاصات العقل أو المنطق - انه الحب الصادق من أعماق الإنسان ، من الحياة ، وخبية اليوشا قائلا :

« انظر ان الحب يصعب ان يحيا الحياة أكثر من أي شيء آخر في العالم إلا التي تسلك أعني الحياة دون ان تفكر في معناها »

« بالأكبر » « يجب أن لا تتم بالمنطق ، لأنك اذا أحببت الحياة حقاً استطعت ان تفهم معناها بصورة لا مباشرة »

ونستطيع من هذا ان نرى كم قطع دوستوفسكي شوطاً بعيداً عن رغبة لويس من « عدم وجود شئ أو حدث في الطبيعة » . ان الحياة تكمن وراء الأسرار ، التي يعرف الانسان هذا ، اما غرضه فهو ان يمسك بالحياة بعزله فيها محالها . ان يخلص عليها بأن يفعل البورجوازي الممكث ، الذي وان يريد يرفع الحفرة . وقد استطاع ايدي ان يحل نصف مشاكل اللاهوتي الرئيسية ، ويدرك اليوشا هذا فيقول له :

« لقد أحسب أصعب واجبك ، عليك الآن ان تقدم بأشياء نصف الثاني »

« أي نصف آخر »

« ان نعد هؤلاء الذين من المنحرف ان لا يكونوا غداً ماواً بيدي » (٢)

« اليوشا على حث ، إلا انه لا يدرك عظمة مشأه ، بعد الموت » « في حين

يرتفع إيفان ذلك . ونجدة لدى إيفان ، بالاضافة إلى ذلك ، شيئاً من استناعات الراهب :

« اني أقبل الله ، وأقبل حكمته ، وهدفه ، الذين لا يعرف عنها شيئاً ، التي أؤمن بالنظام ، والمعنى الكامن في الحياة ، وبالوقوف الآتي . وأؤمن بالكلية التي يتشدها الكون ويتأصل من اجلها . . . ويلوح اليي أسير على العاقبة المستقيم الآن ، أليس كذلك ؟ - إلا اني في النتيجة لا أقبل عالم الله . »

ثم يبدأ البحث العظيم ، أو بالأحرى التفكير الذاتي العظيم ، لأن إيفان هو الذي يقولته وحده ، ان ما يبحثه إيفان الآن هو صورة تحقيق النصف الثاني من أجل ، اما فكرته فتدور على القوة والشقاء ، فتحدثت صفحات طويلة عن القوة من الاطفال ، ثم ينتهي إلى النهاية السابقة فيقول : « ليس الأمر الذي لا يقبله الله يا اليوشا ، وانما أعيد إليه بطلاقة الدعوى دون ان استعملها »

« انه تحت وجودي ، كما انه لكي يكون في استطاعتك ان اني على القوة ، يجب أن يكون لديك أساس » في حين ان إيفان يعتبر الغياب الذي يعانيه الطفل اليأس كافياً لزلزلة أي أساس . لقد صرح لورنس بأن عذاب الجسد لا يستطيع ان يؤثر على الإرادة ، ويمكن أن تغير هذا أساساً معقولاً ليتم البناء عليه ، وهذا الاساس هو ان يربك الانسان . ولكن ماذا عن عذاب الاطفال ؟ اذ لا يستطيع الطفل ان يبدل شيئاً من قوة الإرادة ، ان عذاب الاطفال موجود ، لا يمكن انتقاصه او حله عن طريق التوافق الكوني ، او النظام .

ويذكر اليوشا بأن ذلك ليس جلياً معقولاً ، وربما يقر بذلك ، ولكن ماذا عن المحاول غير العقلية ، كالحمل الثاني الذي يقضي به المسيح الموت لكي يزول العذاب من العالم ؟ ان استطاعة إيفان ان يربح من ذلك ايضاً ، بالاستطورة التي يزورها عن المنتش العام . (٣)

يقول إيفان لليوشا ان المسيح عاد إلى الأرض مرة ، في اشيلية ، الا ان المنتش العام التي القيت عليه ، وادسه السجن ، ثم واره في الليلة ذاتها في سجنه الأخير ، لماذا لم يسمح له بواسطة تعاليمه في اشيلية . واليك ما قاله للمسيح :

وإية رسالة جئت بها في فلسطين ، أي في يكناح البشر من أجل حرارة الفكر
 وقررة لا وأن يكون لديهم إرادة ذاتية ليبركونا أن نملكه الله حي فيهم ؟ وإن
 لا يكونوا قاضين بكونهم شرراً ، وإنما يجب أن يتأصلوا ليكونوا أبناء الله ؟ لقد
 جئت بعاليم جديدة فيها يخص السلوك الانساني لم تكن موجودة في كتاب العهد
 القديم . واخضت أن الوصايا العشر . ثم تركتكم لنبي كريمة على تعاليمك ،
 إلا أن النبي الذي لم تدركه هو أن البشر ليسوا جميعاً أبناء أو حائقة أخلاقيين .
 إن واجب الكرامة ليس محصوراً في نطاق أولئك الذين يكون لديهم من قوة
 الإرادة ما يدفعهم إلى تشدات الخلاص . إننا جميعون بوقع مستوى البشر . ولا
 يمكننا التفضل ذلك أن نقول لكل إنسان : كن أنت كريمة نفسك . كما فعلت أنت ، لأن
 ذلك يعني أننا نقول لكل إنسان : كن لامتثال الأمر الذي لا يرضي الله لأن مشاكل
 الامتثال غير قابلة للحل ، وغير الطيقة المحذرة . تعرف ذلك جيداً . لقد
 وفقت من المشوي أكثر مما يجب ، وتبين علينا أن نهبط به من جديد ، أننا
 ونحن الطيقة المحذرة . لا نسمع بالسعادة ، لأننا نأفرك صعوبة بلوغ الخلاص .
 إلا أننا احتفظنا بذلك سرراً دعيماً ولم نطلع عليه بعداً من الناس . قدس ليسوا
 أفضل من التفضل أو الكلاب . وهذا أنت تعود ثانية ، متدبراً بأنك متدخل من
 ذلك ، قهول نظري أنني صاحب لك بذلك لا بل أنني الخشي أن أكون مضطراً إلى
 انقذاك ، وليس هنا خطائي ، وإنما خطوك . الأفضل للإنبياء أن يكونوا أدواتاً ،
 أما إذا كانوا أبناء فلا غفر من الحرافيق أو صليهم .

وَأَمَّا بَشَرُ الْفَتَى الْعَامِ مِنْ كَلَامِهِ حَتَّى يَبْلُغَ إِلَيْهِ الْمَسِيحُ وَيُشَلِّقَ عَلَيْهِ
الْبَاسُ وَيَقُولَ لَهُ : كَلَامُكَ يَعْطُولُ وَقَوِي : أَلَا إِنَّ حَبْرَةَ الْعِظَمَاءِ

ألا أن أجد شجرة صلاحية في وجه الدين بتقوية لم يعدها لها أحد قط ولا تعلم
أدوات الحب المسح لا تشكل إلى يكون جلاء ، وكلاهما في دوستويستكي من
كثافة الأخوة كالأمازوف ، هو أن يحل الكيف لكي يقصده ، ويقود النقاد إلى
هذا أن من دوستويستكي قلب بلير مرقعة في هذه البصية ، فهو من حالة البصير
معدة الحبل دسما لأن يعرف جلالاً بأن المادري العلم ، علم جماعة ، في إقامة

747

هذه الحالة المفاسدة في فصل - الرابع الرومي - لا يمكن ان نقولها من حيث القوة والانتفاع ، ولكننا يجب ان لا نخطئ بين التأثير الروماني في العقل في هذا البحث وبين حقيقة الإثارة . ان ما قبله انما هو انه عاز عن العلم النهائي التي دفعت لورينس الى الانتحار العقلي ، وفان كوخ وبوشه سكي الى الجفون . وقد قبل دوشيفسكي هذا بوشوخ وقوة جعلاته متوقفة . انك تتدبر دائما قبل ان تنطلق الى ما فيه من دفاع عن الدين ضد الكفر . ان هذه السمة تعتبر أروع ما يمكن ان يكتبه اللاتيني عن قضيته . ان العبارة ان يبينها عن اللاتيني نريانا آياه . اقلها في منتصف الطريق نحو نوع اتصال من الاسلاك . نوع ارقى من الشرط المألوف مرة واحدة . مبدأ من ال ابراع التوراة العصبية ، قليل اليوم - قليل الطعام . الا اننا وجدنا من حلقنا قلبي اللاتيني وحالة التور العصبية التي تلازمها انها يصير اقل من كونهما . انهم جارية تحية الانسانية واماهاما بالحسن . انهم انما بالمتنصف الثاني في الفصل الخامس .

[illegible]

لقد بحث دوستوفسكي الأمر من زاوية الحرية ، وقد صرح الانسان الصريح بآرائه في ذلك حين قال : « ان على الانسان ان يثبت انه انسان ، وليس قطعة في الآلة الكبيرة » . ان الحرية تعني الحياة ، ولهذا قلنا لا تعني شيئاً بالنسبة الى روح من ادراج المكتب ، او الى جسد ميت ، وهي تعني بالنسبة الى شجرة اقل مما تعنيه بالنسبة الى انسان ، وبغض الطريقة قلنا تعني بالنسبة الى المدمن على الخمر او المخطوئات اقل مما تعنيه بالنسبة الى الانسان الصحيح القوي ، اي انه كلما زادت الحياة شدة ، زادت امكانية الحصول على الحرية .

والآن يمكننا ان نفهم ما قصد اليه ايوان بوضوح . اذ نجد ان اقواله تلك انما تصل الى ما وصل اليه جيس من انه لا حرية هنالك . انه يقر بوجود الحياة . كما انه يحب هذه الحياة ، والاراعم المتفتحة في الربيع ، « الا انه لا يستطيع قول اي معنى لها » . انها موجودة فحسب ، وهي ليست غير فوضى شيطانية لا معنى لها . ويرسم لنا ايوان في معرض حديثه عن انقوصة على الاطفال صورته البشعة للطبيعة الانسانية : البشر اساقبون اكثر مما يحب ، ناقهون ، ضالون ، اما الذكاء الذي يحب ان يحرمهم كثير عن خبرتهم من الحيوانات قلنا انما يجعلهم اسنة وحشية من هذه الحيوانات (كما يقول فيستوفليس) . ثم ينتقل ايوان الى المسيح ، وهنا نذكر ما قاله كبريلوف لينشأيف : (٤)

« اصبح حديث الفكرة العظيمة : كان هنالك يوم في هذه الارض ، كان في وسط الارض صلبان ثلاثة ، وكان لدى احد هذه الصلبان على هذه الصلبان الثلاثة من الاتقان ما يجعله يقول لصاحبه : شكوك اليوم معي في الجنة ، وانتهى اليوم ، وماتت كلمة الرجائي ، سالا ان احداً منها لم يجد الجنة ، ولا واحد البعث .

اصبح ، لقد كان ذلك الرجل اعظم الناس على هذه الارض ، ولهذا فان هذا الكوكب يعتبر جنوفاً محضاً بدون هذا الرجل ، ولهذا قلنا لم يستطع الانسان الطبيعية ان تحتفظ حتى ولا بهذا الرجل ، والما تركته هو نفسه بعض بين الكاذب ، ويموت من اجل كذبة ، فان الكوكب بجمعه ليس الا كذبة ، ويرتكز على كذبة وسخرية خفاء . »

ان ايوان يؤمن بأن « ذلك الرجل كان اعظم الناس على هذه الارض » كما ان الاسطورة التي يرويها عن النفس العام تعتبر تفصيلاً لكلامه . ان النفس العام رجلى يتنازل بالادراك الروحي . وكان قد اشرف على الموت جرماً في الصحراء من اجل الحرية ، الا انه « كما يقول ايوان » ، « ان ذلك لم يكن من السعادة والراحة ، وانه لا يستطيع الحصول على هذين الامرين معاً » . الحصول على الكمال ما دام يعتقد في الوقت نفسه : بأن الملايين من مخلوقات الله اذ حلقوا كدعاية ساخرة ، وان هذه الملايين النعمة من الثائرين لا يستطيع ان يكون خالقة . « ان النفس العام تأخذ الشفقة على الجنس البشري . واعلم ان امثال اللائماني ان نفس باعق ما في شقاء البشر من معان ، اما بالنسبة الى هذه المخلوقات المسكينة التي تعيش حياة عمياء ، فمن هو الذي يسبح لها اجلها على هذه ديارها وشقاءها ؟ وما هو شعها ؟ اعط هؤلاء البشر خيراً وسيرة وهدى وبعض العفائف الضعيفة ليكافحوا من اجلها ، وبعض الخرافات السخيفة ليؤمنوا لها مستحسوم في الليل . ولكن لا تطلب منهم حكمة ، لقد سال المسيح من من يستطيع ان يشرب من القلح التي شربت منها لا الا انه تعزف عما يوحى به . بل ان البشر يستطيعون ان يفعلوا ذلك جميعاً ، لقد قال : « ان النور الذي اجعلته سهل ، والعبء الذي حلقه يسير » . الا انه كان كاذباً في ذلك ، لان الحرية تعتبر أثقل الامور جميعاً ، ولم تكن تعاليمه تعني الا عليه الحرية ، اذ انما امر الناس بأنه يجب عليهم ان يفكروا لانفسهم ، وان يفعلوا الى حل يصعد حشدة البشر والشر وان يعملوا على خسر ذلك الحل ، وان يعيشوا من اجل الحرية ، لا من اجل الاموات ، او المجتمع الذي يترشدهون فيه ، او هؤلاءهم ،

١ . فان هذا الفصل الذي من صيرورة فيستوف . الشبهات الثلاث

٢ . كلام ايوان من وجهة نظر

٣ . ان ذلك من وجهة نظر

٤ . ان ذلك من وجهة نظر

يمكننا أن نجد شيئاً قريباً بين رؤيا اليوشا ورؤى أشخاص آخرين
 مثلنا منهم في هذا الكتاب . مثل مرسول ونشئة . ترى ما معنى
 رؤيا اليوشا لا اذا تذكرنا رؤيا نيشة . للإرادة الحرة التي لا تربكها
 حيزات العقل . فانا نستطيع أن نقول إنها رؤيا للقوة . لا نعم .
 ان عقل الانسان يتألف عادة من ادراكه لحاجاته المباشرة . ويمكننا أن
 نعرف ذلك بأنه ادراك لقواه الخاصة التي تمكنه من تحقيق تلك الحاجات
 وهو يستطيع أن يخبرك بما يريد أن يفعله في أقل من نصف ساعة .
 أو يوم أو شهر لا أكثر ولكنه لا يزال نفسه : « ما هي حدود قواي ؟ » .
 يشبه انساناً يملك ثروة في أحد المصارف . الا أنه يزال نفسه : كم من القود
 أملك ؟ وأما : هل أملك ما يمكنني أن أنشري به جيباً ؟ أو ربطة جديدة ؟ . الخ
 أما اليوشا فإنه يترك هذه الأمور كلها جانباً ، في تلك اللحظة ، ولا يفكر في
 قوته بمقدار ما يستطيع أن يفعل ، وأما بمقدار وجودها ، ولما كانت الأشياء التي
 يفعلها هي التي تضر ما نحن عليه ، فإن هذا الجهد الى كل ما يملكه الانسان من
 فعالية يميل الى أن يتعدى حدود الشخصية . وكل : حيزات العقل .
 انه بعبارة أخرى رؤيا « للإرادة الحرة ، والإمكانية الحرة . وتحتفي
 الشخصية مؤقتاً . وهذا هو أهم جوانب الرؤيا .

وفي الوقت نفسه ، طبعاً ، يترك اليوشا حقيقة أن رؤياها لا تكون
 مرصفاً أيضاً : أن كل شيء غير : أما الشر فهو العبودية الدائمة . وهذا
 مما يوحي بإمكانية الحرية الدائمة .

وقد رأى ميتا رؤيا أيضاً ، وكما نتوقع . فان رؤياه تختلف تماماً عن رؤيا
 اليوشا . اذا ليس لدى ميتا شيء من ضبط النفس . كما أنه أناني جداً . ولكن
 يهرب من هذا السجن أي من سجن أنانيته . يجب عليه أن يكون لامتناهياً . انه
 عليه ان يكشف انه في عالم ملو بالشفاء الى درجة ان واجبه الاول هو أن يحب
 فقط . وليس ميتا شريراً أو أنانياً من الناحية الجوهرية . ولما كانت مشكلته
 انه لم يفكر في أحد آخر غير نفسه ، وقد غلبه الشهوة لثلاث الشابة الروسية التي

أحبها ، والتي . كما يقول المؤلف ساخراً : سوف تسمن بفراط في أقل من
 عشر سنوات . اننا نراه منهاً يقتل والده وسرقه تقوده ، ثم يعقب ذلك
 مشهد طويل يقع في أكثر من خمسين صفحة نراه خلالها يقاضي الأميرين
 بما يشبه « اختبار الصليب » ، فيعيش حياة تامة للغاية ، وتجبره هذه
 الحياة ويولوج وكأنه قد كل ما يربطه بالواقع . ان السطور التالية لتدل
 على مقدار ما لدى دوستوفسكي من براعة فنية ومقدرة رائعة :

« وشعر بضيق شديد متزايد بسبب احاسه بضعفه الجسدي ، وألم
 عينيه تعباً . وأخيراً ، انتهى سؤال الشهود ، ونهض ميتا مبتعداً عن المقعد
 الذي كان يشغله في الزاوية ، قريب الثائر ، واضطلع على صندوق كبير
 مغلق بقطعة من القماش . ولما مياشرة .

« ورأى ميتا حلاً غريباً ، بعيداً كل البعد عن كل مكان أو زمان يمكن ان
 يعينها أي انسان لحذوه . لقد رأى نفسه راكياً في عربة صغيرة يجرها حصانان ،
 ويقودها فلاح ، وكانت العربة تجر بها وسط مراعي شعر ميتا بأنه كان يعيش
 فيها منذ زمن بعيد . وكان الثلج في كل مكان ، بل كان ينهمر من السماء
 انهاراً ، وشعر بالبرد . كان ذلك في اوائل تشرين الثاني ، وكان الثلج يساقط
 سلساً كبيرة لدية ما تكاد تسقط على الأرض حتى تدوب ، اما الفلاح فكان يقود
 العربة في دعة ، وكان ذا طلة طويلة جميلة . وعلى معدة لاحت قرية ، واستطاع
 ميتا ان يرى الكواخيم السوداء ، التي كان نصفها محترقاً ، لم يبق منه غير بعض
 فلفل الخشب المتسخة ، ومرت العربة بالقرية ، فرأيا على طول الطريق نساء
 سالوات . ولكن كثيرات ، كلهن لحقيات مريضات ، لوحث وجوههن الشمس ،
 خاصة تلك المرافقة الطويلة ، التي تشبه مجموعة من العظام ، الا لاحت وكأها في
 الاربعين . في حين ان في ملاصقتها ما يدل على أنها في العشرين من عمرها فحسب ،
 يا أوجهها العلول النازل . كان على ذراعها طفل صغير بيكي . وبيناً لاج
 تساعداً حاداً . فانه لم يس فيها من الحب فطره واحده . وطفن للطفل
 بكي وبكي . وبعد بدينه الصغيرتين الزرقاوين من شدة البرد .

.. لماذا يكون ؟ لماذا يكون ؟
وأجاب الخوذي :

.. انه يسبب الطفل : الطفل الذي يبكي :
وتأثر ميتا كثيراً بالطريقة البسيطة التي قال بها الفلاح ذلك ، والتي غطى
بها كلمة الطفل ، وود لو سمح الكلمة منه ثانية ، إذ أنه أحس في لفظه
لها قبض من الشفقة والعطف . وسأله ميتا ثانية ، متفانياً - :
.. ولماذا يبكي الطفل ؟ لماذا أرى يديه عاريتين ؟ ألا يستطيعون أن يلبسوها ؟
.. انه شعر بالبرد ، أما ثيابه فأنها متجعدة ليس في وسعها ان تدفئه .
الا أن ميتا عاد إلى السؤال ثانية ، مفرقاً في غيابه :
.. ولكن لماذا ؟ لماذا ؟

.. لماذا ؟ ألا ترى أنهم فقراء ؟ قد احتوت بيوتهم ؟ أنهم لا يملكون
عزراً ، وهم يستجدون لأنهم لا يملكون عزراً ..
ولاح أن ميتا لم يفهم بعد ، فقال :

.. كلا ، كلا ، أخبرني لماذا تنفخ الانهات الفقيرات هنا ؟ ما الذي
يجعل هؤلاء القوم فقراء ؟ لماذا يكون الطفل فقيراً ؟ لماذا تكون هذه المراسم
جرداء ؟ لماذا لا يماثل بعضهم البعض ؟ لماذا لا يقبل بعضهم البعض الآخر ؟
لماذا لا يغنون أغاني المرح والغبطة ؟ لماذا اراهم سوداً من شدة الشقاء ؟
لماذا لا يطعمون الطفل ؟

وشعر برغبة خفيفة في الاستمرار على تلك الأسئلة ، رغم ما فيها من متحف
وفناء ، وأحس بمعاطفة الشفقة التي لم يعرفها من قبل تنفخ من قلبه ، فود لو
يبكي ، وود لو يستطيع أن يفعل شيئاً من أجلهم جميعاً ، فلا يعود الطفل إلى الكاء ،
ولا تعود المرأة التحيلة المريضة التي اسود وجهها من البؤس تبكي ، ولا يعود
الإنسان يقرق دمية واحدة في هذه الأرض ، وود لو فعل ذلك كله حالاً ، بالرغم
من كل العقبات والمصائب ، وبكل ما لدى آل كزائمزوف من اندفاع وقوة .
وسمع صوت الخوذي ، كروشينكا يقول بجانبه :

سأبكي معك . ولن أتركك متى الحياة ..
كان صوته يندفع بالعاطفة والانفعال ..

.. نأجج شيء في قلبه ، وشعر بأنه كان يكافح من أجل النور ، وناق
إلى الحياة والحب ، والاستمرار على الحياة والحب ، حتى يهتدي إلى ذلك
.. وشعر بأنه يجب أن يسرع ، الآن ، الآن ..
.. ماذا ؟ .. أين ؟ .. كان ذلك كل ما بقي في ذهنه من أسئلة معين
الشفقة ، وجلس على الصندوق وهو يشتم ، وكان نيكولاي نازغينوفش
يهدأ إلى جانبه ، قلقهم أن عليه أن يستمع إلى المحضر ثم يوقعه ، وأدرك
فجأة أن على الشفيق وسادة لم تكن موجودة عليه حين قام ، متعباً ،
مهالكاً ، وصاح معبراً عن شكره وامتنانه : من وضع هذه الوسادة تحت
أرجلي ؟ من هو الذي بلغ به العطف أنه فعل ذلك ؟

الا انه لم يعرف ذلك الإنسان العطوف - ربما كان أحد الفلاحين
الشهود .. الا أن نفسه تحرق في قبض تلك المشاعر العظيمة ، فأنه إلى
الصدفة ، وقال انه مستعد لتوقيع كل ما يشامون .
وقال للحاضرين ، بصوت غريب ، متلفظ بالغبطة : لقد رأيت حلماً
معبداً أها السادة : (٢٦)

.. استطاع ان يرى في عبارة ، وناق إلى الحياة والحب والاستمرار على الحياة
والحب ، قول الـ نعم ، الذي حقق اليوشا في رؤياه أيضاً ، والذي حققه
أخوه ، واشتاق أيضاً ، بل انه في إمكاننا ان نقارنه برؤيا راسكولنيكوف
في «المجرمة والعقاب» حين تقراء له صوتاً بعض صفحات الانجيل :
.. تحت حذات ذلك انه لا يعرف كيف ، وأذا شعر فجأة بشعور غريب
يهدأ إلى الياء نفضة على قدميه : فأنه إليها وعائى ركبتيها ، وما أن تفيض
حين أدرك ذلك وشعر أنه يخلو وجوده ، بكل كيانه . و (٢٧)

.. إلى السلام ونحن نسير هذا أيضاً . ولأنه لم يأت في حياته أن يعرف
..

الذي يشبه حماراً رآه في عصر ذهبي ، يشبه صورة كلود ، يأتلف من عز دافني ،
 وتوافق جميل بين الكائنات البشرية ، ولا شيء ، غير ذلك الانسجام الديرع .
 وفجأة تعارده ذكرى الطفلة التي استأجها وقتها ، فبعد رؤياها ، ان ميتا يعز
 عن هذا العصر الذهبي ايضاً حين يقول : «ماذا لا يغنون اغاني المرح والفرحة ؟ »
 تماماً كما عثر ايضاً منه في نهاية فصل «العصيان» ، ويحل هذا مفهوم ديموسيفسكي
 لمفاهيم الخيفة ومديرتها ، ان يضع في احدى كفتي الميزان شقاء البشر ،
 وما يلحق في الاحياء رغبة البشر ، التي لا يمكن ان تلوم ، ثم يجاوز
 تلك الرقة التي يقيدون أنفسهم بها فيسحبون نفوسهم فيها يتعلق بها من
 شغف مستعرة . يعلم ميتا ان الانسان قادر على التمسك بهذه الارادة
 الحرة على الحرة اذا استطاع ان يكف عن الشؤون الباقية .
 «ما لي ان ذبا ايقان» التي تعتبر أهم ما في هذا الكتاب ، لقد اعتبر النقد
 من انفس العلماء مثلاً جوهراً أفكار ديموسيفسكي ، ولم يهتوا بالمشي
 الذي مري فيه ايقان مع الشيطان ، رغم ان هذا المشهد يعتبر قمة لذلك الفضل . أما
 اما ثاني انشر رؤيا ايقان أبل الذي التي تصلها هذه القصة ، اذا تمكنت ان تجد في
 هذه المصنفات خلاصة لاسلحة الامتصاص الجديدة ، بالإضافة الى ما تحته فيها من
 ما هو تحت قبا بعد وكانت عمرها التطورات التي حدثت في الادب الحديث .
 ان ايقان مريض ، ويخبرنا القاص بأنه على وشك مغادرة عاصمة ذهنية شديدة ،
 وأما مجمل الى هذه النتيجة لان تفكيره الذي لا يصح سيقوده اليها حتماً ، انه
 بجمال ميروياكوف ، لجاء الضحك ، الذي يمثل جانب الفرد منه ، والذي
 يذكره دائما بالمرح المتعمد من نفسه ، ويختلص منه اعراضاً باز كتاب حرة
 القتل - الا انه يقطن راجعاً الى جوفه . وهذا حيث المشهد الذي تميل اليه ويصر

الامتصاص ذاتياً ، اذا لا تكون العبرة خالية تماماً ، وانما هناك لهم
 ذلك الآخر هو الشيطان ، وهو هنا يرثي سيرة غريفة وسيرة الأ
 حياء ، ويضطر ديموسيفسكي وضعاً لا يجد مثل ذاته ان كان باراً غير
 يصف الباعة . الا ان هذا الشيطان الباني الملامح غامضاً ، وقد قال ايقان
 لا سيما مرة ، في فصل ، ايقان الحيلة وادبها ،
 «ان ان انا اذا لم يكن هناك شيطان ، وانه اذا كان هذا الشيطان هو
 ابتاع الانسان ، فانه انما يتصوره على هيئة نفسه هيئة » .
 وتعاير الشيطان ، كما قال ايقان : انساني الملامح انساني جداً يشبه مديناً
 مضحكاً ، بل انه يشبه والد ايقان ، بالإضافة الى بعض ملامح القرية ، او ربما
 أخرى ، ملامح سميردا كروف ، فهل هو حقيقي ؟ وهنا بشر ديموسيفسكي
 قائلاً : « انه حقيقي ، تماماً مثل اي شيء آخر في عالم الأشياء الاحترافية هذا » .
 ويعتقد ايقان بأنه ليس حقيقياً ويخبره بذلك ، ويصحب الشيطان ، ويقر بذلك
 ويقول له : « كل شيء هو غير حقيقي ، الوجود انما هو ؟ الان انك اذا ما
 زود موجود بالذات اليك ، فلو كنت وهماً بالنسبة لغيرك ، فذلك انت ايضاً وهم
 البسة لعلي . كل انسان موجود في كون ذاتي ، ، يعتبر فيه او هاهنا من الخلق
 ان العقل ليهم المطلق ، بل جزأ من القسم أكثر . لينطق كل ج حدود هذه
 الصعوبات . أليس أيها القاري ، يا من تقرأ هذا الكتاب الآن ، يوماً من هذه
 الحقيقة ؟ ان الخيال يمثل جانباً من الحقيقة أيضاً - الا انه أبل حقيقة . وكذلك
 انهم ان . فانه يمثل حقيقة أقل من حقيقة ايقان . غير ان كلاماً منكم معاني بلا تميز
 من هل تقرأ هذا الكتاب للتعرف وحدها لا كلاماً لا أنسى شيئاً جداً بهذا الكتاب ؟
 انه لا يسلك حقاً ان تقرأ عن جيرة ايقان بين الحقيقة والاحترافية ، ولكن ، ماذا
 .. معني بعد ان تنفي هذا الكائنات تجانب ؟ ذلك متعود الى ما لك اسأل

حقيقية ؟ أم ليست حقيقية ؟ أما الذي فاته سيظهر بأنه غلب ، يظهر بأنه يفضي كل شيء ، وتجبره . ألا تلك لا تجبر وجوه الكروني الذي تجلس عليه ، أو ادراج مكتبك ، أو الكرسي ، ولا العمل الذي يجب عليك أن تقوم به غداً أو بعد غد . ويمكن العقل أن يخلق بعيداً ، في مفاصل مثل العليا والليل والشهامة والخلام البقلة ، أما الكيان ، والشخصية ، فقلبيها أن يتبعها للصبر ، الذي يدعو ميكولوجي ، بالبعد الأرضي .

هذا ما تخرج به من مواجهة إيفان الشيطان ، ومستقل تخرج بهذا دائماً ، حتى تعمل البشر على الحقيقة ، ليقرأوا ، الأخوة كراماتوف ، وهم يجلون على كرامتي حقيقية ، هي حقيقة تماماً كما تفرح عليك ، مواجهة حياتهم معرفة تامة هائلة . وجواب أكيد على الأسئلة : ماذا هم موجودون ؟ ما هي الحياة ؟ ما هو الموت ؟ من أين جلدوا ؟ وأين هم قاضون ؟ إذاك يمكنهم أن يعلموا بأن شيطان إيفان لم يكن حقيقياً ، إلا أن قصة الأخوة كراماتوف ، أن يدعو عند ذلك كتاباً ، ولن يدعو دوستويفسكي كونه رجلاً ، أما من حيث اللاهوتية ، فلا شيء . يميز أحدهما عن الآخر . هناك خلف إيفان عالم من الموصي ، والدخان . وإن إيفان ليتهتم الشيطان بأنه إنما يتم في نفسه الأفكار التي كان يحكم بها حين كان طفلاً ، ولكن ماذا بهم ذلك ؟ بل قد يكون ذلك دليلاً آخر على لاهوتية الشيطان ، ولكن ، هل يثبت ذلك أن هذه الأفكار لا حقيقية أيضاً ؟ وهل أن هذه الأفكار أكثر حقيقية من إيفان ؟ قد يقول الفلاسفة : نعم . كما يقول كيركغارد وغيره من وجوديين العصر الحديث : لا ، وهذا أيضاً موجود في الموقف الذي نشهده بين إيفان والشيطان . أنا ألتحق ، خلفا للمسيح أفكار إيفان هذه بأن عياناً يتصلق ثانية بإحساناً مقدداً . ولقد بحث إيفان ، حين كان تلميذاً ، فكرة أنه لا علاقة للخير أو الشر بالوجود ، وإنما هما قطبان للشيء . إذ قلنا أحشاب عسل كل منها بخير المجل ، إلا أنه متجل كبر ذو حدين . فكذلك أيضاً أن شر الشر عبثة القاموس ، إذ أنه خلقها تحت صفة أنها لا شيء . إن الشرور إنسان : الخير والشر ، ثرى ما هما ؟ إذا كان الإنسان قد جسد الله ، فهو الله .

مستبدان لا يطيعان إلا نفسيهما ، وأما الله فاتها فاسدة ، في حين لا يدعو شيطان عقائديت مقابر ؟ أما إذا علم أن يستسلم غداً ، فانه يستلجج إليه بين البشر والشر ، ولكن أين سيتهي به ذلك ؟ أما عقيدة نهاية الألفية ، ؟ الحقيقة ؟ في هذا ماذا يعتون بها ؟ أنه لا يفكر في بحث نفسه بالنسبة إلى الله ، وإنما هو بشرة عار يوزيدان الذي يجوع ، بينما يعمل على ظهور كرامين متعادلين من البشر ، فأما ذكرنا الخير والشر فأنها سرعان ما تتجران ، لينجد نفسه في هرقة ، فكله في الجدار ، فإذا كان إلى جانبه أكثر ، فلا بد أنه يشبه شيطان إيفان ، ولاحه المذلة وسرواله الضيق ، وتلك هي النهاية التي تصل إليها أفكاره فيما يخص الله أما الأبد ، فأنه ليس أكثر من هرقة قنوة معلومة يسبح العنكبوت ، وأما الشيطان فهو كائن بشري ، وأما الجنة فلها كما جاء في ميولنا ريوبريت برووك حيث :

« هب نسم رخاء على عرش حال

فحرك الستائر الضيقة المعلقة على المخطط ... »

الاعاء ؟ كلا ، ليس ذلك لأن إيفان لا يؤمن ، فإن الجنوح الرؤسي جعله يحس بالمرض والخوف من وجوده ذاته .

« هل تصلي الأخت التي ترتدي القناع

للأطفال الذين يقفون بالباب

لا يستطيعون أن يذهبوا ولا أن يصلوا ؟ »

فإذا استطاع أن يثوب إلى نفسه من هذا الإدراك المرعب ، وبعد الاعاء ، فقد يصبح أكثر تحسناً للذين من اليوفا ، وقد يؤمن بالثقة التي يؤمن بها من كان دائماً طول عمره ، وقد اعتدى ، فوز أن لا يبه بعد ذلك أبداً .

ألا أن لا نستطيع أن نعرف ما حدث ، لأن دوستويفسكي لم يكتف النعمة ، هناك حقاً حسن التلميحات عن ذلك في فصل الشيطان ، وهناك أيضاً قصة المذكر الممر الذي آمن بأنه لا حياة بعد الموت ، إلا أنه حجل من نفسه أشد المصلح حين مات ، اكتشف أنه كان حقيقاً ، وكان عقابه على جنوده أن يحكي ما به إلى بشر لم يزلوا من الأبدال ، إلا أنه اضطلع ورفض أن يتحرك ، وسر عليه ألف عالم

الشعري والحائي أو ما يشبه هؤلاء لن يفرقي قط ، فان ذلك كله متفق مع
ماجرىات الأمور الطبيعية . ألا اني حين ارى كومة من التراب والمرض ،
انساناً يتصف بها عقلاً وجسداً ، فاني لا امالك ، باعتباري انساناً ايضاً ،
الا ان اشعر بأقصى حدود الصبر تحطم في نفسي انجتراراً ...

وليس هذا الاحتظار ناجحاً من مرض في سويقتي ، بل لا يمكننا ان تصف
سويقتي بكرة من الخئون (رغم ان الرأي السائد الآن يعارض هذا) ، فان هذا
هو سلوك اللاوعي المألوف حيال البشر ، كما انه السلوك الديني ايضاً ، ويمكننا
ان نجد مثل هذا الاهتمام القطيع للحجرات الانسانية في كتاب « الواعظ » ،
بالاضافة الى ما في الانجيل و « جواهر » . يسكال مما يشبه ذلك ، ان هؤلاء
الرجال الثاقبين المشغولين بالمال ليسوا غير ذباب النوق ، فاذا اشتد ادراك
اللاوعي بحدساً ، فانه لا يعود يرى البشر ملايين الملايين من الافراد ،
واعما يرى ارادة العالم التي تسوقهم كالتمل في خلية كبيرة ، ويعلم انهم
لا يستطيعون الفرار من ضيقهم وحقاتهم ، وانه ليس في امكانهم التعلق او المصرة
أن تجعل الانسان اكثر من حشرة ، أما أشد ما يثير عيظه في هذا الفصل
البشري ، فهم اولئك الذين يدعون الى الانسانية ويتحدثون بالعقل ، بينما
يهامون بفاهم وحقاتهم .

ان الجواب الذي يقدمه انسان مثل كبر كفارد على هذه الرؤيا ، التي فرضت
نفسها على حواسه الحسية جداً ، هو الجدل الديني ، لانه لا شيء أكثر طبيعية من
فكرة أن العقل المنطوق من شدة التفكير والتفحص يجب ان يعود الى مناطق في
الكيان كامة خلف الادراك ، أي الى الفطرات والبداهات . وقد مثل ذلك ثورة
بسيطة متواضعة ، كثورة د. ه. لورنس الا أنها مع شدة يساهلها قد تقع في الخطأ
ذاته الذي تجنيه ستيفن وولف : أي سلوك طريق « العودة الى الحيوان » التي يعبر
عنها لورنس في « القديس مارو » وفي « العذراء والعجوز » ، ان هذا لا يمكن
ان يكون حلاً . الا ان كبر كفارد وجد هذا الحل غلباً ادرك ان الشدة الضرورية
لامتزاج قرائنه وقراء العقليّة اما تكس في السلوك الديني

وهنا قد ينال القارئ الذي يجزأ أمر اللاوعي إلا أنه لا يفهم كيف يستطيع
التفكير الى مثل هذا السلوك الديني : « هل من الصحيح ؟ هل من الصحيح ان
تقول بموجب هذه الطريقة ذاتها ان ١+١=٢ ؟ » وهذا قد نعلمنا المارقة
من جعل الاشياء أشد وضوحاً . حين قدم آيشتاين نظريته الخاصة عن النسبية ،
بذلك جهداً كبيراً في توضيحها الى درجة أنه جعل قارئه يؤمن بأنها لا تتعارض
مع قوانين نيوتن ، ما دامت المشكلة التي تحسها تتعلق بأشياء مطلقة بسرعة شديدة
جداً ، بسرعة تقرب من ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية الواحدة . فاذا لم تكن تسلكك
مثل هذه السرعة فانه لن يملك ان يقلق بشأن الزمن اذا كان مختلفاً في مختلف
الانظمة المتعادلة في الحركة النسبية ، ولا بشأن الحوادث المترابط الذي لا يمكن
ان تعرف بمعايير بدون تعاريف أخرى متعددة ، أما اذا كنت تبحث امر السرعات
الشديدة ، فلا بد من تبدل معادلات غاليلي واستعمال معادلات لورنتز .

ويطبق هذا على اللاوعي ايضاً ، فاذا كنت تعيش حياة عادية كتيبة ،
ليس فيها الاضطراب قليل ، فانك تستطيع ان تعتبر اللاوعي شيئاً لا يستحق
الاهتمام دون ان تحس شيئاً ، اما اذا كنت مهتماً بالانسان في حالاته المتطرفة ،
او بالانسان المشغول بأشغاله عن طبيعة الحياة بصورة شاذة ، فان كل جواب
قد سمعته من اللاوعي يجيز بانناحك وملاحظتك الشديدين . ان اللاوعي
مواجه بالسرعات الشديدة والضغط العالي ، وانه يفضل ان يفكر في الانسان
الذي يبدأ شرباً جداً أو خيراً جداً أكثر من تفكيره في المواطن الصالح
الذي ينظر الى كل الأمور باعتدال .

وبعدنا هذا الى ايفان كارامازوف ، وايفان هو انسان غير قانع بالسرعات
العادية . انه يحس في نفسه بقوة روحية هائلة ، كما انه مثل وانكولييفوف في
عدم شعوره بأنه كائن قد ولد ليكون شيئاً لا أهمية له ولا وجود . ونجربنا
« د. ه. لورنس » بانه « اللاح منطوقه ذاتها » فالبقية روحية لامعة شاذة على العالم ، و
وانه يشعر شعوراً غريباً بأن ما يفكر به ان يكون طريق العقل ، وما هو عملي
القول بالروحانية لا يكف عن التفكير في اللاوعي ينظر الى البشر دائماً

باعتبارهم مخلوقون للفشل ، بل انه يشعر بأن كل انسان عاش على هذه الارض كان فشلاً ، ولهذا باللاتسي من نوع ايقان يحاول ان يعد قواه العقلية لمواجهة هذا السؤال : كيف ينبغي ان يعيش سعياني بحيث انها لا تكون فشلاً ؟ ولا كانت هذا السؤال على مثل هذا المستوى العالي ، فان المشكلة تعرض في نفسه ليل نهار ، فتجعل منه امرأ مستحيلاً ، وتحطم أعصابه بتوتر لا نهاية له والحاج لا حد له ، تماماً مثلما يفرص سبارطيل في الدفاع ، ان يبحث عن الملائيس ، ويدرك بصورة قطعية انه : اذا استطعت ان اقول : ان الانسان كان فشلاً دائماً ، فانه يجب ان تكون لدي فكرة عن النجاح .

وهنا تبدأ المشكلة حقاً ، فاما كان لديه وقت ليجلس في بقعة هادئة ، وفي ظروف مريحة ، فانه قد يكون في استطاعته ان يكشف ذلك . الا ان حياته كبشر في عنتع بحيث قلما تسمح لنا بمثل تلك الظروف ، وان ذلك ليعبر بتكراراً لمشكلة فان كرش وكفاحه المتصل ليلاً ونهاراً من أجل الشدة التي حصل عليها بالامسي ، والتي تغالبها الترهات الانسانية والتفاعلات التي لاحد ما . فخلعنا جعل دوميتوفسكي ايقان يرى الشيطان في الامسية التي كان سعياني في صباحها من شدة العواصف في عقله ، فانه انما كان يعبر عما يمكن ان يحدث مثل هذا اللامسي . ان ايقان يبحث عن التركيب التام ، أي انه يريد ان يرى العالم ككل . ويصني بليل ذلك بالرؤيا الرباعية في احدي فصائفه :

والتي ارى الآن رؤيا رباعية
وعنده الرؤيا الرباعية موهوبة لي
انها رباعية في غيظي الكماله
وثلاثه في ليله من ليالي بيولا . السمحة
ونايه دائماً . وليحفظنا الله من

بيولا : اسم يطلق على آية كانت كوكباً يقال فيه قدوم ملك المسيح .

كل رؤيا ابداعية ، ومن يوم نيوتن . (١٩)

الشيطان ايقان يعتبر عمدة البيت الأخير من هذه الفصيدة . وبقاها . (٢٠) . (٢١) . (٢٢) . (٢٣) . (٢٤) . (٢٥) . (٢٦) . (٢٧) . (٢٨) . (٢٩) . (٣٠) . (٣١) . (٣٢) . (٣٣) . (٣٤) . (٣٥) . (٣٦) . (٣٧) . (٣٨) . (٣٩) . (٤٠) . (٤١) . (٤٢) . (٤٣) . (٤٤) . (٤٥) . (٤٦) . (٤٧) . (٤٨) . (٤٩) . (٥٠) . (٥١) . (٥٢) . (٥٣) . (٥٤) . (٥٥) . (٥٦) . (٥٧) . (٥٨) . (٥٩) . (٦٠) . (٦١) . (٦٢) . (٦٣) . (٦٤) . (٦٥) . (٦٦) . (٦٧) . (٦٨) . (٦٩) . (٧٠) . (٧١) . (٧٢) . (٧٣) . (٧٤) . (٧٥) . (٧٦) . (٧٧) . (٧٨) . (٧٩) . (٨٠) . (٨١) . (٨٢) . (٨٣) . (٨٤) . (٨٥) . (٨٦) . (٨٧) . (٨٨) . (٨٩) . (٩٠) . (٩١) . (٩٢) . (٩٣) . (٩٤) . (٩٥) . (٩٦) . (٩٧) . (٩٨) . (٩٩) . (١٠٠) . (١٠١) . (١٠٢) . (١٠٣) . (١٠٤) . (١٠٥) . (١٠٦) . (١٠٧) . (١٠٨) . (١٠٩) . (١١٠) . (١١١) . (١١٢) . (١١٣) . (١١٤) . (١١٥) . (١١٦) . (١١٧) . (١١٨) . (١١٩) . (١٢٠) . (١٢١) . (١٢٢) . (١٢٣) . (١٢٤) . (١٢٥) . (١٢٦) . (١٢٧) . (١٢٨) . (١٢٩) . (١٣٠) . (١٣١) . (١٣٢) . (١٣٣) . (١٣٤) . (١٣٥) . (١٣٦) . (١٣٧) . (١٣٨) . (١٣٩) . (١٤٠) . (١٤١) . (١٤٢) . (١٤٣) . (١٤٤) . (١٤٥) . (١٤٦) . (١٤٧) . (١٤٨) . (١٤٩) . (١٥٠) . (١٥١) . (١٥٢) . (١٥٣) . (١٥٤) . (١٥٥) . (١٥٦) . (١٥٧) . (١٥٨) . (١٥٩) . (١٦٠) . (١٦١) . (١٦٢) . (١٦٣) . (١٦٤) . (١٦٥) . (١٦٦) . (١٦٧) . (١٦٨) . (١٦٩) . (١٧٠) . (١٧١) . (١٧٢) . (١٧٣) . (١٧٤) . (١٧٥) . (١٧٦) . (١٧٧) . (١٧٨) . (١٧٩) . (١٨٠) . (١٨١) . (١٨٢) . (١٨٣) . (١٨٤) . (١٨٥) . (١٨٦) . (١٨٧) . (١٨٨) . (١٨٩) . (١٩٠) . (١٩١) . (١٩٢) . (١٩٣) . (١٩٤) . (١٩٥) . (١٩٦) . (١٩٧) . (١٩٨) . (١٩٩) . (٢٠٠) . (٢٠١) . (٢٠٢) . (٢٠٣) . (٢٠٤) . (٢٠٥) . (٢٠٦) . (٢٠٧) . (٢٠٨) . (٢٠٩) . (٢١٠) . (٢١١) . (٢١٢) . (٢١٣) . (٢١٤) . (٢١٥) . (٢١٦) . (٢١٧) . (٢١٨) . (٢١٩) . (٢٢٠) . (٢٢١) . (٢٢٢) . (٢٢٣) . (٢٢٤) . (٢٢٥) . (٢٢٦) . (٢٢٧) . (٢٢٨) . (٢٢٩) . (٢٣٠) . (٢٣١) . (٢٣٢) . (٢٣٣) . (٢٣٤) . (٢٣٥) . (٢٣٦) . (٢٣٧) . (٢٣٨) . (٢٣٩) . (٢٤٠) . (٢٤١) . (٢٤٢) . (٢٤٣) . (٢٤٤) . (٢٤٥) . (٢٤٦) . (٢٤٧) . (٢٤٨) . (٢٤٩) . (٢٥٠) . (٢٥١) . (٢٥٢) . (٢٥٣) . (٢٥٤) . (٢٥٥) . (٢٥٦) . (٢٥٧) . (٢٥٨) . (٢٥٩) . (٢٦٠) . (٢٦١) . (٢٦٢) . (٢٦٣) . (٢٦٤) . (٢٦٥) . (٢٦٦) . (٢٦٧) . (٢٦٨) . (٢٦٩) . (٢٧٠) . (٢٧١) . (٢٧٢) . (٢٧٣) . (٢٧٤) . (٢٧٥) . (٢٧٦) . (٢٧٧) . (٢٧٨) . (٢٧٩) . (٢٨٠) . (٢٨١) . (٢٨٢) . (٢٨٣) . (٢٨٤) . (٢٨٥) . (٢٨٦) . (٢٨٧) . (٢٨٨) . (٢٨٩) . (٢٩٠) . (٢٩١) . (٢٩٢) . (٢٩٣) . (٢٩٤) . (٢٩٥) . (٢٩٦) . (٢٩٧) . (٢٩٨) . (٢٩٩) . (٣٠٠) . (٣٠١) . (٣٠٢) . (٣٠٣) . (٣٠٤) . (٣٠٥) . (٣٠٦) . (٣٠٧) . (٣٠٨) . (٣٠٩) . (٣١٠) . (٣١١) . (٣١٢) . (٣١٣) . (٣١٤) . (٣١٥) . (٣١٦) . (٣١٧) . (٣١٨) . (٣١٩) . (٣٢٠) . (٣٢١) . (٣٢٢) . (٣٢٣) . (٣٢٤) . (٣٢٥) . (٣٢٦) . (٣٢٧) . (٣٢٨) . (٣٢٩) . (٣٣٠) . (٣٣١) . (٣٣٢) . (٣٣٣) . (٣٣٤) . (٣٣٥) . (٣٣٦) . (٣٣٧) . (٣٣٨) . (٣٣٩) . (٣٤٠) . (٣٤١) . (٣٤٢) . (٣٤٣) . (٣٤٤) . (٣٤٥) . (٣٤٦) . (٣٤٧) . (٣٤٨) . (٣٤٩) . (٣٥٠) . (٣٥١) . (٣٥٢) . (٣٥٣) . (٣٥٤) . (٣٥٥) . (٣٥٦) . (٣٥٧) . (٣٥٨) . (٣٥٩) . (٣٦٠) . (٣٦١) . (٣٦٢) . (٣٦٣) . (٣٦٤) . (٣٦٥) . (٣٦٦) . (٣٦٧) . (٣٦٨) . (٣٦٩) . (٣٧٠) . (٣٧١) . (٣٧٢) . (٣٧٣) . (٣٧٤) . (٣٧٥) . (٣٧٦) . (٣٧٧) . (٣٧٨) . (٣٧٩) . (٣٨٠) . (٣٨١) . (٣٨٢) . (٣٨٣) . (٣٨٤) . (٣٨٥) . (٣٨٦) . (٣٨٧) . (٣٨٨) . (٣٨٩) . (٣٩٠) . (٣٩١) . (٣٩٢) . (٣٩٣) . (٣٩٤) . (٣٩٥) . (٣٩٦) . (٣٩٧) . (٣٩٨) . (٣٩٩) . (٤٠٠) . (٤٠١) . (٤٠٢) . (٤٠٣) . (٤٠٤) . (٤٠٥) . (٤٠٦) . (٤٠٧) . (٤٠٨) . (٤٠٩) . (٤١٠) . (٤١١) . (٤١٢) . (٤١٣) . (٤١٤) . (٤١٥) . (٤١٦) . (٤١٧) . (٤١٨) . (٤١٩) . (٤٢٠) . (٤٢١) . (٤٢٢) . (٤٢٣) . (٤٢٤) . (٤٢٥) . (٤٢٦) . (٤٢٧) . (٤٢٨) . (٤٢٩) . (٤٣٠) . (٤٣١) . (٤٣٢) . (٤٣٣) . (٤٣٤) . (٤٣٥) . (٤٣٦) . (٤٣٧) . (٤٣٨) . (٤٣٩) . (٤٤٠) . (٤٤١) . (٤٤٢) . (٤٤٣) . (٤٤٤) . (٤٤٥) . (٤٤٦) . (٤٤٧) . (٤٤٨) . (٤٤٩) . (٤٥٠) . (٤٥١) . (٤٥٢) . (٤٥٣) . (٤٥٤) . (٤٥٥) . (٤٥٦) . (٤٥٧) . (٤٥٨) . (٤٥٩) . (٤٦٠) . (٤٦١) . (٤٦٢) . (٤٦٣) . (٤٦٤) . (٤٦٥) . (٤٦٦) . (٤٦٧) . (٤٦٨) . (٤٦٩) . (٤٧٠) . (٤٧١) . (٤٧٢) . (٤٧٣) . (٤٧٤) . (٤٧٥) . (٤٧٦) . (٤٧٧) . (٤٧٨) . (٤٧٩) . (٤٨٠) . (٤٨١) . (٤٨٢) . (٤٨٣) . (٤٨٤) . (٤٨٥) . (٤٨٦) . (٤٨٧) . (٤٨٨) . (٤٨٩) . (٤٩٠) . (٤٩١) . (٤٩٢) . (٤٩٣) . (٤٩٤) . (٤٩٥) . (٤٩٦) . (٤٩٧) . (٤٩٨) . (٤٩٩) . (٥٠٠) . (٥٠١) . (٥٠٢) . (٥٠٣) . (٥٠٤) . (٥٠٥) . (٥٠٦) . (٥٠٧) . (٥٠٨) . (٥٠٩) . (٥١٠) . (٥١١) . (٥١٢) . (٥١٣) . (٥١٤) . (٥١٥) . (٥١٦) . (٥١٧) . (٥١٨) . (٥١٩) . (٥٢٠) . (٥٢١) . (٥٢٢) . (٥٢٣) . (٥٢٤) . (٥٢٥) . (٥٢٦) . (٥٢٧) . (٥٢٨) . (٥٢٩) . (٥٣٠) . (٥٣١) . (٥٣٢) . (٥٣٣) . (٥٣٤) . (٥٣٥) . (٥٣٦) . (٥٣٧) . (٥٣٨) . (٥٣٩) . (٥٤٠) . (٥٤١) . (٥٤٢) . (٥٤٣) . (٥٤٤) . (٥٤٥) . (٥٤٦) . (٥٤٧) . (٥٤٨) . (٥٤٩) . (٥٥٠) . (٥٥١) . (٥٥٢) . (٥٥٣) . (٥٥٤) . (٥٥٥) . (٥٥٦) . (٥٥٧) . (٥٥٨) . (٥٥٩) . (٥٦٠) . (٥٦١) . (٥٦٢) . (٥٦٣) . (٥٦٤) . (٥٦٥) . (٥٦٦) . (٥٦٧) . (٥٦٨) . (٥٦٩) . (٥٧٠) . (٥٧١) . (٥٧٢) . (٥٧٣) . (٥٧٤) . (٥٧٥) . (٥٧٦) . (٥٧٧) . (٥٧٨) . (٥٧٩) . (٥٨٠) . (٥٨١) . (٥٨٢) . (٥٨٣) . (٥٨٤) . (٥٨٥) . (٥٨٦) . (٥٨٧) . (٥٨٨) . (٥٨٩) . (٥٩٠) . (٥٩١) . (٥٩٢) . (٥٩٣) . (٥٩٤) . (٥٩٥) . (٥٩٦) . (٥٩٧) . (٥٩٨) . (٥٩٩) . (٦٠٠) . (٦٠١) . (٦٠٢) . (٦٠٣) . (٦٠٤) . (٦٠٥) . (٦٠٦) . (٦٠٧) . (٦٠٨) . (٦٠٩) . (٦١٠) . (٦١١) . (٦١٢) . (٦١٣) . (٦١٤) . (٦١٥) . (٦١٦) . (٦١٧) . (٦١٨) . (٦١٩) . (٦٢٠) . (٦٢١) . (٦٢٢) . (٦٢٣) . (٦٢٤) . (٦٢٥) . (٦٢٦) . (٦٢٧) . (٦٢٨) . (٦٢٩) . (٦٣٠) . (٦٣١) . (٦٣٢) . (٦٣٣) . (٦٣٤) . (٦٣٥) . (٦٣٦) . (٦٣٧) . (٦٣٨) . (٦٣٩) . (٦٤٠) . (٦٤١) . (٦٤٢) . (٦٤٣) . (٦٤٤) . (٦٤٥) . (٦٤٦) . (٦٤٧) . (٦٤٨) . (٦٤٩) . (٦٥٠) . (٦٥١) . (٦٥٢) . (٦٥٣) . (٦٥٤) . (٦٥٥) . (٦٥٦) . (٦٥٧) . (٦٥٨) . (٦٥٩) . (٦٦٠) . (٦٦١) . (٦٦٢) . (٦٦٣) . (٦٦٤) . (٦٦٥) . (٦٦٦) . (٦٦٧) . (٦٦٨) . (٦٦٩) . (٦٧٠) . (٦٧١) . (٦٧٢) . (٦٧٣) . (٦٧٤) . (٦٧٥) . (٦٧٦) . (٦٧٧) . (٦٧٨) . (٦٧٩) . (٦٨٠) . (٦٨١) . (٦٨٢) . (٦٨٣) . (٦٨٤) . (٦٨٥) . (٦٨٦) . (٦٨٧) . (٦٨٨) . (٦٨٩) . (٦٩٠) . (٦٩١) . (٦٩٢) . (٦٩٣) . (٦٩٤) . (٦٩٥) . (٦٩٦) . (٦٩٧) . (٦٩٨) . (٦٩٩) . (٧٠٠) . (٧٠١) . (٧٠٢) . (٧٠٣) . (٧٠٤) . (٧٠٥) . (٧٠٦) . (٧٠٧) . (٧٠٨) . (٧٠٩) . (٧١٠) . (٧١١) . (٧١٢) . (٧١٣) . (٧١٤) . (٧١٥) . (٧١٦) . (٧١٧) . (٧١٨) . (٧١٩) . (٧٢٠) . (٧٢١) . (٧٢٢) . (٧٢٣) . (٧٢٤) . (٧٢٥) . (٧٢٦) . (٧٢٧) . (٧٢٨) . (٧٢٩) . (٧٣٠) . (٧٣١) . (٧٣٢) . (٧٣٣) . (٧٣٤) . (٧٣٥) . (٧٣٦) . (٧٣٧) . (٧٣٨) . (٧٣٩) . (٧٤٠) . (٧٤١) . (٧٤٢) . (٧٤٣) . (٧٤٤) . (٧٤٥) . (٧٤٦) . (٧٤٧) . (٧٤٨) . (٧٤٩) . (٧٥٠) . (٧٥١) . (٧٥٢) . (٧٥٣) . (٧٥٤) . (٧٥٥) . (٧٥٦) . (٧٥٧) . (٧٥٨) . (٧٥٩) . (٧٦٠) . (٧٦١) . (٧٦٢) . (٧٦٣) . (٧٦٤) . (٧٦٥) . (٧٦٦) . (٧٦٧) . (٧٦٨) . (٧٦٩) . (٧٧٠) . (٧٧١) . (٧٧٢) . (٧٧٣) . (٧٧٤) . (٧٧٥) . (٧٧٦) . (٧٧٧) . (٧٧٨) . (٧٧٩) . (٧٨٠) . (٧٨١) . (٧٨٢) . (٧٨٣) . (٧٨٤) . (٧٨٥) . (٧٨٦) . (٧٨٧) . (٧٨٨) . (٧٨٩) . (٧٩٠) . (٧٩١) . (٧٩٢) . (٧٩٣) . (٧٩٤) . (٧٩٥) . (٧٩٦) . (٧٩٧) . (٧٩٨) . (٧٩٩) . (٨٠٠) . (٨٠١) . (٨٠٢) . (٨٠٣) . (٨٠٤) . (٨٠٥) . (٨٠٦) . (٨٠٧) . (٨٠٨) . (٨٠٩) . (٨١٠) . (٨١١) . (٨١٢) . (٨١٣) . (٨١٤) . (٨١٥) . (٨١٦) . (٨١٧) . (٨١٨) . (٨١٩) . (٨٢٠) . (٨٢١) . (٨٢٢) . (٨٢٣) . (٨٢٤) . (٨٢٥) . (٨٢٦) . (٨٢٧) . (٨٢٨) . (٨٢٩) . (٨٣٠) . (٨٣١) . (٨٣٢) . (٨٣٣) . (٨٣٤) . (٨٣٥) . (٨٣٦) . (٨٣٧) . (٨٣٨) . (٨٣٩) . (٨٤٠) . (٨٤١) . (٨٤٢) . (٨٤٣) . (٨٤٤) . (٨٤٥) . (٨٤٦) . (٨٤٧) . (٨٤٨) . (٨٤٩) . (٨٥٠) . (٨٥١) . (٨٥٢) . (٨٥٣) . (٨٥٤) . (٨٥٥) . (٨٥٦) . (٨٥٧) . (٨٥٨) . (٨٥٩) . (٨٦٠) . (٨٦١) . (٨٦٢) . (٨٦٣) . (٨٦٤) . (٨٦٥) . (٨٦٦) . (٨٦٧) . (٨٦٨) . (٨٦٩) . (٨٧٠) . (٨٧١) . (٨٧٢) . (٨٧٣) . (٨٧٤) . (٨٧٥) . (٨٧٦) . (٨٧٧) . (٨٧٨) . (٨٧٩) . (٨٨٠) . (٨٨١) . (٨٨٢) . (٨٨٣) . (٨٨٤) . (٨٨٥) . (٨٨٦) . (٨٨٧) . (٨٨٨) . (٨٨٩) . (٨٩٠) . (٨٩١) . (٨٩٢) . (٨٩٣) . (٨٩٤) . (٨٩٥) . (٨٩٦) . (٨٩٧) . (٨٩٨) . (٨٩٩) . (٩٠٠) . (٩٠١) . (٩٠٢) . (٩٠٣) . (٩٠٤) . (٩٠٥) . (٩٠٦) . (٩٠٧) . (٩٠٨) . (٩٠٩) . (٩١٠) . (٩١١) . (٩١٢) . (٩١٣) . (٩١٤) . (٩١٥) . (٩١٦) . (٩١٧) . (٩١٨) . (٩١٩) . (٩٢٠) . (٩٢١) . (٩٢٢) . (٩٢٣) . (٩٢٤) . (٩٢٥) . (٩٢٦) . (٩٢٧) . (٩٢٨) . (٩٢٩) . (٩٣٠) . (٩٣١) . (٩٣٢) . (٩٣٣) . (٩٣٤) . (٩٣٥) . (٩٣٦) . (٩٣٧) . (٩٣٨) . (٩٣٩) . (٩٤٠) . (٩٤١) . (٩٤٢) . (٩٤٣) . (٩٤٤) . (٩٤٥) . (٩٤٦) . (٩٤٧) . (٩٤٨) . (٩٤٩) . (٩٥٠) . (٩٥١) . (٩٥٢) . (٩٥٣) . (٩٥٤) . (٩٥٥) . (٩٥٦) . (٩٥٧) . (٩٥٨) . (٩٥٩) . (٩٦٠) . (٩٦١) . (٩٦٢) . (٩٦٣) . (٩٦٤) . (٩٦٥) . (٩٦٦) . (٩٦٧) . (٩٦٨) . (٩٦٩) . (٩٧٠) . (٩٧١) . (٩٧٢) . (٩٧٣) . (٩٧٤) . (٩٧٥) . (٩٧٦) . (٩٧٧) . (٩٧٨) . (٩٧٩) . (٩٨٠) . (٩٨١) . (٩٨٢) . (٩٨٣) . (٩٨٤) . (٩٨٥) . (٩٨٦) . (٩٨٧) . (٩٨٨) . (٩٨٩) . (٩٩٠) . (٩٩١) . (٩٩٢) . (٩٩٣) . (٩٩٤) . (٩٩٥) . (٩٩٦) . (٩٩٧) . (٩٩٨) . (٩٩٩) . (١٠٠٠) . (١٠٠١) . (١٠٠٢) . (١٠٠٣) . (١٠٠٤) . (١٠٠٥) . (١٠٠٦) . (١٠٠٧) . (١٠٠٨) . (١٠٠٩) . (١٠١٠) . (١٠١١) . (١٠١٢) . (١٠١٣) . (١٠١٤) . (١٠١٥) . (١٠١٦) . (١٠١٧) . (١٠١٨) . (١٠١٩) . (١٠٢٠) . (١٠٢١) . (١٠٢٢) . (١٠٢٣) . (١٠٢٤) . (١٠٢٥) . (١٠٢٦) . (١٠٢٧) . (١٠٢٨) . (١٠٢٩) . (١٠٣٠) . (١٠٣١) . (١٠٣٢) . (١٠٣٣) . (١٠٣٤) . (١٠٣٥) . (١٠٣٦) . (١٠٣٧) . (١٠٣٨) . (١٠٣٩) . (١٠٤٠) . (١٠٤١) . (١٠٤٢) . (١٠٤٣) . (١٠٤٤) . (١٠٤٥) . (١٠٤٦) . (١٠٤٧) . (١٠٤٨) . (١٠٤٩) . (١٠٥٠) . (١٠٥١) . (١٠٥٢) . (١٠٥٣) . (١٠٥٤) . (١٠٥٥) . (١٠٥٦) . (١٠٥٧) . (١٠٥٨) . (١٠٥٩) . (١٠٦٠) . (١٠٦١) . (١٠٦٢) . (١٠٦٣) . (١٠٦٤) . (١٠٦٥) . (١٠٦٦) . (١٠٦٧) . (١٠٦٨) . (١٠٦٩) . (١٠٧٠) . (١٠٧١) . (١٠٧٢) . (١٠٧٣) . (١٠٧٤) . (١٠٧٥) . (١٠٧٦) . (١٠٧٧) . (١٠٧٨) . (١٠٧٩) . (١٠٨٠) . (١٠٨١) . (١٠٨٢) . (١٠٨٣) . (١٠٨٤) . (١٠٨٥) . (١٠٨٦) . (١٠٨٧) . (١٠٨٨) . (١٠٨٩) . (١٠٩٠) . (١٠٩١) . (١٠٩٢) . (١٠٩٣) . (١٠٩٤) . (١٠٩٥) . (١٠٩٦) . (١٠٩٧) . (١٠٩٨) . (١٠٩٩) . (١١٠٠) . (١١٠١) . (١١٠٢) . (١١٠٣) . (١١٠٤) . (١١٠٥) . (١١٠٦) . (١١٠٧) . (١١٠٨) . (١١٠٩) . (١١١٠) . (١١١١) . (١١١٢) . (١١١٣) . (١١١٤) . (١١١٥) . (١١١٦) . (١١١٧) . (١١١٨) . (١١١٩) . (١١٢٠) . (١١٢١) . (١١٢٢) . (١١٢٣) . (١١٢٤) . (١١٢٥) . (١١٢٦) . (١١٢٧) . (١١٢٨) . (١١٢٩) . (١١٣٠) . (١١٣١) . (١١٣٢) . (١١٣٣) . (١١٣٤) . (١١٣٥) . (١١٣٦) . (١١٣٧) . (١١٣٨) . (١١٣٩) . (١١٤٠) . (١١٤١) . (١١٤٢) . (١١٤٣) . (١١٤٤) . (١١٤٥) . (١١٤٦) . (١١٤٧) . (١١٤٨) . (١١٤٩) . (١١٥٠) . (١١٥١) . (١١٥٢) . (١١٥٣) . (١١٥٤) . (١١٥٥) . (١١٥٦) . (١١٥٧) . (١١٥٨) . (١١٥٩) . (١١٦٠) . (١١٦١) . (١١٦٢) . (١١٦٣) . (١١٦٤) . (١١٦٥) . (١١٦٦) . (١١٦٧) . (١١٦٨) . (١١٦٩) . (١١٧٠) . (١١٧١) . (١١٧٢) . (١١٧٣) . (١١٧٤) . (١١٧٥) . (١١٧٦) . (١١٧٧) . (١١٧٨) . (١١٧٩) . (١١٨٠) . (١١٨١) . (١١٨٢) . (١١٨٣) . (١١٨٤) . (١١٨٥) . (١١٨٦) . (١١٨٧) . (١١٨٨) . (١١٨٩) . (١١٩٠) . (١١٩١) . (١١٩٢) . (١١٩٣) . (١١٩٤) . (١١٩٥) . (١١٩٦) . (١١٩٧) . (١١٩٨) . (١١٩٩) . (١٢٠٠) . (١٢٠١) . (١٢٠٢) . (١٢٠٣) . (١٢٠٤) . (١٢٠٥) . (١٢٠٦) . (١٢٠٧) . (١٢٠٨) . (١٢٠٩) . (١٢١٠) . (١٢١١) . (١٢١٢) . (١٢١٣) . (١٢١٤) . (١٢١٥) . (١٢١٦) . (١٢١٧) . (١٢١٨) . (١٢١٩) . (١٢٢٠) . (١٢٢١) . (١٢٢٢) . (١٢٢٣) . (١٢٢٤) . (١٢٢٥) . (١٢٢٦) . (١٢٢٧) . (١٢٢٨) . (١٢٢٩) . (١٢٣٠) . (١٢٣١) . (١٢٣٢) . (١٢٣٣) . (١٢٣٤) . (١٢٣٥) . (١٢٣٦) . (١٢٣٧) . (١٢٣٨) . (١٢٣٩) . (١٢٤٠) . (١٢٤١) . (١٢٤٢) . (١٢٤٣) . (١٢٤٤) . (١٢٤٥) . (١٢٤٦) . (١٢٤٧) . (١٢٤٨) . (١٢٤٩) . (١٢٥٠) . (١٢٥١) . (١٢٥٢) . (١٢٥٣) . (١٢٥٤) . (١٢٥٥) . (١٢٥٦) . (١٢٥٧) . (١٢٥٨) . (١٢٥٩) . (١٢٦٠) . (١٢٦١) . (١٢٦٢) . (١٢٦٣) . (١٢٦٤) . (١٢٦٥) . (١٢٦٦) . (١٢٦٧) . (١٢٦٨) . (١٢٦٩) . (١٢٧٠) .

فلو است : ومع ذلك فإنه لا يمكن الاستعاضة بوجود هذه المشاعر اللاهوتية
 إلا عن طريق هذه الدلالة ، بالإضافة إلى التطرف العنيف - أعني بواسطة
 الجرائم التي لم تختر على يدي أحد من قبل ، بالإضافة إلى آخر ما يتخلف
 في النفس مما لا يمكن مقاومته من ذوايق الخير الابدية .
 هو : هذا حسن والآن سأعبرك بأن رؤوس أمثالك هي التي تملأ
 الجحيم ، كعالم اللاهوت ، والدرويش التبت المخادع الذي يملأ ذهنه الأمل
 في الريح ، لأن الأمل في الريح يجري في دمه

إن ما يجعل الموقف أشد وضوحاً ، ولا يختلف هذا الموقف في
 شيء من ذلك الذي حلته في الفصل الخامس حين بحث أمر « أربعمائة
 الرماة » للإليوت . أما الحل الذي يصل إليه أوستلين ، فهو : آمن أولاً
 لكي تفهم . ولكن ، كيف يتم هذا إذا لم يكن في أعماق الإنسان شيء من
 الإيمان ؟ وإذا كان يريد أن يختبر كل شيء بعقله ؟ ولست أعني بالاختبار
 العقلي ما يدعي به أولئك الذين تعرف مبدأهم بهذا الاسم - كالمستقيمين الحديثين
 الذين يبحثون في امكانية التركيب الاستثنائي ، إلا أنهم لا يشكون في نفع
 المحاضرات التي يلقيونها على الطلاب ثلاثة مرات في الأسبوع ، والكذب التي
 يؤلفونها عن الإيجابية المنطقية ، فإن اللاهوتي سيحكم على هؤلاء بالحكم القاسي
 الذي ذكره مان : « أن الاعتدال بين الخير والشر لا معنى له في الواقع من الناحية
 اللاهوتية . » ولكن ، هل إن الإنسان الذي يتخلى مثل إيفان ستراند « ناشداً
 الخلاص من كل الأخذ بغير الوصول إلى قلب الأشياء .. » ملعون حقاً ؟
 إن هذا السؤال يعتبر أسوأ ما غير اللاهوتي : أجل إن أسوأ ما يجير هو أن يشعر
 بكل كيانه يتوق معذباً إلى شيء من القناعة العاطفية ، إلى شيء من الواقع الحقيقي
 ليلمسه ، وأن يحس بأن قواه العقلية إنما تقف بعيداً عن ذلك كله . هازلة بإمكانية
 الشعور بالقناعة ، مشطة عزمه كلياً شعر بأنه يكاد يقترب منها . ترى ماذا يجب
 على مثل هذا اللاهوتي أن يفعل ؟ أعليه أن يسكت صوت عقله عموماً ، ليتقبل
 الإيمان ويأمل في أن يجد فيه ما يرضي عقله يوماً ما بعد ذلك ؟ أعليه أن يتقبل مبدأ

« آمن أولاً » ، لكي تفهم ؟

كلا ، إذ ليس في استطاعة اللاهوتي أن يفكر في مثل هذا . والواقع أننا
 أبناء ، وهو يحل المشكلة في هذا البحث ، فإن الإنسان لا يتألف من العقل والمشاعر
 فحسب . لأنه جيد أيضاً ، وهذا مما يسهل نسيانه . إن حياة اللاهوتي دائمة دائماً
 حول عقله ومشاعره ، وأنه يعود إلى غرفته الكئيبة ناسياً أن لديه جسداً ، كما
 فعل بروس . إلا أن هنتواي هو الذي أعاد أهمية الجسد إلى دنيا الأدب
 الحديث . وقد فعل ذلك بنجاح أكثر من نجاح د. ه. لورنس ، الذي كانت
 مشاعره تغلب عليه دائماً . إنك لتجد لدى هنتواي ، خاصة في رواياته
 الأولى ، ما يوحي إليك بطراوة الجسد ، بالإضافة إلى تجربة الأمور الطبيعية
 كحركة مباشرة ، الأمر الذي يجعل « حيرة العقل وإرباكه » أشياء
 لا معنى لها . كان ذلك رأي زرادشت أيضاً . كما أن لورنس يوضح هذا أيضاً في
 السطور التالية التي تعتبر جواهر كتابه « الرجل الذي مات » :

« لم يكن المسيح العبري يعرف غير دموع العبريين وسوداؤهم ،
 بالإضافة إلى كرههم للخير والصلاح ، حين فاجأه حينئذ إلى الموت . ولو
 « في الصحراء ، بعيداً عن الخير والصلاح ، إذن لتعلم كيف يعيش
 ونحب إلى هذه الأرض - ولضحك أيضاً » (١١)

إن هذا الحكم ، بصرف النظر عما تراه فيه من نقد لمؤسس المسيحية ، مألوف
 لدى معظم المنصرفة في مختلف الأديان . وتستجد في القصور الأخيرة كيف إن
 « حب الأرض » يعتبر أهم الأمور لدى بليك أو تراهيرن : الأمر الذي فشل
 فيه عقل مان ، المذكور فلوست ، « وأنها لصورة شوهاء لوساة فينشه ، لأنها
 « جعلت حاتم دو ثمان » من فينشه وتؤكد على المشاكل العقلية فحسب . « وأنه يلوح

« « الذين قرأوا مسرحية « غوتيه » و « فلوست » يفكرون أولاً في وجه المشد الذي يحاول فيه
 « فلوست » الشعور بالانتماء بالنسبة للمشاكل العقلية ، إلا أن توافيقه عند التمسك تعبه إلى
 الأرض « بالإضافة إلى ما وثقه كرهه فحسباً من سبانه الإنسانية حين كان سيأتمسح بالهبة حراً

ان ايمان قتل في ذلك ايضا . بالرغم من انه يؤكد على حبه و لسانه
 الزرقاء و لسانه الوردية . على ان دوستوفسكي يبدد هذا الغموض بالمشاهد
 التي يصف فيها رؤى الشقيين الآخرين .
 ان اليوشا يشعر بحبه للارض . مثل فان كوخ . وقبلها وبيكي وهو متطوع
 عليها . اما ميخا . فانه يدرك فجأة ان الارض ملوثة بالبشر العصاة الاعاقية .
 وان واحدا لا يستطيع ان يشعر بانه كامل تماما . ان لم يكن لديه شيء من الشعور
 بالصلة التي تربطه بهم . والعطف عليهم لا يعطيهم من شفاء وبؤس .

ويحدث همنغواي عن « سكوت وجرالد » في « تالوج كليمينجارد » قائلا :
 « يا لسكوت المسكين . ويا لجرالد من الاعياء . . . لقد كان يقطن
 احم يولفون حذاء غامضا عتيقا . الا انه حين وجد انهم ليسوا كذلك . سمعته
 شعوره بهذا تماما كما سمعته مشافروا عن أشياء تجري في حياته . لقد كان
 « البطل » يحضر أولئك الاعياء . كان في مكانه ان يدور اي شيء . . لأنه لم
 يكن في استطاعة اي شيء ان يؤذيه فادام غير مكثرت لأي شيء . . . » (١٢٤)
 ويخصص همنغواي هذا الكتاب ليبحث أمر أولئك الذين أصبحوا تعساء
 لأسباب مختلفة . كالأهتام الشديدة وأشياء معينة . حتى انهم هم ذلك ان
 الانقياد تحت وطأة تلك الدوائر .

اما دوستوفسكي : فانه نقلنا الى تطورات جديدة . ومساعدة على التحصيل
 معظم أفكار القبول السابقة . ولن يغيب عنا ان للاعطاء في بحثنا الذي نقل
 بالبريس وسارتر وهيس . حتى واسكوليكوف وإيفان غاراموف . ان اعظم
 الناس كانوا أولئك الذين اعتدوا على أنفسهم بتدوين اللاهوتي . والسياسي
 العالي . كيف يمكن للإنسان ان لا يشقى ؟ ويجب على اللاهوتي ان يظل ينادي :
 لماذا احد معظم الناس فاشين ؟ ولماذا يحيل اللاهوت الى ان تكون الأشياء ؟
 ان ما يفتننا هو « ان تقوم العذراء » وهذا قد اصابنا في كل وقت . واننا
 نتحدث بوضوح عن « مشاكل اللاهوتي » . وقد صبح منها بعض العالمان .
 فقول : « الحرية » و « الشخصية » . الا ان هذا لا يذهبنا الى حيث

دوستوفسكي عن اللاهوتي . فلما الأمر الذي لم نبحث عنه فانه قولنا : « الى
 بريده اللامتناهي ان يصل » وهذه هي العقبات التي تقف في طريقه .
 التي يصنع بها فتلحق عقبة . « هذا هو ما نحتاج اليه » . والله ليس في
 مسير الأرواح التي يتساءل في الفصول السابقة للحصول على تقرير المسير .
 ان ذلك يفتننا . أو « العقبات » . فغدا اذا لم نحصل ما نرجو اليه .
 اللاهوتي ان يكتب عن كونه لاهوتيا .

انه يريد ان يكون « متعادلا » .
 ان يريد ان يحصل على « ابراهيم جيني حرة » . « لودنيس » . وغدة كوخ .
 « همنغواي » .
 « أيضا في فهم الروح الانسانية » . « اعطال » . « باروس » . « ميسا »
 « الاماروف » .

يريد ان ينجو من الظلمة . الا الأبد . وان تمتلكه « ارادة القوة »
 من أجل حياة أكثر وفرة .

« فوق كل شيء » فانه يريد ان يعرف كيف يعبر عن ذاته . لأنه يحتاج
 « وسطه » ذلك فقط ان يعرف نفسه وإمكاناته المجهولة .
 ان الى ماأما لانهائية دستوفسكي حتى الآن لم تعد مسألة التعبير الذاتي .
 ولكنها اكتشافات من طريق اللاهوتي . يمكنها ان يقودنا في بحثنا هذا .
 « ان خلاصه كتابي في التطرف » .

« ان فكرة الخروج اما آلي على شكل « رؤى » . ومخلفات من
 « ألغ » . وقبلنا ان ننحس الاحتمال الأخير في الفصلين السابقين .

وقد قال متصوف آخر ، وكان عالماً لامعاً ومهندساً من الطراز الأول ،
 انه زار الجنة والحجيم ، وان ذلك لم يكن خيالا شعريا مثل خيال دانتي ،
 وانما كان أمراً حقيقياً ، تماماً كما تخرج انت للترفيه في يوم عطلة ،
 وأنصف انه اعتاد ان يتحدث مع الملائكة دائماً . ويوجد اليوم آلاف من
 المؤمنين بما آمن به عمانوئيل سويدنبرغ ويعتبرون كتبه صادرة عن عقل لا
 يقبل صحة عن عقل نيوتن ، ولا موضوعية عن غوث ، كزري ، في
 السلوك الجنسي . ولن يسهل علينا ذلك السؤال ان نقول ان وصحة العقل
 متعلقة بالرؤى دائماً ، خاصة عندما يتعلق الأمر بالطوائف الدينية . لقد
 صرح بليك وسويدنبرغ بأن رؤاهما حقيقة خاصة بأشياء حقيقية ، تماماً كما
 ادعى ويلز في « العقل في متهى جلود الاحياء » . الا ان بعضنا
 لكراس وبلز يجب أن يجعلنا حذرين من الاستخفاف بمثل هذه الادعاءات .
 أود في هذا الفصل ان ابحث أمر لامستين وجدا حلولا دينية لمشاكلهما ،
 وصرحا أيضاً بأنهما انما في نفسيهما قابلية خاصة على رؤية « الرؤى » .
 وان ذلك كان نتيجة لمحاولتهما من أجل إيجاد تلك الحلول . أما طبيعتهما
 فقد كانت مختلفة تماماً ، اذ ان جورج فوكس كان رجلاً عملياً ، وكان
 شغله الشاغل هو ان يبحث عن خروج لما كان يعمل في نفسه عن طريق
 الفعالية الجسدية ، أما بليك فقد كان في وقت واحد مفكراً واضح التفكير
 وحالاً مندداً بالرسوم والطقوس الكنائسية ، وشاعراً من شعراء العالم الآخر .
 وقد تمت انكفرا كليهما باسم جورج فوكس ، في حين ظل بليك مغدوراً لقد حقق
 هذان الرجلان ، بواسطة قوة الارادة الحرة شدة ادراكهم تنوع الالفاظ .
 ومن الضروري ان نذكر في معرض الحديث عنها . ان ما نركاه خلقها
 مسجلاً على الورق لم يكن غير قسم ضئيل من حياتهما . ويمكننا ان نظرب مثلاً
 على ذلك قصة دوق شي وصانع المعاملات ، في كتاب « شوايج زو » . ونقول
 هذه القصة ان صانع المعاملات زار الدوق يوماً في كتاب ما ، فسأله ان يخبره
 عما كان مؤلف الكتاب يتحدث عنه ، فأجابته الدوق بأنه كان يقرأ « كتابات

الفصل الثامن

اللامنتهي كالإنسان يرى رؤى

ان من يرى أية رؤيا هو لامنتهم بالفعل . وليس ذلك لأن من يرون
 الرؤى قليلون بالنسبة إلى بقية أفراد المجتمع ، لأننا في مثل هذه الحالة ،
 يجب ان نعتبر صيادي الثمران مثلاً وغيرهم من الشواذ لامنتعين أيضاً ،
 وانما يرجع ذلك إلى أنه يبدأ من نقطة يفهمها الجميع ، إلا أنه سرعان
 ما يخلت إلى أشياء لا يفهمها الناس . انه يبدأ من « الرغبة في الفعالية
 المتتجة والدرجة الممتازة من الحياة » اللتين تمثلان أعنى ما في الانسان من
 لطرات ، ولا يمر وقت طويل حتى يجده يقول :

« اني أصح نفسي اني لا أرى المخلوقات الخارجية الأخرى ،
 وانها لا تمثل بالنسبة لي حركة ما ، وانما عائقاً . انها كالأبواب الذي يعلق
 بقدي ، والذي لا يمكن ان يتحرك جزءاً مني . قد يسألون : ألت فري ،
 حين تشرق الشمس ، حلقة ملتصقة من النار تشبه الجلبه الذهبي ؟ أو اه
 كلاً .. كلا ، اني أرى ما لا يحصى من ملائكة السماء هائتين : مقدس
 مقدس مقدس ، ربنا الله العظيم . » (١)

أهي انتعارة شعرية ؟ ربما ؟ اليك اذن أن بليك أنجز كواب روبرت
 بأنه كان قد رأى شبح يوليوس قيصر في المساء السابق . وانه قضى معظم حياته
 متحدثاً مع الأرواح أكثر من حديثه مع البشر . ويمكننا ان نعتبر هذا
 أحد أمرين : جنوناً مطلقاً ، أو شكلاً لحرياً من أشكال صحة العقل .

الحكام : الأئمة صانع المعجزة ، فثبت على جوازها النوق قائلان : وحالات
الذين ذهبوا ونقلهم ، ولما سألناه النوق فاجابوا عما سألهم بذلك ، فاجاب صانع
المعجزة قائلان : ١ - ان في صناعة المعجزة لمرأى استطاع ان ادلى عليه اليقين ،
ذلك لا يفي في استطاع ان يقول له ذلك ، وبواسطة التكاليف ، ولهذا لم استطع ان اطلع
أعالي ، وإنما تراني مستمرا على العمل وحدي برغم بلاغتي السعيد ، ولعلني
الامر لا يثبت مع الحكام ، ولا كل ما كان يستحق ، فاجابوا ليسمعت منهم .
أما الثاني الذي استطاعوا ان يصفوه في كتبهم ، فليس الاشارة لا تقدي ، وهذا
هو السبب الذي يجعل قولك انك انما تقرأ حالات الامور ونقلهم .
ونجب علينا الاحتفاظ بها في أذهاننا كلها قرأنا شيئا من المنتقاة
التي كتبها أصحاب الروى أيضا ، فان جوهرا ما رأوه ماتت معهم ، ولا
تكون قيمهم بالنسبة اليها في الروى التي استطاعوا وصفها بكتابهم . وإنما
في الصلوات التي خلقوها لكل من يريد ان يرى الأشياء التي رأوها . انها
تكون ، بعبارة أخرى ، في النظام الذي اليوم .

جيب علينا ان نطرح بعض الأسئلة : قبل ان نسير في بحثنا لخير هيلين
الرجلين . اذ ان هناك بعض القراء من يجعلون ان الأسئلة : التي وثابعا في
القصتين الاول والثاني بخصوص الذين لا يمكن ان عمل . ان الاسمي يدرك
بوضوح ان جميع الناس ليسوا بخاصين مع أنفسهم ، وان الجميع يعملون أعمالهم
بمخاضهم ، اما أجود الذين ، فانها تلوح للاسمي ككافيات متفئة للنجدة .
الناس ويجدهم الراحة . وليس رفض هذا الاسم . الذين راجعاً الى وقوفه ضد
المسيح ، بل على العكس . قد يكون الفناء حقيقياً به الى انجودة انه لا يستطيع ان
يضلها . انه لا يجد دفاعاً عن نفسه في الكتب ذاتها . في يكهارب . مثلاً . الذي
يقول : « لو نحن نحن الحقيقة . فاني سأتركه وأقبل متسجداً » .
وحده ينبغي لنا ان السؤال الذي يجب علينا ان نطرحه هو : اناس من
بمقط القول البيجوه ان مشيقات سمها لعل متسكون الذين المتوسمين
فيهم ان . متسكون من الحقيقة . اما القراء . وان . ان حصاراً في

فيء ان فرق ما بينهم ان يفرقوا به من الامم
 ان يفرقوا ان الامم اليهودي الذي رأينا أدلة عليه في العهود الأولى
 لا يعتبر الحق الثاني أمراً حتمياً، لأن السومري لا يريد أن يفرق بين
 طريق الأول، وإنما عن طريق وأخيراً، ذلك الحق في ذلك من الناحية
 الفلسفية ان سائرهم يقدم الباطل على بوضوح ذلك، فمما إذا كان في
 الطريق وقال: حوت في الطرف الآخر من السلك، واما الذي
 استطاع ان يخلص، وإذا شككت ذلك حتمياً، واما الذي استطاع ان
 يخلص فبالطريق الثاني، واما الذي يفرق بين الأول والثاني
 ما يفرق جوابه هذا، لأن اليسرى في عالم الإنسان لا يفرق بين
 ان هذا هذا الكتاب هو تقرير ما يعرفه الانسان، واما استطاع ان
 يفرق، أما مثلاً في هذا فإنه تجريبي، واما الذي كان في ذلك
 في جوده هذا التعريف، يمكن معرفة أيضاً، فبالا ان ان سلك الامم
 ان لا يفرق بينا من أسئلة التعرف، أي معرفة نفسه، واما الذي استطاع
 ان يقول له: «أفعب وفش عن هذه التعريف، واما الذي استطاع
 استطاع ان يفرق ما بينك وبينك، واما الذي استطاع ان

[illegible][illegible]

دوستوفسكي الصرمار في الفصل السادس ، ولن نقله ان يفت في طريقة
 جدار ، انه من ذلك النوع الذي يصعب به الانسان الصرمار ويختره في
 الوقت نفسه . ان فوكس يتصل بشيء لا يستطيع الانسان الصرمار ان
 يتصل به . ومن ذلك ذاته بطلا . فاذا كان جورج فوكس يقول : « الا ان شيئا
 لم يتبدل فيه قط » ، فان الانسان الصرمار لا يستطيع ان يتبع على هذا .
 الا ان كل من قرأ « المذكرات » يعلم جيداً ان فوكس اكثر من
 مجرد نور يطع بواحدة . تلك ان تفت بنفسه ليست امثلة وانما هي نتيجة
 لشبكة الطويل فيها . وهذا ما لا يفهمه الانسان الصرمار ، لان شبكة في
 قصة لا يؤدي به الى التفتيش عن حل ما بالامرار والعزم اللذين يتنظر
 بهما الناس ، ولهذا فانه ان يكشف ما في استطاعته ان يفعل .

ان الامر الذي لا يشك فيه كل من قرأ « المذكرات » هو ان جورج
 فوكس كان يوماً ما مثلاً على المثالي الذي وجدناه في قصة دوستوفسكي
 « ملاجئات من تحت الأرض » ، وكان ذلك حين لم يكن بعدى الثانية
 عشرة من عمره . وهو حينها كيف شعر في ذلك الوقت بعدم التباينة ،
 تلك الشعور الذي فصله عن ابيه وابيدقائه ، يقول انه ذهب يوماً مع ابن
 عمه الى إحدى الحدائق ، واذا به يكشف فجأة انه يحترق جداراً تاماً كل
 متعة من ذلك النوع ، فوقف ثم قاد الى الحانة و « علبت الى البيت » .
 الا اني لم اذهب الى فراشي ، لا يعني لم اكن اسطيع النوم . وعلقت اني احباً
 وادعوا اسيراً آخرى قالوا ، يا لحي ، انك تزد كيف يفرق الشبان في ظروفهم
 ونفاهاتهم . يتألمون المسجون تحت الأرض ، انك مشركهم جميعاً ، شيئاً
 وشيئاً ، وتبتدع عنهم جميعاً ، وتكون غريباً عنهم جميعاً . (٤)

اية بطور تبت وتفتلل

واية البصانة تنمو وتطير

من هذه القبايات المتحيرة ، يا ابن الانسان

انك لا تستطيع ان تقول ، او تخمين بذلك ، لانك لا تعرف الا

منه من التصورات المحطمة لتلونها الشمس شوالها .

بلا لا تستطيع الشجرة البتة ان تحبها ، ولا الماعز البتة ان يحسها .

كانت مشاعر فوكس في التاسعة عشرة من عمره مثابة الشمس والاعمال

مودة في الأدب الخليل . ذلك ان الطريقة التي يتفكر بها الانسان

في الحقيقة البشرية لا يمكن ان تتبدل في ذلك الا في ظروف

تتبدلون من أولئك الذين يملكون بالذين يملكون القوي . ولا

في أشغالهم . اني أشعر بأنهم لا يمكن ان يتبدلوا . (٥)

بعد شعر فوكس ، كغيره من المثاليين ، بأن ما يدونه الناس الذين

لا شيء متبدل زائف . والله ليقر بأنه « ... شعر في ياديه

نار » . الياس يشكك .. وأستمر سنوات على هذه الحالة ، وقد حطت

على . ان يظني باليأس جلياً . وكان يلجأ الى عذاب النفس باحداً من

الآخر . الا انه لم يحصل على شيء من ذلك . (٦)

« يستطيع ان يتجلى لنا اوتو فوكس . رجلاً » . طالت الشمس وتوالت النجوم .

ولم يدر « حاشك مثل فان كوخ أو ابطال جيس للتبولي الماشي » . ما هو

والذي آمن من ذلك التي شعر بها الناس مثلاً » . ما لم يدر ما هو

من عبادته في هذا العالم . الا ان فوكس كان كاهن من وثنويي العصر

القديم . لكن هؤلاء يرون الذين هموعلم من الإكواب المشاهدة

التي لم يدر من كان . ان تلك الامتياز كانت تلك « موعلاً » حديقاً في

الحدائق . وكانت اثير فيها شدة من جاني الامتياز ، والصدق . انك

تستطيع ان تد جميع عصب . انك الذين وشكل مفهوم قرفة أرسل مع

في العود لمواضعه في ذلك الوقت في دوسون . في وقت شراها . ان

التي لم يدر ما هي . ان ذلك « موعلاً » . انك تستطيع ان تد جميع

عصب . انك الذين وشكل مفهوم قرفة أرسل مع

في العود لمواضعه في ذلك الوقت في دوسون . في وقت شراها . ان

التي لم يدر ما هي . ان ذلك « موعلاً » . انك تستطيع ان تد جميع

عصب . انك الذين وشكل مفهوم قرفة أرسل مع

ويعتزون خلاصتهم أثناء الأمور العظيمة، ولكن : ماذا وجد بدلاً من ذلك ؟
 أغادرت بارنيت ذاهبة إلى اللذة حيث وجدت مأوى آريه يبقى الأنفاس ،
 وقد قاومت فيها كثيراً من السؤس والشقاء ، لأنها عثت فيها عن أولئك الذين
 أذعروا بالدين ، فوجدت الجميع غارقين في الظلام ، متعدين ببقوة الظلام ...
 وكان لي عزم يدهي ميكركك ، وكان فداً ... إلا أنني لم استطع أن
 اتفق معه على نقطة واحدة من نقاط الفهم ، ولقد رأيت الجميع ، شياً
 و شيئاً ، تماماً كما كانوا ... (٧٧)

708

جميعاً اشتياهاً لأنهم لم يستطيعوا أن يبلغوا الحالة التي كنت فيها . (٩)
لقد تخلى هم فوكس الوحيد ، كغيره من اللامتعين ، أن يجد من
يحميه ، وينتظر إلى روحه ليصلح ما فيها من أخطاء بلفظ ورقة . وبذلك
كغيره من اللامتعين أيضاً ، كيف أن عليه هو أن يعمل من أجل خلاصه ،
إنها أصعب رسالة على الإطلاق ، أن يشعر الإنسان بأن هناك عدواً نهائيًا ،
يخطه كل رجل وكل امرأة معه : ألا أن التضال مع هذا اللعن يجب أن
يكون خاصاً بالفرد ذاته ، غير متعلق بالأفراد الآخرين على الإطلاق ، أما
فكرة التعويض والمكافأة فقد ابتدعت للتخفيف من الرعب الذي يحس به
الإنسان أمام هذا العدو النهائي الداخلي ، الذي لا يمكن أن تساعده أية
قوة خارجية على مقاومته . إننا نجد أن جميع القديسين والأساندة الدينيين
قد حسنوا فكرة وجود هذا العدو في صميم الأسس التي دعوا إليها . وقد
أترك معظم المصلحين الدينيين خلفهم كتابات كثيرة تحدثوا فيها عن وكلاءهم
من أجل التور . . . ، أما مميزات هذا الكفاح فأنها لا تختلف في شيء
عن وصف متين وولف ليوم من أيامه الرتيبة : الفشل ، والكتابة ، وموت
الحواس ، وعدم وجود ما يوحى بالألمعية ، وغالباً ما ينتهي ذلك الكفاح
بعد مجهود طويل إلى راحة مفاجئة ، وتتركز دون غريزيين :

على الاستجابة للحالة التي كانت فيها. ذلك لأنه إرادتي أن أعظمه فهو ، لأن كل ما عدا ذلك إنما يتجه إلى الخطيئة . وإلى سجن الانعقاد الذي كنت فيه .
كان يريدني أن أحس بأن يسوع المسيح هو كل ما في نفسي ... (١١)
وإن ترجعنا هذا من اللغة الدينية إلى لغة الالهامي الوجودي ، رأينا أنه حين وصل فوكس إلى حل ما بشاكلة اللائقية ، شعر بالخطيئة الباطنة لأنه لم يكن مضطراً إلى حلها عن طريق الجوء إلى الآخرين ، أو إلى أية عقيدة أو آفاق فكر . لأنه إرادتي أن أعظمه هو ، . . . كان يريدني أن أحس بأن يسوع المسيح هو كل ما في نفسي ، . . . حتى إذا لم تكن هذه العبارات تعني شيئاً باللبنة ، فاته من الواضح أنها تلعب دوراً سيكولوجياً ، بمعنى بذلك شيئاً باللبنة إلى الالهامي . أنها لا تختلف كثيراً عن ادراك ستيفن وولف أنه يجب أن يعاني من الجوع الذي يضطر في أعماقه ، ولذا نجد حتى في عبارته هذه «الجوع الذي يضطر في أعماقه» اعتباراً بهذا الشعور الداخلي. لقد شعر فوكس ، كما شعر ستيفن وولف ، وفان كوخ ، ونجسكي وبطل مارتز ، ببعض الدقائق التي أحس فيها بكامل إرادته ، وأنه يستطيع أن يقول «نعم» وإن كل شيء حسن ، بل أنه يستطيع أن يواجه ذلك الرعب الكامن في أعماقه بهذه الـ «نعم» أيضاً . ومثل هذه اللحظات مألوفة لدى البشر والفنانين ، والمبتدئين أمثال فوكس . وقد تحدثت بذلك ، فأبعتها في ذلك أسلوب يشبه بصورة مباشرة «عن» الشكر رغم كل شيء» : «وذلك في مذابحه البشر العظيمة» .
لعل ، وقد تخلصت في النهاية من هذا الادراك المرعب .

استطاع ان يتفقد بالشكر للملائكة الرأسيه ... (١٧٧) .
 كمال ذلك يمكن ان ساعدنا على معرفة ما كان يدور في « قلب البلطجه »
 الذي نقرأ لهوكس ، وماذا كان يقصد اليه من وراء هذه العبارات ، من الشعر
 التي تعني اقل بالنسبة اليها كانت تعبته بالنسبة المعاصره ، وهم لنا اقل منهم بها
 اكبر منهم اذا شغلنا الواصل الى اعين ما فيها من معنى العاصم المخرج الى
 قدامه ، دون ان نغش ان اعلمه في كل من شعره ، ان كانا قد علمنا اننا نعلمه

في شيء عن كتابه أورس وفاته كرج ويثقه انه من اهل مصر (والظاهر
الداخل) فانه على تلك الرغبة في التغيير الانساني والجمهورية فانه ان
حرقا يثبت عينا لنفس شيئا من المراء وفاته المجرى بشقاء العالم و
الذي سماه وفاته الاذن المربع - اما الامر المثلث فلهذا هو الذي
كان بالية اليه كإعادة التذكير الي الله من قبل الملائكة (التي
الي الآخرة الى المشكلة التي تمت عنها في نهاية الطريق من حيث
مشكلة بيان الأحياء التي استطاع الانتمشي الي عليها من حيث
التي استطاع ان يخلق عنها من اجل انفسه على ذلك الحق . وقد انا
ليب اذا حين قرأنا ما كتب فوكس في الملائكة والحواس المجرى
على بلغة لامتي بازوس كان ذلك شديد التسمية . قد اهتم هذا الملائكة
ان اهتم كتابات كالي على . لم من القسوة على الله

وإذا كنت وحيداً في الله، وأردت حاملي من أجل معرفة الله والمسيح
بحسبه، دون اللجوء إلى أي إنسان أو كتاب، إذ يعلم الله قلوبنا
ما نحب عن الله والمسيح إلا أنهم لم يهتدوا من طريق الأنبياء...

فقد وجدت في بعض النسخ : "اولا الى العذرات ، فلعل اجدادنا ، و
 المساعدة ونفوة ، وثانيها الى الله الخالق ، وبه يسبح المديح ... (١٣)
 في بيان يعني بالضيف ، وبالله الخالق وبه يسبح المديح ، وما هو
 انه امر بها كما يكون الطفل بالمرافات ، او انه وجد فيها ما يوحى شيء
 الشكر لليلة كما يشعير بالمراتي بسلامة - بالبحرور الوافي حين يسمع باسم
 ما هو ان الله كان موكس لامتيا ، والناظر في الانبياء ما يكتفي
 في ان يشاره كنه غير فزوا ثم الى الواقعة السكوني ، بالامانة الى
 في ان يشاره كنه غير فزوا ثم الى الواقعة السكوني ، بالامانة الى
 في ان يشاره كنه غير فزوا ثم الى الواقعة السكوني ، بالامانة الى

باعتبارها تمثل خلاصه ، أما حله فتجده في عنوان كتابه : المجتمع ، الشكل الانساني التحرر ، ، أما عبارة فوكس ، ويجب أن نكون حذرين هنا ، فلها تعني انه يستطيع أن يؤمن بالسل الذي لا يعتمد على البشر الآخرين ولا يتعلق بهم ، أي انه لا علاقة لهذا الحل بالمصادر الخارجية . ولا يلوح انه يريد ان يغير من علاقته بالمجتمع أو من علاقة المجتمع به ، وإنما يريد تغيير علاقته بذاته الداخلية ، ولو سمع فوكس بهذا لأنكره وقلنا انه انما تخلى عن علاقاته الخارجية بالبشر لأنه أراد أن يوطد علاقته بالله : « وقد كتب القديس أوغسطين في معرض حديثه عن السموات التي أعظم فيها بالبشر أكثر من اهتمامه بالله قائلا : « أليست الروح ترتكب الزنا ضدك اذا اهتنت بهذه العلاقات الزائفة ؟ » ، ولكن ما هي العلاقة الكاملة بالله ، ان لم تكن القدرة على التعبير الذاتي ؟ لقد كتب هيس : « لم يحقق أي انسان التعبير الذاتي الكامل » . ان التعبير الذاتي مستحيل مع الآخرين ، لأن تعبيرهم الذاتي يتدخل فيه ويعرقله . ان أمسي ما عبر به البشر عن نفوسهم في الشعر والموسيقى والرسم — توفر لأولئك الذين كانوا وحيدين . ولهذا فانه « الرؤى البهجة » نعتو للفنان أكثر مما تفعل بالنسبة لغيره من الناس ، إذ عليه فقط أن يتصور اللحظة التي يكون فيها وحيداً مركزاً الى درجة انها تملأ حياته وتعمل العلاقات الأخرى غير شكة أو غير ضرورية . ان الناس الآخرين غير موجودين بالنسبة للفنان ، أما اذا انتهت رؤاه تاركة اياه سعيداً جديلاً ، فانه يعود الى الناس ثانية ، إلا انه يعرف على الأقل الاستقلال التام عن البشر الآخرين ، ذلك الاستقلال الذي يميل الناس الى الشك حتى في وجوده العقلي .

ان ما عرفه فوكس كان انه يستطيع أن يحصل على لحظات يشعر فيها بما في أعماقه وحسب ، دون أي شيء خارجي . وقد اكتشف أيضاً انه — السيكلولوجي والمثاق — دائرة المواقف ، إذ يتكلم هيس عن القدرة التي يمتلكها في الحياة في الفرقه فيضليها الرب وتوفيق مريتها انصافاً منه ، إلا انها تعد ان الحرية انما هي رياء بحيث انها لا تستطيع ان تخطئها ، ويرمزها بالملكة والحرية الى نفسه ، وإلهامه حين صانها

تفتتها وحيداً تماماً

إلا استيقظ من مثل تلك اللحظات ، وجد نفسه انساناً آخر مختلفاً . ليس هذا بالأمر الغريب ، إذ يستطيع أن يحسه كل من يخرج من مسرح أو حفل موسيقي أو دار سينما ، إذ يشعر بأنه « بعيد عن نفسه » . كما لا تكن أن يعاني الانسان من تجربة عاطفية أو حبة مركزة ما لم يشعر بعد ذلك بأنه صار انساناً مختلفاً . فأمّا في السينما ، فالتك تعيش حياة الآخرين . دون ان تتعلم جديداً عن نفسك ، وهذا فان الراحة التي تجدها في ذلك . والتعبير الذي نحبه ، لا يمكن ان يستمر أكثر من ساعات ، ولا فنان ان تلقى ذلك الشعور طويلاً . اما اذا كان الفيلم الذي رأيته قد افسدك بأفشاء عن نفسك لم تكن تعرفها من قبل ، وجعلتك تعلم بأنك تستطيع ان تعمل اشياء لم تكن تحلم بها يوماً ، وان كل احكامك السابقة عن نفسك وعن الآخرين انما كانت قائمة على سوء الفهم ، وان عليك ان تلقى بكل تلك الاعتبارات جديداً لتعيش حياتك من جديد ، وللمرة الأولى ، فان الأمر مختلف جداً .

وعندما جومما جليت لفوكس بعد ثلاث سنوات من التجوال في جميع انحاء القليل ، معانياً من صراعه الروحي الشديد الأمزين . ثم بدأ يرى في نفسه سمع اصواتاً ، أو بعبارة أخرى اصبح ، بدأ يحس بتجارب عاطفية جديدة لم يستطيع ان يتخيل عنها إلا بلغة الرؤى والأصوات : (١٤) « ثم رأيت الجبال تلتهب ، والطريق الوعرة والأماكن المتخلفة تصبح اهبل ، أشد تظلاماً ، وكل ذلك لكي يأتي الرب الى الكنيسة .. هذه اشياء موجودة في كل قلبه انساني » .

لقد كان إدراكه اللائقي ، يقتدر ما يعني الأمر اللامتمين الآخرين ،

جداً جداً . « وأدركت ان البلاهة والقسس والناس كانوا كاملين تماماً ، في حين انهم لم يكونوا إلا في الحالة التي اعتبرها أنا شقاء .. وكأولاً يحبون منها تلك الماعول ان أغلظ منه .. ان عقولهم مقيدة ، وهم متغيرون ايدياً ، يفتقدون من هذه الفكرة الى تلك ، ومن هذا المبدأ الى ذلك ... » (١٥)

الا انه عرف الآن أنه اكتشف ما يساعده على التكيف عن كونه لامتسياً ،
او على عدم الشعور بالشقاء بسبب لالانثية ، لأنه شعر بأن اللامتسي
هو في الحقيقة ذلك الانسان القادر على رؤية فساد العالم ، وضلالاته ،
والذي يعرف أيضاً أنه لا يوجد طريق العودة من مثل هذه الوضعية ،
وانما هناك طريق الى الامام وحسب . لقد عني ذلك بالنسبة إليه أن يصيح
في وجه العالم فاضحاً فساداً وضلالاً ، غيراً اياه باللغة البسيطة عليه .
كانت الكنيسة أول اعداء فوكس ، وكذلك كان المصلحون الروحيون .
وبالرغم من أن أولئك الذين يكتشفون العبثية التي تربط التقليدين والفساد
والعسوقين ، هم الذكيه ، يستطيعون ان يحصلوا على نوع من السعادة بالانضمام
الى مثل هذه الجماعات ، الا ان هناك قرماً آخرين يستطيعون أن يروا من الكنيسة
ظواهرها وحسب ، كما عثها أفراداً لم يكرسوا لها شيئاً ، ولم يتولوا ليعلم شي . من
قوة الإرادة ، ولهذا فإن أولئك الناس لا يستطيعون ان يعرفوا جانب الخير منها .
أما أولئك الذين يستطيعون ان يوفقوا بين ما فيهم وبين الكنيسة فسامهم المصلحون
الروحيون : أما ليونمان ، وهنرله ، والهوت ، وجورج فوكس فقد كرهوا ذلك
ووقفوا ضده على طول الخط . لقد تحول فوكس كثيراً حتى توفت ملايه ،
ووقف في وسط السوق مبشراً برسالة القارية ، بل أنه اعتاد ان يقاطع القس
في الكنائس ، الأمر الذي لم يخل أحياناً من « المراك » واستحوال القوة :
« الا ان الناس انهلوا على غاطبين ، والقوتي ارضاً ، وتكادوا يخطونني »
وقد صرخوا كثيراً وجرحوا بشدة بالغة بأيديهم واناجيلهم وعصيمهم ، ثم
اوقفوني ، زعم أنني لم اكن استطع الوقوف ، وخيوني في المرحل ،
ثم جلبوا نوعين من السياط ، سياط كلاب وسياط عجل . . . (٢٦)
إنك تجد كثيراً من هذه الأمور في « المذكرات » ، حتى أنك تشعر
بأن فوكس صار ينفذ بثلث الضرب المرح ، إذ أثبت بذلك أنه قوي
الاحتمال ، بالإضافة الى أنه استطاع بذلك الحصول على بعض المبادئ
والمشفقين ، بل العجيين .

إن نجاحه كواعظ أمر يمكن تبرير غرضه في حينها هذا ، إذ لا بد أن هناك
شيئاً خفياً بالنسبة اليه ، كان سبب قوته ، لأنه كان يسطر بسهولة على قلوب
المستمعين إليه . ربما كان ذلك لأن « الأرواح الجافة » التي كان يغطيها كانت
كالمشم الذي يذهب بسرعة ، من الشرارة الأولى ، تماماً كما كانت معتقداته .
إن من الصعوبة في خدائق « هايد بارك » يعلم كم هو ضائع ذلك الجهد
الذي يبذله الوعاظ ، وهم يشغل أولئك المتعلقون أشد التعلق بإيمانهم في إثارة
حاس الجاهل . أما فوكس ، فقد استطاع أن يحصل على مؤيدين لم يكونوا
يكرهون حتى السخيف في سبيله ، وانما احتملوا الاصطهاد الذي العيب
عليهم من جانب الحكومة ورجال الدين ورفاقهم الآخرين بشجاعة وثبات ،
وصرحوا بأنهم مع ذلك ما يزالون أصدقاء الجميع ، وانهم يبحثون عن
النور في اعماقهم بدلاً عن النشأة في الكنيسة .

أما ما تبقى من القصة فانه بعيد عن مشاكل اللامتسي ، وانما تصبح قصة
حركة دينية وشأناً من شؤون التاريخ . لقد كتب فوكس عن كونه لامتسياً من
فراز ياربوس ، ورجلاً معتكفاً في ذاته لم يجد من يقفه في هذا العالم ، وأصبح
قائد حركة دينية تضاعفت قوتها بعد ذلك كثيراً ، ولم يتقبل فوكس لالانثية
باعتبارها أعراضاً من مرض غريب ، وانما باعتبارها علامة دالة على ان
روحه الصحيحة كانت تعاني من الاختناق في وسط عالم تافه ضحل ليس
فيه غير الحشفي والتفلسف . وما ان أدرك ذلك حتى انتهت المشاكلك بالنسبة
إليه . وكان فوكس كالنسيئة النائمة في البحر ، لم تزعج حمولتها عليها
بصورة معادلة حالت على جانبيها ، أما بعد ذلك ، حين أعاد تنظيم الحموله
وعرف الاتجاه ، فقد صار اعارها هادفاً سهلاً . أنه يقول :

« ان النظام الكامل الذي فرضه الله على الجسد يهدف الى الاحتفاظ
بذا الجسد وعمله تحت مستوى ذلك النظام الكامل ، الا ان نظام الله الكامل هذا
لا يحد من له الا في المبادئ الكامنة التي يمكن ان يجعلها الانسان . » (٢٧)
إذا عرنا هذه السطور على ضوء ما بحثناه سابقاً ، دون ان تسمح لباردة ونظام

الله ، بأن تصرف اذهاننا عن الذكرى الاسامية ، فاننا نستبعد هذه العبارات انما
تتمثل محاولة الالتمسي للوضيح ما حدث في ذاته ، وانما كانت الكلمات المتحملة
في ذلك دقيقة ، فيمكننا استبدالها بكلمات الخاصة ، الا انها ستظل تحفظ بالذات
التي ارادها منها . لقد كان في ذاته دينامو ، وبينما كان ذلك الدينامو موجهاً
لتحريك متطلبات الجسد المألوف الكرش العالي الملق بالطعام والشراب الاجتماعي -
كانت متطلباته العظيمة الأخرى جامعة محرومة . انه يدعو للطلبات الأخيرة
« ينظام الله الكامل » ، وقد رأينا الكثير من مثل هذا في خلال عيشنا ، رغم ان
هذه الكلمات لا تصحنا ، نظرا انها العتيق كما قلنا . ان ما يجد عمداً واضحاً
ليقوم به ، على ضوء نظام الله ، محيراً بذلك عن هذا النظام فانه انما يعمل وفق
« قانون الله » . ويضيف فوكس في معرض حديثه عن هذا القانون قائلاً : « أياً
دع كل من يستطيع أن يأخذه يفعل ذلك » ، اما الآخرون ، حسناً ، ان
الالتمسي لا يعرف شيئاً بخصوص الآخرين ، ولو كان فوكس في مكان المقتس
العام لأجاب بمثل ما أجاب به - : الحيز والمتعة والسلطة المقدسة . الا أن فوكس
لم يواجه هذه المشكلة ، وقد قضى حياته كلها ظاناً ان الناس جميعاً يستطيعون أن
عضلوا غيب الحرية والتقرير الذاتي ، ولم تخل تجربته في مجال هذه القوضوية
الروحية من نجاح ، فقد بشر مثل المسيح بأن كل السائد مسؤول عن خلاصه ،
وانه من الأفضل له أن ينظر الى مشكلته ويواجهها . ولم يكن فوكس سيكولوجياً
عظيماً ، مثل إسكالك ونيومان ليسأل نفسه أسئلة مثيرة مثل : كم من المعرفة الذاتية
يجب أن يتوفر في الإنسان لكي يمكن أن يقال عنه انه قد خلص ؟ (بخودنا مثل
هذا السؤال الى جواب مثل جواب هيس : لم يحقق انسان ما الخلاص !) لقد
كان فوكس قوي العقيدة متواضع الاخران ، يشبه مجلس رئيس الذي قال لتلميذه
في زاوية من زوايا الطريق : « ان ملكة الله في أعناقكم ، والله أعلم شاق
طريق أن تظهروها » ، وقد شعر فوكس بأن حب الناس الى مستوى أعلى من السلوك
الشخصي يعتبر أفضل الطرق لتخليصهم ، ولم يكن الهدف الذي يته الناس يشتمل على
الحصول على القديس بعد الموت . وانما على الثقة بوجود الله في هذه الحياة .

غداً كما شعر هو نفسه .

لقد تساءل فوكس : « ما هي علة الإنسان الذي لا يستطيع الخلاص ؟ »
انه كسول ، وتقصه المثل العليا . ولا يستطيع ان يرى ابعده من الله . فاهو
خلاصه اذن ؟ انه لا غنى من الأهداف العليا . وأنه لا تخاف من الشعور
بأن وشاح الشعراء والأنبياء الذين عاشوا من قبله قد اسطر على كتفيه ، وحده ،
وان مستقبل البشرية جمعاء متوقف عليه . ولما تقبل فوكس هذا لنفسه
كأنه عن كونه لامتياً شقياً وأصبح قائداً كبيراً ، وقد نصح كل من
قابه باستخدام هذا العلاج . وهنا يعرض أحداهم قائلاً : « ولكن الناس
ليسوا لامتين جميعاً ؟ » ويجب فوكس على ذلك قائلاً : « هراء ادع كل
انسان يفتح عينيه على العالم الذي يعيش فيه . فاذا فعل ذلك فانه سيجب
لامتياً على الفور ، وسيبدأ بالظن بأنه يرى أكثر واهم مما يجب ، ويتبين
باعتداله أنه لا يستطيع ان يرى أكثر واهم مما يجب .

وهذا يشبه بالضبط قول نواليس : « يستطيع كل الناس ان يكونوا توابع ،
او لم يكونوا كذلك » . الا ان مثل هذا الظن صعب الاثبات ، فقد يكون ذلك
صحيحاً بالنسبة الى نواليس ونفسه . وقد يكون صحيحاً بالنسبة لي ولك .
لأننا توابع فعلاً ، ولكن القول بأن الجميع يستطيعون امر مختلف جداً ، وكذلك
الأمر بالنسبة للخلاص والكمال . واذا كان الخلاص يعني المعرفة الذاتية فانه
للروح ان النسبة الكبرى من البشر ملغوة مقدماً .

عنه نفس امر فوكس قليلاً ، لنبحث امر هذه المعرفة الذاتية . ان الباربع
ملموه بالأشخاص الذين استطاعوا بواسطة قوى روحية خالصة ان يتخلصوا من
جموعة من الظروف ويتحولوا الى مجموعة أخرى مغايرة ، بل أعلى . وشهدت
مثل هذا في ميدان الفنون ، وحاجة الأدب . ويمكننا ان نقرب مثلاً حديثاً على
ذلك . هو « أوديس » الذي ولد في ريفت فونتكهام ومنط مناجم الفحم ، وكان « ادم
بلد » في تلك المناطق ، فلو كان لوديس تحلل ظروفه التي فرضها « ادم
» باعتبارها حدوده الذاتية التي لا يمكن تحليها . في الظروف الراضة ، كما نقل

نحن) ، لظل عاملاً في المواجه مثل ابنه ، او لأصبح ، لفسده ، كانياً في دائرة المنجم ، او معلماً متواضعاً ، الا ان كفاحه من اجل التعبير الداني ، ذلك الكفاح الذي ادنى به الى كتابة الابناء والعشاق ، لم يكن غير هذه المعرفة الدانية نفسها . وينطبق ذلك على كتاب كثيرين ، فان التخلل الذي يقوم به الكاتب في أعماله هو بحث ذاته لتغلل في أعمال العالم الواسع ، وفي أتحاف غيره من الكتاب ، فكانه يقارن بينه وبينهم ، مكتشفاً كثيراً من العلاقات ، ومتركاً شيئاً فشيئاً ما يملكه هو من القوة . ولو لم يكن الأمر كذلك أيضاً . لظل دكتور عاملاً بسيطاً في احد المصانع ، ولما ترك برنارد شو الدائرة التي كان يعمل فيها في دبلن ، ولما ريت ويلز مستخدماً في دكان بقالة ، وربك احد الفراد الجيش الروسي . الا ان رغبة هؤلاء الملحة من اجل اكتشاف الذات صنعت منهم جميعاً كتاباً عظيماً ، وقوى عقلية محررة في هذا العصر . ولكن ، هل في امكاننا ان نقول ان كلا من هؤلاء استطاع ان يدرك نفسه ؟ كلا ، فقد كان يملكه دائم التشاؤم من الأمراض ، وويلز عرافاً سياسياً ولم تكن العلاجات التي وصفها لادواء العصر الا مجموعة من الأكاذيب ، اما دكتور فقد كان عاطفياً حم لفتاه في حين ان شو ، الذي يعتبر اعظم الأربعة ، اصبح حين تقدم به العمر رجلاً مغزوراً بنفسه .

كيف ، إذن ، نستطيع ان نتحدث عن المعرفة الدانية ، والخلاص النهائي ؟ لقد خلص د. ه. لورنس نفسه من المواجه ليصبح في اقل من عشر سنوات مغزوراً بذاته ، نكتب الكافارو ، و. و. عشيق الليدي شاترلي ، اللذين تخلص فيها غروره هذا حتى انه ليضايقك . وارجو ان لا تعتبر هذا تقدماً ظاهراً لهذا الكاتب الكبير ، وانما تكمن هنالك مشكلة كبيرة ، وما عليك الا ان تدع القراء الذين يعتمدون كثيراً على قواهم البيولوجية يحاولون قراءة كتب هؤلاء الكتاب الخمسة الذين ذكرتهم ، ويعتقون النظر في تاريخ حياتهم ، ويحاولون ايضاً ، وكأنهم يحلون لغزاً روحياً ، ان يعرفوا كيف سيعيشون هم حياة كل واحد من هؤلاء اذا توفرت لهم نفس ظروفهم . دعهم يدروا ان هؤلاء الأشخاص جميعاً كان ينقصهم النقد الذاتي ذلك النفس الذي قل لانداهم ، ثم دعهم يسألوا :

كيف كان باستطاعتهم تجنب ذلك ؟ عند ذلك يدركون ان اعطروا بهذه المعرفة الذاتية هو ان يتقبل الناس الانسان الذي ينشغل باختياره قائداً روحياً . وبعداً هذه النقطة الى جورج فوكس ، فيا ترى ان اي حد يستطيع تاريخ حياته ان يربطنا حلاً نهائياً مقنعاً لمشاكل اللاوعي ؟ انه لا يفعل ذلك إطلاقاً مع الأسف . وقد يكون باستطاعة المذكرات ، ان تعودنا شيئاً ، وللهنا بعض الحلول ، الا انها ما نكاد تبلغ نقطة معينة حتى نجد أنفسنا منعزلين من البرودة الى حوة اخرى . لقد ضيع فوكس نفسه في مناعة التفاهات التي سفل بها عصره . ويمكننا ان نعتبر حركة الصداقة شيئاً قبيحاً ، ولكن ، هل ذلك كل ما في الأمر ؟ دعنا نذكر ايضاً ستراد ، الذي يقول :

ستراد : دعيني من خلال السيطرة ، لقد كانت لدي يوماً ما - والتي لشكرك على ذلك - قوة ما في داخلي الا ان تلك القوة لم تستجب لأي دافع .. جوان : حتى ، ولا لدافع سبب معقول ؟

ستراد : (كمن يظن نفسه من مغريات اللاهوتية) هنالك الكثير من الأسباب المعقولة ، التي يسهر عليها الأدعياء البارزون ، الذين يطلب عليهم حب الظهور ، والذين يرقبون يعطوهم الصغيرة ماذا يتحدث .. هذا يحدث عن قوتهم - التي لا يمكن ان تستعار او يساروم عليها - لوجدت انها تنبعث من الحياة السرية .. »

يمكننا ان نرى كيف ان فوكس الفضل من ستراد ، لأنه تعقب قواه الدانية الى جذورها الأساسية ، وأثارها ووجهها نحو الفعل . وقد رفض فوكس حياة الدرجة الثانية ، (حياة الدرجة الثانية تخص الشيطان) ، وجعل من نفسه رجلاً عالياً ، ولكن ماذا بعد ؟

يلوح اننا لن نحصل على جواب هذا السؤال ، واننا يجب ان نتخطاه الآن ، لأنها رأينا كيف انه حين تعودنا مشاكل اللاوعي الى زقاق مسدود نبعث علينا ان نعود باحثين عن طريق آخر . لو كان فوكس قد احرق مثل ايليا ، لما قربنا رأينا فيه ، ولظل بالنسبة اليها مثل الفعل ، كأي لامتني آخر . ولكن ، هل نظل

اللامنتسمون القشل جميعاً ؟ لقد اذكرك ميرسول : « كنت سعيداً ، وما ازال سعيداً ، ولكن ما فائدة كون الانسان سعيداً اذا لم يدرك ذلك الا في ساعة موته ؟ وقد كان فوكس أفضل من لامنتي بارنيس والانسان الصريح أيضاً ، كان افضل من فان كوخ ولورنس ، لأن محاولته أدت الى نجاح أكثر من نجاحها .

ولكن ، في أى أمر فشل يا ترى ؟

لقد دلنا سنراود على الجواب : هو : الضلال . لقد تقبل فوكس العالم كما رآه ، ولم يتفق مع المفاهيم الاخلاقية السائدة آنذاك ، وانما اتفق مع التفسير الميتافيزيكية وثباتها ، وهكذا قال ان الواقع هو ما يبدو .

دعنا نعد الى نيشه : نيشه حين كان في العشرين من عمره ، يوم اكتشف جليداً بالياً عتيقاً في إحدى مكبات لايزك ، وقرأه مباشرة :

« العالم كإرادة ومظهر » لشوبنهاور :

« وشعرت بعين الفن الواسعة ، غير المنحرفة ، تملقني في ، ورأيت مرآة استطعت ان ارى فيها العالم ، الحياة وزوجي أنا في عظمة خيفة ... » (١٨)
لقد جعل شوبنهاور نيشه يدرك أنه ، كشاعر وكلامس ، كان لديه شيء من شعور العقل الباطن طيلة وقت طويل : بأن العالم لم يكن في الحقيقة هذه الأشياء البورجوازية الظاهرة عليه ، وانما هو الارادة والوهم . وكان شوبنهاور مولعاً باقتباس بعض العبارات « اليونانية » ، وكان يدعوها « وهم مايا » ، أما رأي هذه الفلسفة الخلدوسية فهو : أن العالم ليس الا مظهر من مظاهر براهما المطلق الذي لا تميزه ميزة ما ، وانك لتجد في المسيحية شيئاً مثل هذا : « اجد : « الله هو كل شيء » ، الا أن الأمر يختلف اذا قلنا وانت تنضم الى قيادة الكنيسة ، أو اذا قلنا وانت لانتهم .

لقد توفر ذلك للامنتسمين الذين بحثت أمرهم في الفصل الأول ، إذ أنهم شكوا في حقيقة عالم البورجوازية (انني ادعوه كذلك لأنني لا اجد كلمة أخرى تعبر عن المفهوم الذي اهدف اليه غيرها ، انني اقصد بهذا ، العالم كما يلوح للحيوان

البشري الاجتماعي ،) . وتجد ذلك كله ملخصاً في عبارة توليل آدم : « أما قضاء هذه الحياة ، فيسفل ذلك خلعتنا لنا » . ويعني ذلك أن الشخصية الانسانية مفهومة باعتبارها عبثة ، ما تكاد تحصل بالعالم حتى تسرد على الروح سلسلة من الأكاذيب . عن ذاتها وعن علاقاتها بالآخرين . ويعتقد آكسيل حين يجد نفسه وحيداً متاعلاً ، منهمكاً في دراماته ، بأن روحه تحقق بذلك اكمل صفة بالعالم ، الا انه ما يكاد يبدأ بالعيش حتى تبدأ الأكاذيب . « لقد اراد ان يرى : في العالم الحقيقي ، تلك الصورة المعنوية التي ظلمنا تخيلناها بروحه ، » هذا ما يقوله جويس عن ديدالوس ، الا ان ذلك من مميزات اللامنتسمين جميعاً ، وقد فعل ذلك فوكس أيضاً خلال تجواله ، ولكن ، هل رأى ما كان يبحث عنه ؟ هل خلفه بواسطة عقلية الشادة في الناس الآخرين ؟

اذا اذا حكمنا عليه وفق مقاييس اللامنتي العابسة الكتيبة لما كان الجواب غير لا . لقد ارانا فوكس طريقاً ما ، ووسيلة للبدء بحل المشكلة ، وازانا كذلك انه لا داعي للشعور بالكتابة والاندحار امامها ، والتقرير بأن العالم والروح تتلان مشاكل لا يمكن التوصل الى حلها قط ، كما فعل شوبنهاور . ان « المذكرات » تعتبر وثيقة أشد إيجام . وفقاً من « العالم كإرادة ومظهر » ، « الا انها ليست أكثر صراحة منها من الناحية السيكولوجية » ، كما يحل اللامنتي الى ان يغترس . ان مفهوم العالم باعتباره ارادة ووهماً واضح في الصفحات الأولى من المذكرات وتوضحه الى شوبنهاور . الا اننا في النهاية نكتشف ان فوكس يتخطى الحل النهائي ، ونشعر بأن الواقع القاسي الصافع (أو كما يقول جيمس : الحقائق الجافة التي لا يمكن تلخيصها) قد أصبحت له اليد الطولى في الأمر . بل اننا نشك في امر فوكس ونحس بأنه قد صار ثنائياً يتحدث عن نفسه دون أي رقيب ناقد في ذاته . هناك مثلاً مسألة جيمس نايلر :

كان نايلر ساعد فوكس الأيمن ، وكانت شاباً لامعاً ، وعطية مؤثراً ، وكانت له المرحلة الثانية بعد فوكس في تلك المرحلة . الا ان نايلر كان انجذب عموماً من فوكس ، وقد ترك أمرآتين من الأعضاء فتبعانه لأنه كان المسيح المنتظر ،

واله أرسل ليشر باقتراب يوم الدينونة ، وهكذا اقتنع فايلر وتركيب حاراً قاده امرأتان وهما تاديايان ، مقدس ، مقدس ، مقدس ، وكانوا متجهين نحو بريستول ، إلا ان الشرطة قبضت عليهم بتهمة الإلحاد ، واعتبرت ذلك حكمة مثل فيها فايلر : « ادعي بأنك ابن الله ؟ » فأجاب : « اجل ، وكذلك الجميع » ، إلا ان القضاة لم يشعروا بالفرح امام مثل هذا الرد المضحك المتفق مع أصول اللاهوت ، فأصدروا حكمهم عليه وكان يتضمن الجلد العلوي في لندن وبريستول ، وختم جيئة بحرف « بي » (بلا مقيد : ملحد) ، وتحريق لسانه بقبض من الحديد المحيى . وقد أثارت وحشية هذا الحكم حتى أولئك الذين لم يكونوا من « الاصدقاء » ، أما فوكس فلم يره ذلك ، لأنه كان غاضباً على فايلر بسبب خائفة ، التي أدت الى اضعاف الحركة كثيراً . وقد رفض فوكس التوصلات التي بذلت له لحمله على الوقوف بجانب فايلر ، وأعمل رسالة فايلر التي سأله فيها ان يزوره في سجنه ، حيث بقي فايلر اقضى معاملة ، رغم تنفيذ أحكام الجلد والتعذيب والحرق بتهمة « إلا ان فوكس كتب الى فايلر رسالة في آخر الأمر ، يلومه فيها لأنه يتهمه بالغيرة منه ويقول له فيها : ولا عذر لك في هذا ... ولا مصلح » ، وظل فايلر في السجن ثلاث سنوات ، ثم أطلق سراحه في ايلول عام ١٦٥٩ . ولم يمر عام واحد على ذلك حتى هاجم اللصوص يوماً وهو في طريقه الى الشمال ، مات .

وبلوح ان سلوك فوكس في هذه القضية كان بعيداً عن الانسانية ، إلا ان ذلك ليس صحيحاً ، لأن فوكس كان قد كرم حياته كلها من اجل مبادئه ، ولذلك فانه لم يشأ ان يريف من هذه المبادئ شيئاً بالدفاع عن الرجل الذي ريفها . وقد كان دائماً متحكماً ، ويمكن تعزيز تصرفه هذا كما يبرز تصرف أي سياسي لا يدع مشاغفه تغلب على عقائده . أما رأي اللامتشي في هذا ، فهو انه من المزعج ان يجد فوكس نفسه في مثل هذا الموقف ، وان اللامتشي يجب ان يعنى بالسيكولوجية الانسانية . وحسب ، مختزاً بين العالم كإرادة والعالم كوجود ، ولهذا فان هذه القضية عظيمة الى درجة انها لا تمت الى اللامتشي بقسلة ، فكيف يمكن للامتشي ان يضع

نفسه في مثل هذا الموقف الطائش ؟

من المبدل بالنسبة الى فوكس ان نسال : كيف كان باستطاعته ان يتحدى ذلك ؟ ان الثلاثة يقولون لك انه اذا كان الانسان يحمل عقيداً ما في نفسه ، فلا بد من وجود حقيقة او فكرة تتعلق بهذا القياس ، فما هو هذا القياس الذي تحكم به عل فوكس ؟

ذلك امر صعب ، لأننا لسنا متأكدين من الأمور التي انتهى اليها ، ولك ان نسال اللامتشي : ماذا يريد ؟ وسجيتك بأنه لا يدري . لماذا ؟ لأنه يريد بصورة عقلية ، وليس من السهل التعبير عن الاتهامات التي تدفعك اليها فطرتك ، لقد أراد دليل . بيد ينس حين كان شاباً أرضاً عيالية وتلاشى فيها وحدة القلب ، أما داروين وتوميسين وبينر فكانوا ، والصفات عشاق لدعوت النهل :

« ليست طويلاً ، أيام الحزن والرهور

التي بقضها حلم ضبابي

أما ظرفنا ، فنلوح لحظات ، ثم يطيق

عليها الحلم . » (١٩)

لقد أراد أكجيل أن يعيش في النياال وحده ، في قلعة على الزاين ، عازلاً عن مجلدات مسخرة تحت في قلعة الشك ، أما ينس فقد حاول ان يحقق ذلك بدعوته الى توحيد الشعراء في منظمة انوية تعيش في قلعة منفردة على قمة صخرة عظيمة في الاركتي في روسكومون .

« فكرت في خطة تهدف الى بناء منظمة صوفية ، وشراء قلعة أو ايجارها والاحتفاظ بها للاعضاء فقط ، الذين يملكون الى العزلة والأمل ، وبذلك نستطيع ان نجابهنا تشه حياة ايلويس وساموئيليس ، ولدي شعور أكيد بأن الأرواح تنتج هناك بطريقة غامضة ، كما فحنت أمام بليك ، وبوسينديز ، وبوميه ، أما كما المنسية فهي كل ما يكتب في مجال الأدب الخيالي ... »

أد فكرة ينس هذه هي مثل اللامتشي الأمل ، الذي تعبى حتى لدى اللامتشيون اللازوماتيين : العزلة والانسحاب ، ومحاولة تنظيم رواية وسط هذه

« القوضى الشيطانية » يجد فيها الإنسان ما يرضي رغباته ، ولا شك في أن النقاد الماركسيين سيدعون ذلك نهرياً ، ولن يكون ذلك خطأ محضاً من جانبهم ، ولكن ، دعنا ننحصر رأيي بنس أكثر . أن الفرق الحقيقي بين الماركسي وبين اللامتسي الرومانسي هو أن الأول يريد أن يهبط بالجثة إلى الأرض ، بينما يريد الثاني أن يرتفع بالأرض إلى الجنة . ويرى اللامتسي أن الماركسي قبل الإدراك لأنه يريد أن يوجد جنة في الأرض ، وأنه يبني أفكاره هذه على مفهوم خاطيء للبيولوجية الانسانية . (تعتبر « العالم الجديد الشجاع » للدوس هكسلي و « نحن » لزاماتين ، تعبيرين نموذجيين عن النقد الذي يوجهه اللامتسي للمثالية الاجتماعية) . لقد جمع جورج فوكس بين عملية الماركسي ومقياس اللامتسي العالي بخصوص « جنة الأرض » ، إلا أنه رغم نجاحه في « عملية » فشل في التغلغل إلى أعماق المثل الأعلى اللامتسي . ترى ماذا الجز فوكس ؟ لقد أسس جمعية الأصدقاء ، وأنه لأمر جميل تأسيس هذه الجمعية ، إلا أن ذلك لم يستطع أن يقضي على الطوائف القديمة ، وإنما استطاع بذلك أن يقضي على عزلة اللاتائية فحسب . وفهم من ذلك أنه قبل ، كعلم ديني ، نفسه والعالم ، في حين لا يستطيع اللامتسي أن يفعل ذلك . لقد قبل فوكس فلسفة متفائلة جوهرية . ولما فهم « الأصدقاء » أن في أحقادهم نزراً ، شعروا بأن الشر قد اندجز نهائياً ، ولم يعد أمامهم إلا أن يعملوا على ضيوع ذلك النور ، لأنه قد تم حصر العدو في نطاق محدود . على أن الشر الكامن في هذا هو ذاته الذي تجده في كل مذهب يهب اتباعه شعوراً بأنهم يملكون طيبة مقدسة وأنهم منزهون في ذلك . ويعتقد اللامتسي أن أفضل مكان يستطيع منه أن يراقب كوميديا البشرية الخالدة ، البشرية التي تقذف نفسها بالوهم ، (ما عدنا من شهد جهنمها ، ومن

« من الطريق أن تلاحظ أن قصة لزاماتين ، التي نشرت في روسيا عام ١٩٢٧ ، تتشابه كثيراً قوياً جداً مع قصة جورج أورويل (١٩٨٤) » . بل إننا لنعتقد أن كانت تلك الرواية ترجمة بالغة الإنكليزية لما جاء أورويل من نشر قصته . وبالرغم من أن هناك ترجمة أمريكية لهذه القصة ، إلا أنها معدومة في أروق الكتب .

تكان عالماً مستحيلاً » ، هو اجتماع تعقده جماعة الأصدقاء في أمسيات الأحلام ، ولما التمييز بين الحقيقة واللاحقية فهو ، مفقود ، كما أنه ليس هناك أدلة بأن الخير مرتبط بالحقيقة ، والشر باللاحقية ، لأن البشر يتناولون أنفسهم في تلك الاجتماعات مجردة من الشعور بالعبودية ، باعتبار ما لديهم من نور ، والمعروف أن النور الداخلي لا يفعل الشر قط ! وقد يلوح هذا النقد فلسفياً بغير عقل ، إلا أننا يجب أن نذكر أننا نرى الأمر من وجهة نظر اللامتسي ، من وجهة نظر روكاتان مثلاً ، الذي يعتقد أن أولئك الذين يدعون بأن جوهرهم ضروري ليسوا غير كلاب قدرة . إن هدف اللامتسي هو أنه يميز بين الحقيقة واللاحقية ، والضروري وغير الضروري . فإذا لم تستطع مقاييس فوكس أن تفعل ذلك فإن علينا أن نلومه ، لأن المشكلة هي من الصعوبة بحيث أن أي تآزل أو اتفاق مؤقت من جانبنا إنما يزيدنا تعقيداً .

لقد كان فوكس ، إذن ، عالماً أكثر مما يجب ، وكانت طريقته في إقناع البشر جميعاً بأن يكونوا لامتسين وأنسج أكثر مما يجب أيضاً ، مما جعلها فشل في معالجة التعقيد الشديد الذي تسبب به المشكلة ، ولهذا فقد فشل في حلها .

علينا أن نعرف عظيمة الجهود التي بذلها فوكس لحل مشاكل اللامتسي ، قبل أن نترك أمره . لقد كان أفضل أستاذة الكثير الذين ، وأما مبداه فهو مبدأ اللامتسي ، ولو وجد فوكس في ظروف مختلفة وفي عصر آخر قلعه كان يكون مؤسس دين جديد ، بدلاً من طائفة جديدة ، لأن مؤسسي الأديان جميعاً لم يقلوا عن فوكس تباركاً عن بعض الأشياء من أجل جعل أديانهم متناسبة مع الجنيح .

بدأ فوكس بحل مشاكل اللاتائية حين قبل مصيره كني . اننا لم أن اللامتسي هو بالدرجة الأولى ناقد ، وإذا شعر الناقد شعوراً عبقياً كالذي بالشئ ، الذي يقوم بنقده فإنه يصبح نياً .

لقد صدر بليك قصيدته الطويلة عن « ملحن » مختلف من أحد الكتب : « وليت كل الناس يصيحبون أنبياء الله » . وقد قبل فوكس مثل هذا الشعور من أعماق

قلبه ، بل انه حاول ان يجعل من كل البشر انبياء ، وكان اسلوبه في ذلك من القوة بحيث انه حصل على نسبة كبيرة من النجاح . اما بليك ، فقد تلقى حياته معجوراً تماماً ، ولم تغرق برة البوة صوته قط ، الا انه لم يتحدث الى الناس فوق المنابر ، وقد اعتبره الناس في حياته عبقراً هادئاً ، بل ان اصداغاه انفسهم لم يعترفوا له بالبروغ . ولم يلقى ذلك المجهود بليك ، وانما واطب على اعماله ، فرسم ما رسم وكتب ما كتب من القصائد ، ولم يزل شهرة ، ولا نجاحاً في كل اعماله ، الا انه عاش بالفصل ما في استطاعته ونهى في ذلك مبادئه السلك الاغريق ، وآمن بأنه كان يملك كل ما يحتاج اليه :

« لدي القطة العقلية ، والصحة العقلية
والاصداغاء المقلون والثروة العقلية
وزوجة اجمها ونحبي

لدي كل شيء : هذا ثروات الجسد . » (٢١)

كان كفاح بليك يشبه كفاح نيتشه ، بل ان تشابه طريقتهما في الفكر الى العالم يبعث على الدهشة . لقد سبق احدهما الآخر بثمانين عاماً ، فعاصر بليك الدكتور جونسن ، وعاصر نيتشه دوستوفسكي . وكان بليك مخطوطاً بزواجه التي وقتت الى جانب في ذلك الكفاح ، وكانت غداة ودية لطيفة ، لم تكف قط عن اعتبار زوجها رجلاً عظيماً . ولو فوفرت نيتشه مثل هذه الزوجة لانتفذه من جنونه حتماً .

اعتقد بليك بأن الشهرة ليست ضرورية للعقري ، لأن الانسان يولد جيداً وقيوت ، جيداً ، فاذا صح علاقاته الاجتماعية بايانه الى حد انه يبتنى وحدته الأساسية ، فانه يعيش في فردوس الحقائق . وقد شغلته منذ البداية مسألة الذاتية المنفردة ، اي انك لا تستطيع ان تتأكد من وجود أي شيء او أي انسان ما عدا نفسك :

« لا يحب احدٌ كما يحب نفسه
ولا يحترم ذاتاً كما يحترم ذاته

ومن المستحيل عليه ان يفهم ذاتاً اخرى
كما يفهم ذاته . » (٢٢)

تلك هي نقطة انطلاق ايقان كارامازوف ، التي تبدأ بالتساؤل عن معنى الشجرة المسيحية التي تعظك بأن تحب جارك كما تحب نفسك . وانه تحب الله الذي يأمر ابراهيم ببيع اسحق . لقد قرر بليك أن يفتح الأسس قبل البداية ، فاذا كان وضع أسسه يعني مهاجمة الأسس الدينية ، فلا بأس . والله يخبرنا بهذا في فاتحة عمل من أعماله الأولى :

« بما ان الحرية أفضل طرف المعرفة ، فان قدرتنا على المعرفة يجب ان تكون تلك التي تتغير وتجرب فعلاً . » (٢٣)

هذا امر يدينني من الناحية العلمية ، واذا وجدته مذكوراً في كراس تصوره جمعية علمية لما رأيت في ذلك عجباً ، الا انك ما ظنيت ان ترى بليك يتنقل في المقاطع التالية من هذه الفكرة ليفرق في صوته :

«... ان الشاعر العقري هو الانسان الحقيقي ، أما الجسد او المظهر الخارجي للانسان ، فانه مشتق من البوغ الشعري . بل ان الاشياء كلها مشتقة من هذه الأسس ذاتها ، تلك الأسس التي دعاها الاقدمون بالملك ، والروح ، والملك الحارس . »

ان العقيرة الشعرية تدعى في كل مكان بزواج النبوة . نجد هنا تأكيداً آخر على النبوة ، كما يمكننا ان نتوقع من القشت العام الذي عدلنا عنه ايقان ان يضيف الى البار بليك وفوكس الى جانب المسيح .

يرى القاري انني اقتضت من بليك كتابات ترويه وهو ماثر في خط مستقيم مع نيتشه . - « الحيوية هي النعمة الحالية » . أي انه لم يسر مع العظات المسيحية التي تقول : « مباركون هم الفقراء في ابراهيم » . وانما يسر مع الفكرة التي أخذ الانسان العقري . وسفرهم في نهاية الكتاب بتحليل مفهوم « المسيحي » و « النحوي » ، الا انني أود ان اشر هنا الى ان هذه « الحيوانية » ليست فلسفة معالجة باعتبار هذه الهاء كل البداية وكل النهاية ، واعتبار كل القيم الاخلاقية

الأخرى تابعة لها ، موضوعة من أجلها ، لأن هذه الفلسفة « الحياتية » قد تعني خلق هذه القيم أو تحديدنا فحسب ، وعندنا كتب أرسطو طاليس : « أفضل الأشياء هو أن لا يولد الإنسان ، والموت أفضل من الحياة » فقد عبر عن الرأي الذي يمكن أن يقال عنه أنه جانب من الطرفين الديني ، أما في الجانب الآخر فأننا نجد هذه « الحياتية » ، أو فكرة كيريلوف « كل شيء حسن » (لاحظ أن كيريلوف عد نفسه كافراً) ، ويمكننا ، بهذا المعنى اعتبار « الحياتية » ثورة على ما في القوانين الأخلاقية من جبرية :

« عبادة الله هي : تقدير مواهب الآخرين ، كلاً حسب تفرغه ، ومحبة العظماء أكثر من محبة الآخرين ... » (٢٣)

وعبرنا إليك بأن المسيح نقض الوصايا العشر كلها حين قال : « أخبركم بأنه لا يمكن أن توجد فضيلة إذا لم نعص هذه الوصايا العشر . لقد كان المسيح يمثل الفضيلة ذاتها ، ولهذا فقد عمل على ضوء دوافعه ، لا على ضوء القواعد والوصايا . » (٢٤)

وهنا نجد دفاعاً عن راسكولنيكوف وسافروجين : فكل دافع في الذات هو خير ، و « الحياة هي المتعة الخالدة » ، وقد كتب إليك في « القدس » :

« حين تطيق الكهوف على الفكر »

فإن الحب سيكشف عن جذوره حتى في أعظم أعماق المنجم ... » (٢٥)
وبعبارة أخرى ، إذا لم يستطع الإنسان أن يعبر عن ذاته ، راحت حيويته تبحث عن مخرج بواسطة الجبروت أو العنف ، ويربنا إليك موازاً وتكراراً في أعماله عدم أكثراته بالمسائل الأخلاقية إذا كان التعبير الذاتي مكتوماً مشلولاً . « اقل طفلاً في مهده ، فذلك أفضل من كبت رغبة غير مطمئة . »

« إن من لا يستطيع أن يسند الحقيقة يكون مضطراً إلى اسناد الكتب ... »

لكي لا تنتهي الحياة وما فيها من حيوية . » (٢٦)

لقد كان إليك مفكراً جريئاً بطرق أخرى ، بالقضايا الجنسية مثلاً ، فقد قال إليك « قبل قرن ونصف من ظهور « عشيق اليلدي شانزلي » لـ « د. هر لوفزنس » : إن الجنس يستطيع أن يصل بالإنسان إلى مستوى الرؤى . » وقال أيضاً إن أفضل

الطرق للتغلب على الشرور هي طريقة المساح المجال لهذه الشرور وأعطائها أكمل تعبير ذاتي ممكن ، فما نتيجة ذلك إلا الفضيلة :

« إلا أن الجشع تدفق »

ونبع الحسد من عين الخراف »

والغضب من دم الأسود المتخثر »

ولدت الدعارة مع قيثارة العذراء »

أو شبت من حياء »

حتى حطم الجشع قيوده وخلوده »

وأغشى تاركاً الأبواب مفتوحة »

وغشى الحسد في حفل القبي »

وسار الغضب يتبعه حل صغير »

وكان أن ولد للداعر والعذراء »

شعب عظيم . » (٢٧)

ونقال إن إليك كان مقتنعاً ببراءة الحواس إلى درجة أنه اقترح أن يأخذ

وصيفة زوجته معه إلى فراشه ، إلا أن زوجته رفضت أن تسمح له بذلك . إلا

أن اقتراحه هذا كان متفقاً مع التعاليم التي كتبها في كتبه النبوية . ويربنا

في « رؤى ابنه اليون » البطلة وهي تمد زوجها « ثيوتورمون » :

« بأن اقتنع لك غنيات فضبات حادثات ، أو ذهبيات مشيرات ، »

وأنشطجع بجانيك ، على الشاطيء . » « أرقب اتصالك بيني ، بركة على

بركة يا ثيوتورمون . » (٢٨)

ولم يكن هذا دعارة من جانب إليك ، وإنما كان جزءاً من عقيدته

الدينية . أنه يجعل أولاد يسأل :

« كيف يمكن للمتعة أن تتلافى في أخرى ؟ أليس المتع المختلفة

مفسدة . خالدة ، لا نهائية ؟ وكل متعة هي حب . »

أما السؤال الذي يجب علينا أن نسأله فهو : ماذا كان معيار نظام إليك ؟

بلوح لنا من هذه النقضات أن لدى بليك شيئاً من الأفكار روسو عن
« العودة إلى الطبيعة » .

كانت النهاية « بكلمة واحدة ، الرؤيا ، أو قول ، نعم » . تلك كانت النهاية
عند بليك ، وهي تشبه نهاية نيتشه وديككه « الشكر رغم كل شيء » .

لقد عرفت بليك ، تماماً مثل فان كوخ ونيث ، لحظات رأى فيها العالم
إيجابياً تماماً ، وغيراً مطلقاً . وكان بليك وساماً أيضاً ، وقد رسم فان كوخ
خول قمع لاحت ملهية متأججة ، أما بليك فقد رسم صورة شخصية لنفسه
عائلة بذلك الأساس الخلفي نفسه ، للتصطبب الراق ، فكانه لم يتطعم إن ينظر
إلى نفسه في المرآة دون أن يشق حتى الحيوية من ريشته البيضاء . كانت نظرة
بليك الخارجية مماثلة لذلك أيضاً ، إلا أن الطريقة التي عبر بها عن ذلك كانت
مختلفة ، وقد عرف طريقين فقط للتعبير عن حيويته هذه ، أحدهما خلال الجسد
البشري ، والثانية خلال الألوان . وقد فضل الألوان المائية لأنها أخف من الألوان
الزيتية ، وقد رسم أشخاصاً يشبهون أشخاص ميكيل أنجيلو ، وأحاطهم بأساس
خلفي من الضياء ، ولم يكن بليك غنائاً عظيماً مثل ميكيل أنجيلو لسيء الحظ ، ولم
يعرف من تأثيرات الضياء ما عرفه تيرز ومونيه ، ومع أن لوحاته تتدفق بالحياة ،
إلا أنها تتدفق أيضاً بأكثر مما يلزم من الضياء ، مما يهبط بها من مستوى
العظمة ، في حين نجد ذلك من أسباب عظمة فان كوخ ، ذلك لأننا
لا نجد لدى بليك التركيز والشفة اللذين نجدهما لدى فان كوخ .

إلا أن لوحاته قيمة لأنها تعبر عن « نظره إلى العالم » ، في حين
لا تجعل لوحات فان كوخ ذلك .

ولم تكن صوفية فان كوخ مبركة ، بالإضافة إلى أنه لم يبر عنها قطبي
رسائله ، في حين استطعت حياة بليك وأعماله كلها بهذا العرض المنظم للصوفية
وهنا ينشئ علينا أن نسأل : ماذا تعني بالصوفية ؟ ولأن جيد أفضل من منه

« هذا الرأي يحمل المتانة طبعاً ، وليست أوهي بأنه أكثر من رأي شخصي » .

المرحلة من بحثنا لوجه فيها هذا السؤال ، لأن بليك يستطيع أن يجيبنا على
سؤالنا الجواب الثاني :

إن الصوفية مشتقة من كلمة إغريقية معناها « إغلاق العين » ، وكان ذلك ما
عناه بليك بالقبض حين قال إن الرؤية لا تتم باستعمال العين . إن خدمة العين
تسجل الانطباعات التي تنقل إلى الدماغ ليفسرهما ، فإذا تكامل الدماغ ، وكنت
عن تفسير الانطباعات التي تنقلها إليه العين ، فإن الإنسان لا يعود يرى شيئاً ،
وهذا أمر يعرفه جميع الناس . فكمن مرة كنت فيها تقرأ كتاباً ، وإذا بك
تشم بالنعيم ، ويبدأ ذهنك بالشرود ، ثم تكتشف فجأة أنك قرأت ما يقرب
من نصف صفحة دون أن تفهم شيئاً . يعني ذلك أن عينك قرأت السطور ، إلا
أن ذهنك لم يفسرها ، وعليه يمكنك أن تقول أنك لم تقرأ شيئاً ، وهكذا الأمر
مع الرؤية ، فإذا كنت مسافراً بالقطار فأنت تنطلق إلى الحقول في بداية السفرة
تطلع المتلذذ المستمتع ، وتثير المناظر الجديدة في ذهنك تحفظ الانطباعات
والأفكار ، أما في نهاية السفرة ، فأنت تجد نفسك نصف غائم ، في حين لا تعود
الاشياء تسرك أو تثير فيك شيئاً من الانطباعات ، أي أنك لم تعد ترى شيئاً .

لقد توصّل رامبو إلى مثل ذلك حين كتب إلى أحد أصدقائه قائلاً : « يجب
على الشاعر أن يرى روى ... » ، « يستطيع الإنسان أن يرى رؤى إذا واطب على
نظام مركز يتوصل بواسطته إلى اصضاع الخواص أو نشوئها » ، ويُدعي رامبو
بأنه استطاع أن يثرون نفسه على رؤية التحيلات والأوهام ، وأنه استطاع أن يبرهن
« جاسماً ، بدلاً من مضجع » ، « ورأى عربات على طرق مؤدية إلى السماء
وغرفة استقبال في قاع بحيرة » . لقد أدرك رامبو أن الاقتصار على من أعمال
الذهن ، وأنه في الامكان التأثير على الذهن بقوة الإرادة . إن كان الإنسان
الداخلي هو الذي يقرر ما يراه .

قد يلوح لنا : « اصضاع الخواص المنظم » الذي يقوم به رامبو أمراً متخفياً ،
أو من تصورات الشباب ، ألا أن ذلك ليس صحيحاً تماماً ، إذ لم يدافع رامبو
بذلك عن شره الخمر أو تناول المخدرات ، وإنما دافع عن قوة الإرادة على

الجواس ، وكانت النتيجة انه حصل على تركيز وثقة شديدين للجواس ،
مما يدل بكل ما كان يراه ، « فصار لا يرى الا الرقوى » .

لقد تحدثت عن هذه « التقنية للجواس » في معرض حديثي عن لورنس ،
أما بليك فانه يقول عن ذلك :

« ان الفكرة القديمة القاطنة بأن العالم سينتهي عتقاً بالنار بعد ستة آلاف
سنة شيء صحيح » ، لأنني سمعته بنفسه من الجحيم .

ذلك لأن الملاك الذي يعمل سيقاً ملتجهاً فأمور يأن يكف عن حراسة شجرة
الحياة ، فإذا فعل ذلك ، فإن المخلوقات جميعاً ستفنى ، وعندئذ تلوح خالدة
أبدية ، في حين انما الآن تلوح قاتلة فاسدة . ولن يحدث ذلك الا بتطور الاستمتاع
الحسي . بل أفضل ما يمكن ان يكون عليه . الا انه من الواجب ، قبل ذلك ، ان
نحرم من ادعائنا فكرة أن جسد الانسان متميز عن روحه ، اما انما يمكن ان افعل
ذلك باستخدام الوسيلة الهندسية ، طريقة التآكل والاذابة التي تعتمد من علاجات
جهم ، وهذا أستطيع ان اذيب الاشياء الظاهرة لأظهر ما تخفي تحتها من علود .
واذا استطاع الانسان ان يفتي أبواب الإدراك فان كل شيء مبلو له خالداً .
لقد حبس الانسان نفسه ، ولم يعد يرى الاشياء الاخلال شقوق كهفه
العتيق . . . (٢٩)

ويمكننا ان نسل هذا بمقتطف آخر من مقدمة « أوروبا » :
« نفسي » كهف الانسان الجحيم نوافذ حسن ، يتنفس الهواء من أعضائها ،
ويصفي الى موسيقى الاكوان من الثانية ، اما في الثالثة ، فان خالق
الكرم الخالدة .

ترجم وتأتلى لكي يتلوى العتب ، ويمكنه ان يرى من الرابعة
اجزاء متغيرة من العالم الثاني أبداً
اما من الخامسة ، فانه يستطيع ان يخرج ، الا انه لا يفعل ذلك ، لأن
النوع المروعة عذبة ، والخير الذي يأكله سرراً للبد جيداً . . . (٣٠)
هذا واضح تمام الوضوح ، وترى من ان بليك يدعي بأن العالم الخارجي غير

محدود ، خالداً ، ويمكن ان يراه بكل البان كذلك اذا استطاع ان يرى الاشياء
على حقائقها دون ان تتحجب عن ذلك الاختلال العالقة بأبواب الإدراك . ولو عاش
بليك ليزي لرجعي « ليلة النجوم » أو « طريق السرو عند الغسق » لقان كوخ ،
لما تجرد في أن يقول : هذا انسان يرى الاشياء كما هي .

وهناك صفحات أخرى في « رؤى بات اليون » يوضح فيها بليك
ما يحدث حين يمنع اللحن عن الضيق ، او ما يحدث حين يؤثر فيه
شيء ، ويعرف تفاصيله :

« قالوا لي ان الليل والنهار هما كل ما يمكنني ان اراه
قالوا لي انه لدي خمس حواس أنا حسيها

تسحبنا ذهني في دائرة خبيثة

وأغرقوا قلبي في العوامة في كرة حرام مستديرة ، ساخنة ملتصقة .

حتى انهم يحرقني من الحياة !

ولم يعد حسياتي غير مليت براق .

كأنه فجوة في سحابة شرقية .

أما لي ، فبقدر كتيب لا يقهر غير الموتى . . . (٣١)

ان ما يقصده بليك من هذا هو ان رؤيا الاشياء باعتبارها « مقسمة لاختدودة »
ليست بالأمر الشاذ ، وانما هي أكمل حالات الانفعال الطبيعي . الا ان الانسان لا
يولد مزوداً بمثل هذه الرؤى ، ويعيش طيلة حياته بعيداً عنها ، حتى اذا امرت
حياته على الانتهاء ، قال انه « من الأفضل ان لا يولد الانسان ، وان الموت خير
من الحياة » ، لماذا ؟ ولا يستطيع بليك ان يقول لنا لماذا ، وانما يستطيع فقط ان
يقصد ذلك ، مستخدماً أسطورة السقوط ، فكأنه اراد ان يقول : « يولد الناس
كأجهزة الراديو الممتلئة ، التي لا يستطيع ان تعمل قبل ان تتصلح . » ، لقد
عاش بليك قبل عصر الآلة ، ولعله كان يستعمل نفس هذا التشبيه لو
كان يعيش معنا الآن . « الا انه استخدم قصة « الخطيئة الاولى » .
ان القراء الذين يسدلون يقرأة هذا الكتاب من هذه المرحلة

يشكون من الاقتراح القائل بأن الناس يجب ان يروا العالم دائماً كما رأى
 فان كوخ ، ليلة النجوم . وقد يعترضون قائلين : يمكننا ان نتوقع
 من الانسان ان يرى ليلة النجوم كما فعل فان كوخ ، ولكننا لا نستطيع
 ان نقول انه يجب ان يرى الاشياء هكذا . ولعله فعل ذلك مرة ، الا
 انه فقد قدرته على ذلك حين أكل الفاكهة من الشجرة المحرمة ... « هذا معقول ،
 ويمكننا ان نجيب عليه بأن مفهوم الخطيئة الاولى لا يمكن ان يؤكد لنا على وجود
 جنة عدن ، أو على ان الانسان استطاع يوماً ان يرى الرؤى الا أنه فقدنا بعد
 ذلك ، وانما يؤكد لنا على أن رؤية الرؤى أمر جوهري في الانسان . يمكنك ان
 تقول ان انساناً ما شاء لانه ملك فما الا أنه لا يستطيع التعلق . وعين الا انه
 لا يستطيع الرؤية ، وعليه فانك لا تستطيع ان تعده طبيعياً غير شاذ اذا كان لديه
 ذهن دون أن يكون في مقدوره أن يرى رؤى ! ان معظم الناس يعيشون من اللحظة
 الى اللحظة ، دون أن يكون لديهم توقع لما سيحدث ، أو ادراك لما حدث . لأن
 وجودهم الجسدي يتطلب منهم انتباهاً مباشراً لما يشغله في الوقت الحاضر ، تماماً
 كما هي الحال مع الحيوانات . ان الانسان الاعتيادي متميز عن الكلاب والقطط
 في أنه ينظر الى المستقبل : أي أنه في مقدوره ان يفتي بشأن ما يحتاج اليه جسده
 في مدى السنة شهر ، أو السنوات العشر القادمة ، كما ان فكرة الخطيئة الاولى
 تؤكد على ان الانسان فقد قابليته على رؤية الرؤى لانه صار يفتن بقالبه كلها
 في التفكير بالامور العملية المباشرة ، وذلك على الأقل ، ما يلوح ان اشترت رجال
 الدين تعمقاً يودون ان يوضحوه . وقد طلب المسيح من اليهود ان لا يضيقوا
 اوقاتهم كلها في الاخذ والعطاء ، وان ينتبهوا الى زهور الحقل !

يمكنني ، مثال آخر ، ان اوضح ما اعنيه ، بالقابلية على رؤية الرؤى .
 ان ت.ي. لورانس يجيزنا بأنه حين عرض الحضور التي رجعها كينغدون اليهو
 ليضعها في كتابه « أعمدة الحكمة السبعة » عليهم ، شكراً في أنها صور بشر ،
 وقلوبها عدة مرات ، وقال بعضهم انها صور جمال لأن الفكيوك تشبه أسماء الجمال.
 قد لا يفهم ذلك ، لأننا رأينا كثيراً من الصور ، الا اننا يجب ان نعلم ان الصور

ليست غير خطوط وألوان مجردة ، وان الامر يتطلب منا شيئاً من المجهود العقلي
 لكي نوصل الى معرفة هذه الصور ونفكر انها تمثل انساناً ما او غروب الشمس ،
 ونحن نقوم بهذا المجهود دون ان ندركه ، بالإضافة الى ان هنالك بعض علماء
 الرياضيات الذين يستطيعون ان يعرفوا حل اية مسألة جبرية صعبة بمجرد النظر
 الى مخططاتها ، وذلك ، ايضاً ، لأن أذهانهم تقوم بعملية الحل بنصف ادراك ،
 وتستطيع ان تدرك ما في المسألة من علاقات ، في حين اننا لا نرى فيها غير خطوط
 ووزايا مشوشة ، اي ان حواسنا لا تستطيع ان تقوم بالعمل ان لم يقم به الذهن .
 واذا استطاع اوروبي أن يرى منظر الغروب مرسوماً على قطعة من القماش ، حيث
 لا يرى اليدوي غير تشويش من الألوان ، فانه من المعقول ايضاً ان نقول ان
 الاوروبي الذي يجرن هذه القابلية في نفسه يستطيع ان يرى اشياء أخرى لم يكن
 يراها من قبل . وهذه القابلية هي التي توفرنا بلبك بالفطرة ، والتي قال ليك
 عنها ان البشر جسيماً يستطيعون ان يملكوها . اذا هم اتفقوا وقتاً اقل على امورهم
 العملية ، ووقتاً أكثر على تقوية قابليتهم على رؤية الرؤى ، اما في الدين ،
 فانك غالباً ما ترى ما يشبه هذه السطور .

« لقد علم الله اني وعلمي ان تركيز انتباهنا على اربني اثبتنا ، ونكت اذا
 علمت ذلك لأحظ بعد اسابيع ثلاثة ان شهيتي وزفيري يلوحان لي دخاناً صادراً
 من مدينتي . وفي الوقت نفسه اشعر بأن جسدي وعقلي صاروا يطفحان بالضياء ،
 والتي ارى العالم كله يتضح شيئاً فشيئاً حتى ليصبح كالمبلور الشفاف ، والتي
 احبب حتى اصل الى حالة من الصحو التام . » (٣٢)

هذا مقتطف من كتاب « صور انكا ماسيترا » البوذي الذي كتب حوالي
 عام ١٠٠٠ م ، فضلاً عن السطور العديدة قبل ذلك بزمان طويل . ويمكننا ان
 نعلم مئات من مثل هذه المقتطفات من مختلف الكتب الدينية ، ونجدها كلها
 تشير الى الحقيقة ذاتها : ان تمرين العقل يؤدي الى طريقة مختلفة في النظر الى العالم ،
 وقد اكتشف بليك ، كما فعل نيتشه ، شيئاً اساسياً في الطبيعة الانسانية ، ويمكننا
 ان نعلم من بليك ان « القوة على رؤية الرؤى » لا تتوفر لنا بسهولة ، ولا نصيبنا

فجأة كالحصبة ، وانما هي نتيجة اتباع تمرين قوي طويل الحواس ، تمرين يهدف منه الى جعل الذهن الى اتباع اتجاه مغاير لكل المغايرة لشاغلته العادية المألوفة ، مغايرة العمودية للافقية .

ان افضل طريقة لفهم بليك ، في بحث متواضع كهذا ، هي ان نقصص اعماله حسب تسلسلها التاريخي ، الا اننا نتمود قبل ذلك الى الاشارة الى بعض النقاط الباشطة .

لدينا في «ستيفن وولف» و «ديان» وليس ، خلاصة للمشاكل التي عرفها بليك قبل هيس بومن «جويل» وهناك «علمان» او «لريتشان» مشيرتان في النظر الى هذا العالم نفسه ، وبمكثنا ان ندعوهما : «الملكة» و «الملكة» . وانما هي الواجب على الفنان ان يربط بينهما ، اي بين «ستيفن وولف» الذي تؤثر فيه الموسيقى او الشعر وتجعله يحس فجأة بالتوافق والكمال ، و «ستيفن وولف» المتضيق المشاعر المريض ، او بعبارة اخرى بين عالم الفن والموسيقى والمتعة العقلية وعالم الاشياء العقلية والعمل المصنعي والكآبة ، ولكن ، اين يلتقي هذان العالمان يا ترى ؟ ان بعض الناس يشعرون بهذا العالم الاول ، عالم التوافق في الفن او في الطبيعة ، ونحن ندعو هؤلاء الناس «حسنيين» او «فنانين» ، الخ ، الا انهم يقولون لك ان الفن امر والعيش امر آخر . وهناك جزء ساجر في «بودنبروك» لتوماس مان ، يصف فيه كيف ان الشاب «هانز بودنبروك» يذهب لمشاهدة «لوهينغرن» وكيف انه استيقظ في الصباح التالي ليذهب الى المدرسة ، فيجد انه صار يكره العالم الذي يعيش فيه ، والفجر البارد ، والرضا ، ورائحة المعانك المبهقة في المدرسة ، وهنا نشهد مشكلة اللامتني الاساسية ، كما نشهد العالمين ، عالم اللبول والحوية ، عالم «لوهينغرن» ، وعالم المدرسة الكتيب .

وتوماس مان هو من اتباع لوفاليس والمدرسة الرومانسية الالمانية ، مثل هيس ، كما ان طريقته في وصف المشكلة التي تتعلق بالعالمين تجعل منها امرأ غير مألوف ، يشبه المسافر . الا ان هنالك فنانين وشعراء آخرين يجد لديهم شيئاً من التوافق فيما يخص العلاقة بين هذين العالمين ، وقرانهم قادرين على وضع قدم واحدة في كل

عالم دون ان يضايقهم ذلك ، ومن هؤلاء : «مشج وجويس» و «هزريك» و «شكسبير» و «رايلي» و «بليك» ايضاً .

كان هدف بليك الاول ان يصور هذين العالمين تصويراً تمهيدياً ، ففعل ذلك في «اغاني الرامة» و «اغاني التجربة» ثم بدأ يعالج المشكلة بتعقيد اكثر في قصيدته الطويلة الاولى «كتاب ثيل» ، و «ليل» هي العنقاء البريئة التي تميرها مشكلة الموت ، فسأل الزهرة وسأل السحابة وسأل الذئدة ، الا ان هؤلاء يؤكدون لها على توافق العالم الاساسي ، وابوة الله . ثم تدخل الفر (وهناك ما يشير الى ان بليك اضاف هذا بعد اتمامه القصيدة) ، ويرعبها حينوت يقبلن من حفرة قبرها ، حينوت غيرها بتدبيرات الحياة ، يعترض القوضي :
« لماذا لا تستطيع الاذن ان تقتصر على فتاتها ، والعين البراقة على سم ابنة ٢٠ (٢٣) »

وتشبه ثيل (البليك) «ديان» (ليس) ، اما هدف هذه القصيدة فهو ايضاً «ان القوضي يجيب ان تواجه» .

ولا نرى شيئاً من الرامة في قصائد بليك بعد «ثيل» ، انما نجد في «رؤى بنات اليبون» ان اوثون تقع لمريسة اعتداء على شرفها ، في حين يتسلق الحقل والكرالية والغيرة زوجها حين يعلم ان غيرة قد عرف جسدها (من المفيد ان نلاحظ تشابه هذا مع المواقف الماثلة التي يصفها د. هـ. بورنس في «طيف في حديقته الزرودة» ووليم فولكر في «حديقة وحياج» ، اما الجانب الاكبر من القصيدة وثلاث من ترسلات اوثون زوجها حين تحاول ان تقنع بان الرامة لا يمكن ان تشوه . الا ان ذلك لا يجدي شيئاً لان ثورومون ترك الانفعال يطغى على «ابواب ادراكه» ، فنصور انه قد حدثت شبيهة ما يدعونه «بالخطيئة الاولى» . اما في «اميركا» ، فان بليك يستخدم الثورة الامريكية وتمرير الغيند رمزين للاختلاف من سجن الحواس الخمس . وتجيد في هذه القصيدة الايات الرامة التالية :

«انتهت الازمان» ومرت الاشياخ «وما هو الفجر بطلع» .

وتعود المنح الالهية التي زيفها يورازين في الروايات العشر
 قتاد موكب الترحيم في ليل طويل وقفار شاسعة
 انني اسحق ذلك القانون المنحجر ، واحيله قراباً ، وانتشر الذين بعيداً بعيداً ،
 تحملهم الرياح الازرع كتاباً ممزقاً ، حيث لا احد يجمع الصفحات ...
 ستجد تلك المنحة الالهية ، وتعلم ذلك السقف الصخري ، تلك المياه
 الدبية الشاحبة .

سبحت عن العقاف والظهر لدى البغايا ، عن النقاء في تلك الطبيعة
 الملقعة بالخشونة ، رغم ان مهلبا يتدانس ليلاً بهراً .
 ذلك لان كل شيء على قيد الحياة مقس ، ولا تقطع الحياة الا بالحياة
 لان الروح التي تسعدها عشوة الغيلة لا يمكن ان تشوه
 فاذا التهمت النار هذه الارض ، فان الانسان لن يبقى ،
 انه يستر وسط هذه التيران الشهوانية ، يقدمين قدام من البروز
 اما ركبته وقمطه في القفزة ، وضرب ورأسه من اللعاب . (٣٤)
 انه يستخدم « النساء » في « اوروبا » كرموز للانطلاق والتحرر ، لان مشاعر
 النساء عملية ، مباشرة ، مقصورة على الارض . « ان اينشتاين ، الانثى
 المقابلة لـ « لوس » الذي يمثل اللانهاية ، تصبح قائلة :

« اذهب ولعب البشر بأن حب المرأة خطية
 وان الحياة الخالدة تنتظر فودة من شفاء »

في مشوى متخيل ، حيث لا وجود هنالك قط . (٣٥)
 ان الرمزية التي يستخدمها بليك واضحة هنا تمام الوضوح ، فان التفكير
 المركز في تصورات الذين يجعلها خرافات ، وتجد ان اهتمامات بليك تنهل على

« معظم النساء الاكثيات يدافعن من رأي بليك ، فانه يلوح في ان الادب العالمي قد أغفل ، عسى
 الامور الطبيعية التي انماها ، تصوير المرأة القداسة ، في شكل تاريخ روحي لامرأة جديدة الحسية
 انه الرجال فانهم لا يستطيعون ان يكسروا عن المرأة انماها ، فقط »

العالم كله ، لانه يفكر بهذه الحرفية اما ابد اعدائه فكانوا الاستدلاليين ،
 ورجال الدين الطبيعيين من امثال جون وفولتر وروسو والعلماء يريستلي
 ونيوتن . (يقابل هؤلاء اليوم الجمعية الطبيعية ، ويذكرون مثل ديوي ،
 ورسل .) وقد قال بليك عن هؤلاء انهم « انذل حقيرون ، خاضعون
 للطريقة التي تفكر بها المرأة . »

يجد في « اوروبا » ان نيوتن يذكر الناس بهرطقه يوم الحساب الاخير
 (ويمكن لكل قارئ ان يعلم لماذا كره بليك نيوتن اذا قرأ كتاب نيوتن -
 عن الثيومات) ، اما « لوس » ، فانه رمز الحيوية المتخيلة ، وهو يدعو
 اولاده جميعاً « كفاج الدم » . وقد قال بليك ، كما قال شو بعده ، انه
 سيأتي اليوم الذي يسفك فيه « رجال الخيال » دم هؤلاء الحرفيين الذين
 جعلوا هذا العالم مكاناً غير مناسب للحياة .

و « اوروبا » هي القصيدة الاولى من سلسلة من القصائد عالج فيها بليك
 مسألة العقل الصيق المتعلق بالحرفيات (الرؤيا الواحدة وتوم نيوتن) . وقد اعتقد بليك
 ان مثل هذا العقل هو العدو الحقيقي ، وقسم بليك الانسان الى الاقسام الثلاثة التي عرفناها

« فان هذا باللفظ التالي ، من سرسية شو « بيت القلب المسلم » ، الفصل الاول
 الكائنات المتوحد : ما النيل اذن ؟ انظر في هذا الرسل ، ويرغنا اليها في هؤلاء المشاهير الذين
 يخبرون هذا الكون انه لعان شعورهم ويلي شياطينهم ؟ يجب علينا ان
 نكتب قولي الموت والحياة ، والتي لا نؤمن ان الموت قول ان خلق ذلك
 ولكن من نحن ، لتستقيم عليهم ؟
 ومن هم لكي يحكموا علينا ؟ ومع ذلك فانهم يقلعون منا بلا تردد ، خذاف
 هذا قائم بين آسنا وآسهم ، وانهم يعرفون ذلك ، ويسلمون بوجده
 حائزين يلك أرواحنا . انهم يؤمنون بالقدس ، وما علينا إلا ان نؤمن بالفساد
 انفسهم . »

انهم بين الحق بحيث أنهم لا يستعملون الوجدان .
 لا تفقد نفسك ، فانهم يستعملوننا ، ونحن نقتل أفضل منا في لغونا وتسلطهم
 الذي نؤمن . وان علينا بانهم موجودون لخلق طنوعنا بصداء من الضويع ...

في الفصل الرابع ، وذلك لكي يسهل عليه امر تحليل مشاكل اللامتعي : الجسد ، والقلب ، والعقل ، ودعاه على التوازي : ثارماس ، ولوفا ، وبيرايوزن . وتعالج قصائده الرئيسية الثلاث : «فالا ، و «ملتن» و «القدس» لتدخل هذه العناصر الثلاثة في مشهد من سلسلة من المشاهد الإلهامية : في حين نلوح في ظاهرها عذبة التأسك . الا انه بالرغم من الارتياك الموجود فيها ، فان فكر بليك الخلاق لا يتجلى الا في هذه القصائد . اننا نجد الحوادث كلها تحدث في داخل نفس البطل (الانسان) اليون العلاق المضطجع على صحرة العصور . (وتذكر هذه الطريقة القارىء ، بيقظة فينبج ان تلك الاسطورة العاقضة التي تحدث في عقل البطل المضطجع النائم أيضاً) ، ولعل احد ايات قصيدة « ملتن » يوضح ما هدف اليه بليك من هذه القصائد : « اعتبر بكلماتي هذه -- انها تهدف الى علاجك الأبدى ... »

ويمكننا ان نتجر هذا البيت عنواناً لكل اجمال بليك . وقد اضاف بليك الى زموزة الثلاثة : لوفا ، وثارماس ، وبيرايوزن ، زمراً رابعاً هو «لوس» ، الذي عمل الخيال ، والذي يفهمه البعض على انه المسيح . الا ان بليك لم يعن بالخيال تماماً ملتن حين وصف « عرض الشيطان لحياله بفخر » ولا ما عناه شيلر حين ميز بين الخيال والوهم . لقد كان خيال ملتن أمراً من امور العقل ، وخيال شيلر أمراً من امور الانفعال . اما خيال بليك فكان مزيجاً معقداً من العقل والانفعال وحتى الجسد . وقد عرف بليك اهمية الجسد ، تماماً مثل نفسه ، ولم يقن شاعر من اجل الجسد كما فعل هو ، ما عدا ذلك وتعاله طبعاً ، لان الجسد هو ذلك الجزء من الروح الذي يمكن للخواص الخمس ان تحبزه ، ، ولهذا فان للجسد مكاناً في الخيال .

اما عمل الخيال فهو النظر الى الامعاق ، وقد عبر عن قصد في «القدس» : « لافتح العوالم الأبدية ، لافتح العيون الخالدة » في اعماق الانسان ، على عوالم الفكر ، على الأبد . (٣٦) الخيال هو الوسيلة لمعرفة الذات . ونحن نفهم من بليك ان الخيال ليس انفعالياً فقط او عقلياً فقط ، وانما هو ، يتضمن في كل الوجود ، في الجسد والانفعال والعقل

وما «لوس» الا خنزة تصفية لاعمق الانسان ، اما النصف الآخر فهو الوجود العجيب ، الذي يدعى « بالشبح » : « تمتلك كل انسان قوى شبح حتى تخفى الساعة حين تستيقظ انسانته

وتلقي بشبحه الى البحيرة ... » (٣٧)

ان الشبح هو الشكل الميت ، وهو يمثل الاذواق المستقر ، اما «لوس» فانه متزايد متسع شيئاً فشيئاً . واذا تراجعت الحياة ، فان حدود فعاليتها تلوح حية ، تماماً كما يلوح الجسد الميت كالجسد الحي . ان الميت هو الشبح : ابي الجانب المدرك من الانسان ، الذي يغطي ، فيظنه نفسه ، وهو يؤلف الشخصيات والعدوات وما يعرف به الناس ، وقد ادرك شيلر وولف في لحظة من لحظات رؤاه ان « الانسان ليس شكلاً ثابتاً لا يتحمل التغير » . الا حين يكون في قبضة الشبح (ومعتقنا في قبضته في كل يوم) فانه يرى نفسه والعالم ، اشياء ثابتة لا تتحمل التغير .

ولقد عرف بليك عالمي هانويود تروكو وستيفن وولف : بأن الاول هو عالم «لوس» والثاني عالم «الشبح» . والشبح شيء غير مرئي ، كالتطيف ، الا انه ما ان يسيطر على الانسان حتى يلوح ككل شيء جامداً ، غير متغير ، ثابتاً ، غير حقيقي .

مكننا هنا ان نرى الى اي حد استطاع بليك ان يحل مشاكل اللامتعي ، بل قد رأينا كيف ان النظام الذي يقدمه يمثل هوكل هذا الحل ، أكثر من اي نظام آخر . ان زوكاتان وبيرسول ولورنس وكيريز وستراود واوليفر وكاوتليت كلهم في قبضة الشبح : في قصة شخصياتهم الملائكة ، وانهم ليرون العالم عامداً كما ، لانهم يحسون بأنهم كذلك ، اما علامة وجود هذا الشبح فهي اللاحقيقية . انك ان تبحث في امر النعت في هؤلاء الرجال ، تجدون تولسوني الذي يقر بأنه لم يتطلع ان يتجر من «العرب» ، لانه كان يحمل مصدره معه ، ولم يكن هذا

المصدر غير نفسه ، ولورنس الذي اعترف بأنه « لم احب هذه الـ (نفسي)
التي أراها وأسمعها » ، ووليم جيمس وخوفه الداهل من وجوده ، وجدت
هذه الحالات كلها تشير الى الاعراض التي أشار اليها بليك .

ان السبب ، كما ادركته ت. دي. لورنس ، راجع الى « الطبيعة التي يربكها
الذهن » ، أي الى العقل المتحكم في القائلين الآخرين . وقد رمز بليك الى
العقل بـ (يورايون) أي « ملك الضياء » ، أما يورايون هذا فإنه يحاول ان يقوم
بمهمة الدكتاتور نحو العنصرين الآخرين ، الا ان الانسان لا يريد ان يكون حكومة
دكتاتورية ، لأن ذلك يجعله غير متوازن ، وإذا استمر على هذه الحال طويلاً
فلا بد من حدوث أمر ما . بل ان ذلك الامر سيحدث حتى اذا كان الدكتاتور
أحد العنصرين الآخرين : لوزا أو فارماس ، وحتى الجسد ، (وثارماس هو
أرق أبناء السماء) ، ذلك لان مشاكل الحياة تتطلب تعاوناً مشتركاً بين العقل
والافعال والجسد على ان لا يتفوق أحد هذه العناصر على العنصرين الآخرين .
نجد انفسنا الآن في قلب اسطورة بليك . ان ملحمة الطويلة المشوشة « فلا » ،
أو الالهة الاربعة ، هي طريقته في كتابة ما يشبه « الاخوة كارامازوف » ،
وهي حكاية سيكولوجية تجري حوادثها في العقل البشري . أما البطل البيون
العلاق ، فإنه يحلم طيلة القصيدة التي تبدأ حوادثها حين يحاول يورايون
ان يقيض على زمام الدكتاتورية .

ونجد ثارماس يشكو :

« ضياع ، ضاعت ، ضاعت كل المصادر الاصلية في نفسي ! »
وهو يعني بذلك ان من المتعذر عليه ان يعبر عن ذاته بعد الآن . (ويبدو
المصدر الاصيل لدى بليك شكلاً من اشكال التعبير الذاتي) . ويلاحظ خلال
القصيدة ذلك الارتباك الذي يحدث نتيجة لسيطرة إحدى القابليات ميطرة عامة ،
ونلاحظ كذلك ، وبصورة رمزية ، كل التغيرات التي يمر بها البطل البيون
ت. دي. لورنس ، ونجسكي ، وفان كوخ ، وإيفان وميتا وأليوشا . ونجد ان
يورايون هو النذل الأول دائماً ، لأنه ليس العقل وحسب ، وإنما هو الشخصية

والهزة الذاتية والنسج ، وما ان يبدأ الانسان بالتفكير حتى تتوفر لديه فكرة
عن « من هو » ، فإذا كان الانسان جسداً فقط ، أو انفعالاً فقط لم يدرك
ميزاته الذاتية قط ، وعليه فإنه لن يكون في مكانه ان يحصل على التوازن
مثل نجسكي ولورنس وفان كوخ . ان يورايون هو الذي يثير المشكلة ، ويتحدث
الانجيل عما يشبه هذا ، حين يستد أول خطأ يحدث في الكون الى الشيطان
وغروره ، والشيطان هو النور والادراك ويورايون .

الا أن اللامتعي يعتقد بأن الحياة تهدف الى حياة أكثر ، الى شكل أعلى من
اشكال الحياة ، الى شيء أكثر من مجرد السوبرمان الذي ليس غير رمز شعري له
(تماماً كما عبر داني عن رؤياه السعيدة بالرمزية الشعرية) ، وهكذا نجد أن
يورايون هو أهم العناصر الثلاثة ، وقد كان السقوط أمراً ضرورياً ، كما ان نيشه
نفسه ادرك ذلك أيضاً . على يورايون ان يستمر وحده الآن ، وعلى العنصرين
الآخرين أن يتبعاه ، وما ان يتقدم يورايون أكثر ، حتى تحدث السقطة ، ولا
يمكن الوصول الى الله بدون هذه السقطة ، فإذا ادرك الشاعر ذلك استطاع « ان
يشكر رغم كل شيء » ، « لأنه اذا كان الشر أمراً لا يمكن أن ينظم أو تحل
مشاكله فإن فكرة - الشكر رغم كل شيء - تكون حينذاك تناقضاً ذاتياً » ،
الا أنه يجب ان يكون واضحاً وجديراً بالاهتمام ان نعلم ان هذا لا يشبه بأي شكل
من الاشكال فكرة هيغل القائلة بأن « الله في السماء ، وكل شيء حسن في العالم » ،
وحتى لو كان الشر ضرورياً ، فإنه يظل شراً ، وفوضى وألماً ، انه يظل حقيقة
خارجية ، ولا يمكن ان يكون شيئاً آخر بتغيير وضعه أو لقاء شيء من الغصوه
عليه . ويلاحظ لنا ان هذا الموقف يشبه موقفاً آخر نجد فيه جيشين متعادين يقفان
أحدهما ضد الآخر : فأما رأي هيغل فإنه يصر على ان السلام امر ممكن لأنه من
السهولة اثبات انه لا داعي الى الضاد ، اي أنها صديقان فعلاً ، وأما رأي بليك
فإنه يقول بأن العطاء ضروري ، الا أنه لا يمكن ان يزول اذا لم يسحق احد
الجنين الآخر . وهذا هو الرأي الوجودي الذي عبر عنه لأول مرة سورين
فركاغارد ، وهو رأي اللامتعي أيضاً ، وهو ، كنتيجة لذلك ، الرأي الذي

أيضاً ، أما الاختلاف العام بين هاتين الفكرتين ، الوجودية والمغيبية ، فإنه مضمن في المقارنة بين عنوان كتاب هيجل « فلسفة التاريخ » وجريدة جيمس جويس « التاريخ كايوس يحاول أن يستيقظ منه » ، وتجده هذه العبارة في الصفحة ٣٦ من يولييس . وقد زود بليك بالرؤى الوجودية بالرمزية والاضطراب .

والتوافق هو الهدف النهائي في رأي بليك : إلا أنه ليس هدف الحياة الأول ، لأن هذا الهدف هو الحصول على حياة أكثر وفرة ، يأتي نحن ، أما التوافق فيمكنه أن يحدث بعد ذلك .

يتفق بليك إذن مع نيتشه ودوستوفسكي وجيمس ، أن الطريق إلى الأمام يقوده إلى حياة أكثر وفرة ، إلى أدراك أكثر ، أما الانتحار فلا يمكن أن يكون جواباً ، ولهذا أن يكون الانتحار العقلي جواباً أيضاً ، كما أن تكون كذلك فكرة البحث عن مستقر رجزوي ، حيث لا تجد وجوداً ، أما الجنة بعد الموت ، فإنها أمر لا علاقة له بالبحث أو بالحياة ، أن الطريق هو إلى الأمام ، إلى حياة أكثر ، وقد قلل فإن كموع نفسه ، وجن نيتشه ، إلا أن راسكولنيكوف وميتا كارامازوف استمروا ، بعد أن أصبحا مثلاً لكل اللاشمسي ، ونقلاً للتغلغل في التجربة القابية ، بدلاً من الموت ، وأنهم كما في جرائم أخرى ، ومقياً إلى أعظم ما في الحياة الإنسانية ، إلى الشيء الذي دام عشر سنوات ، والذي كان بمثابة تظهير ونقطة لها ، بل أن الحياة نفسها منتهى ، إلا أن طريق الغزوة لا يمكن أن يكون إلى الخلف ، وإنما إلى الأمام .

إنه لمن المؤسف أن يقطرنا حجم الكتاب إلى الانقصار على ما يشاء من أعمال بليك ، إلا أنه قد انضح لنا من البحث السابق أن فلسفة بليك بدأت أولاً باعتبارها فلسفة لانهائية ، مثل فلسفة فوكس ونيتشه ودوستوفسكي ، أما أهم النقاط التي انضمت من هذا التحليل الذي قنا به فإنها الطابع الديني الذي يميز حل بليك . أن الخطيئة الأولى والخلال والنعمة تمثل كلها الحصة الطبيعية لمحاولة مواجهة العالم كلاً بتمامه .

ويمكننا أن نخلص أفكار بليك بما يلي : يجب البرهنة الناس جميعاً قادرين على

رؤية الرؤى ، إلا أنهم ليسوا كذلك ، لأنهم يعيشون حياتهم خطأ ، أنهم يعيشون تحت ضغط أكثر مما يجب وبشدة مفرطة ، آخذين معطين ، إلا أن ضياع علمه القليلة على رؤية الرؤى ليس خطأ الإنسان وحده ، إنه خطأ العالم الذي يعيش فيه ، العالم الذي يفرض على البشر أن يتفوقوا جانباً كبيراً من وقتهم ، في الأجل والبطء ، لكني يظنوا أحياناً .

أن القابلية على رؤية الرؤى تتوفر بصورة طبيعية للبشر جميعاً ، فإذا شعروا بالراحة الكافية فإن كل ورقة في كل شجرة من أشجار العالم ، وكل ذرة من الغبار يمكن أن تحمل غاملاً منفصلاً في استطاعته أن يهب الإنسان متعة لا حد لها . فإذا مثلت هذه الأشياء في ذلك فإن ذلك خطأ الإنسان ، لأنه هو الذي يضيع وقته وفعالياته من أجل الضغائن . أما الإنسان المثالي ، فهو الشاعر المثالي ، الحكيم ، الذي لا يريد من الحياة إلا ما يسد به رمقه ، والذي لا ينظر إلى اللذات مطلقاً ، ويمكن أن يتوفر هذا النوع من التفكير للذين الشرقي أكثر منه للذين الغربي ، وقد لاحظ البروفيسور وايت جيد أنه :

« كلما ازدادت معرفتنا بالفن والأدب والفلسفة الصينية عن الحياة ، ازداد اعتناجنا بالمراسل التي تقطعها تلك الحضارة ... ومع ذلك فإن العلم الصيني لا يستحق الانتقادات إليه ، وليس هناك سبب يدعو إلى الاعتقاد بأن الصين تستطيع أن تقدم أي نجاح في ضمير العلم فيما لو تركت وحدها ، ويمكن أن يقال ذلك نفسه عن الهند ... » .

أما سبب ذلك فواضح جداً ، لأن الطريقة الشرقية في التفكير هي طريقة بليك أولاً ، ولا يعمل هذا التفكير على الوصول إلى حضارة ميكانيكية تتميز بالمقابل الصرية والادعوى الالكترونية ، ولهذا كره بليك فيزيقن والثورة الصناعية ، وأنه لم يصب على الغربي أن يفكر في كلمة « تأمل » ، بدون أن يفكر في « حلم » أو « ألامرعي » ، أو « غير محلي » ، وأنه ليصعب عليه أن يدرك أن معظم الحضارات

الأولى من العلم والدين أصبحت .

قالت على قاعدة التأمل ، وازدهرت وأثرت وقامت فيها خير النظم ، ويمكن
أن يعتبر بليك خير مثال على المزاج التأملي ، ولنا نجد فيه شيئاً من ثقافة
« العالم الخامل » ، لأن قيمه كلها واضحة نقية .

« يدخل الناس إلى الجنة ، لأنهم كثيرون عاطفتهم ومشاعرهم تغلبوا عليها ،
ولا لأنه لم تكن للناس عواطف ومشاعر ، وإنما لأنهم طوروا قلوبهم وأبلغوا
الفصل ما في استطاعتهم ، ولا تمثل كنوز الجنة نقياً للعاطفة ، وإنما هي حقائق
العقل التي تصدر عنها كل العواطف ، دون أن يكتسبها شيء في عظمتها الأبدية .
أما الآخر ، فإنه لن يدخل الجنة ، مهما كان ظاهراً أو مقدماً » (٣٨)

ويمكننا أن نلاحظ سامة فهم « التأمل » في الغرب إذا تفحصنا وجهة النظر
الماركسية ، التي تقول : « لا فائدة للدين بالنسبة لي ، لأنه ليس عملياً » ، وأنه
ليعتبر فشلاً أن يملك عقل الإنسان مسكاً يرى فيه الدين أمراً عملياً .

انحاضرتنا تقرب من الماركسية شيئاً فشيئاً ، ولهذا تجدنا لامتنين لأن اللامتنين
هو الإنسان الذي يفكر على الطريقة الضمنية ، أما ثورته ضد المقاييس الغربية
فإنها تأخذ شكل الاحساس بتفاهة هذه المقاييس ، الاحساس الذي يعبر عنه
ت. س. اليزوت في « الفارغين » وهو يسأل أسئلة عن أشياء يعتبرها غيره من
الغربيين مسلمات ، أما سؤاله النهائي فإنه يميل إلى أن يكون مثل صبيحة الحاج
(بطل بتيان) : « ما يتعين علي أن أفعل لكي أخلص ؟ ولا يصدر هذا الداء إلا
عن أشد الحيرة ، لأنه يرى العالم « قوضى شيطانية » ، ولا يجد نفسه متأكداً من
ميزته الذاتية في هذا العالم . أما ستيفن وولف فإنه يعبر عن الخطيئة بما يلي :

« كل شيء مخلوق ، حتى أبسط الأشياء ، خاطيء مقدماً ، متعدد مقدماً ،
إن الطريق إلى البراءة يكمن في الخطيئة ، والتعني في الحياة الإنسانية » (٣٩)
وهذا الرأي مشابه تماماً لرأي نيومان ، الذي يعتبر من أشد المسيحيين
تعصباً :

« انني أنظر إلى عالم الناس فأجد ما علاني بكافة لا يمكن أن توصفه .
لأنني أجد العالم متعلقاً بأكدوبة بدلاً من الحقيقة الكامنة ، التي يحلم بها »

كياني . انني أنظر إلى هذا العالم المائع الحي فلا أجد فيه المكافئ للخالق ،
وإن مجرد التفكير في اندحار الخير وغلبة الخطيئة ، والكفر ، يمثل رؤيا
تطيش بصوابي ونزاعي وغلاً للعقل بغموض يلوح أنه لا طاقة للإنسان
على حله ، وهكذا أجذني مضطراً إلى القول بأنه : « إذا كان هناك رب حقاً
فإن البشر يقبلون على كارثة رهيبية مفرقة » (٤٠)

لاحظ عبارة « يلوح أنه لا طاقة للإنسان على حله » ، إن مبدأ الإنسانية
ينكر أن هناك مشاكل لا طاقة للإنسان على حلها . وما دامت كلمة « الإنسانية »
قد وردت في بحثنا فلنتذكر قول ستيفن وولف : « الإنسان اتفاق وشاغل
بورجوازيان » .

يمثل المقتطف السابق من نيومان العرض الكلاسيكي لفكرة الخطيئة الأولى :
« كارثة رهيبية مفرقة » ، وهكذا نجد أن طريقة نيومان في النظر إلى العالم متشائمة
جداً ، وهي طريقة دوستوفسكي وبلوك وكافكا أيضاً ، ويمكننا أن نجد رؤيا
مماثلة لها لدى القاص الحديث غراهام غرين : (رغم أن العناصر المتعددة
التي يدخلها في قصصه نزولاً عند أذواق الجمهور يجب أن تبعده من أي
بحث جدي) . إن تلك الطريقة هي طريقة اللامتنين الغربيين .

ألا أن نشاوم بليك ودوستوفسكي لا يتعدى نقطة معينة ، ثم نرى
نفساً من التوتر يأتي من اتجاه أهلئاه ، ذلك هو اتجاه العقيدة الشعرية ،
أي القابلية على قول « نعم » :

« إيشنوس ، ملكة المياه ، أي إشعاع لك في السماء
أختاه ، ما أشد غيظي ، لأن الخفا لك منتشر
كالأسماك المرحة ، تراقص على الموجة ، حين يشرب القمر البدي ، (٤١)
إنها الخابلية التي يمكنها أن ترى « عالماً كاملاً » في الليرة من الرمل ،
أو في ورقة (ورقة وحسب) في أطرافها شيء من السورة . وذلك هو
ما كان يقص نيومان وكافكا وغيرهم .
ويمكننا أن نرى ، من هذا التعريف الأول لفكرة الخطيئة الأولى : المخطوطة

أفضل ما يمكن أن تكون عليه ، وهذا معقول ، ولكن كيف ؟
لا يمكن أن أجيب عن هذا السؤال بشيء مستخلص من المتطلبات
السابقة التي نبحثها حتى الآن ، كما فعلت في الفصول الماضية ، بالعودة
إلى أن ساحة هذا الكفاح واسعة جداً ، بل التي سأحاول أن أقصر الأمر
في الفصل القادم على أسئلة نموذجية معدودة .

الفصل السابع

تخطيم الحلقة المفرغة

أضحت خاتمة والكواكب الشاب أكسيل في فيه البقلعة ، يحضن أحدهما
الأخر ، وكانت باردة قد أطلقت على أكسيل رسامين من بعد خمس
إصدارات ، إلا أنها أخطأت في المرتين ، وتبقي مارة أخيرة عن العالم الذي
يملكه الآن بأيديهما : أسواق بغداد ، والووج البيت ، وخطبات الترويج
والإعلام التي قد تحققها ، إلا أن أكسيل العائس يسلما :

لماذا تحققها ؟ الكبر تعيش ؟ كلا ، إن وجودنا كاملي . للمستقبل ؟ صعب
بإشارة إذا قلت : أننا استفدنا السبيل . ماذا ستكون كل الحقائق بعد عمارتها
البرانية التي عشاء حتى الآن ؟ إن مرة رجائنا لا تنجح لنا بجبال البقاء
الأرض أكثر مما يقينا ، وما الذي يمكن أن نطلبه من هذا الكوكب الشقي الذي
تسكن فيه سوداوتنا وكأبتنا ، هذا الأفكار الشاحبة التي كد بناورنا بمن حوله
الحقبة ؟ ... لا تجربين -- إن الأرض نفسها حازت وجهاً لا أفري ياشاردة بأننا
دوراً حب الحياة في قلوبنا الغريبة . أما أن نرفض الحياة بعد هذا غان ذلك بتم
عرقاً لحرمة تنسنا ، أليس ؟ إن خدمتنا فيخلقون ذلك لنا ... آه العالم الخارسي !
لقد تدعى ذلك العبد المتبدع بخدمتنا والأوهام ... ذلك الذي بهدنا فبعنا فحصر

محرجي ، في حين تطبق قبضته التي يحيطها ورامده على حقة من الزباب ا . (١)
وتفتح سارة فيشرمان قدح السم ويومئ في نشرة ذاهلة . وليس هناك شك
فيما تتوقعه من نبشة كتملتي على هذا المشهد الأخير : فان آكسيل مثل الكاتب
الذي خلقه يمثل نموذجاً متطرفاً للانسان الحالم بالعالم الآخر ، ان هؤلاء الحالمين
بالعالم الآخر هم عموم ، سواء علموا بذلك أم لم يعلموا .

ولكن ، هل هذا عدل ؟ لقد بدأ نبشة نفسه كحالم بالعالم الآخر ، وانفق
مع شوبنهاور على ان الحياة « أمر حزن » ، وأن أفضل طريقة لتفاديها هي بالتأمل
فيها . وقد بدأنا دراسة اللامعني بالناس يقضي أمسياته عسكاً في قبة الجنادر ،
« متأمل » في ما يراه . اما فان كوخ فقد تفاعد من الحياة حين كان يقضي أيامه
في الرسم في البيت الأصفر للكانن في آزل . في حين ذهب كوكبان الى البحار
الجنوبية مفتعياً أثر الحلم نفسه « الرث والبلدة والدعة » . بل ان زرادشت أيضاً
تصيح أولئك الذين يعيشون فوق مستوى أنفسهم ويسبقونهم بأن « ينجأوا الى
الوحدة » ، وينجأوا من لسعات « ذباب السوء » ، « أي من البشر الآخرين » .
كلاهما ، ان آكسيل على صواب ، رغم ان التجاره كان طريقة كثيفة للخروج
من المشكلة ، وما الذي يمكننا ان نطلبه من هذا الكوكب الشقي . . . ؟ إلا ان
سارة كانت قد تحدثت عن « طرق السويد الشاحية » ، وعن خلجان البروج ،
ان السائب يرى الرؤى مثل فان كوخ ليجه كثيراً من الأعمال في مثل هذا
العالم . اما آكسيل ، فانه انما يلعب عالم البشر ، أي الناس الآخرين ،
الذين يمثلون أساس المشكلة بالنسبة اليه .

ولا يمتنع أن نقر بهذا قبل أن نلجأ الى انسان رؤى آخر هو توماس تراهيرن ،
فان تراهيرن هذا يصنف الطفولة بذلك الوصف الشهير ، في « مصور » من
التأمل حين :

« لاج كل شيء جليداً وغريباً لأول مرة ، نادراً ومعيقاً وجميلاً بكيفية
لا توصف . . . وللاج لي انني كنت مبدعاً الى حفل تعرض فيه أعمال الله بكامل
عظمها وقوامها ، وقد رأيت ذلك كله وسط سلام يشبه سلام جنة عدن . . .

كانت الفترة شرقية ، وكانت اللحظة خالدة . . . ولم تكن ليحصد . وما
كانت مبلبورة قط ! اما ليجار الشوارع وأحجارها فقد كانت من الذهب
الخالص . . . « وكان الشبان ملائكة يراة مناهة ، وكانت الفتيات قطعاً
غريبة طيفة من الحياة والجمال . . . » (٢)

وسأل تراهيرن : لماذا تكفل مدلولات الخلود هذه عن الظهور ؟ وجيب :
« لقد كتبت فوراً . . . تقاليد الناس وتصرفاتهم . ان القدي ، والبلطام
الاضمر ، لم يدعوا الناس يروا تلك الأشياء كما كانت من قبل . ولهذا نراها غريبة
عن افكار وتقاليده وآراء الناس في هذا العالم . . . لقد جعلوا قدياً لأشياء لم
أكن لأحلم بها ، وكتبت ضعيفاً فهل أتيادي في أثرهم . » (٣)

« وهو يختم ذلك بعبارة نبشة هرطقة بيلاجيوس . . .
« ان عبوديتنا باجبة من العبادات والآراء الخارجية عشر مرات أكثر
من كونها ناجمة من فساد أو نقص في الطبيعة ، كما ان الأسر والعبي
الذين يقيدان لم يكونوا لأن أجساد آياتنا وأمهاتنا فرضتها علينا ، وانما
فرضها علينا حياة آياتنا وأمهاتنا . »

هذا هو سلوك بليك أيضاً ، سواء أكان ذلك منشأً لسلوك بيلاجيوس أم لم
يكن ، وهو في الوقت نفسه سلوك الصوفيين جميعاً . ويمكننا ان نرى فيه اقتراب
صوفية تراهيرن المسيحية من السلوك الرومانسي . فاردن ابيات يتيسر بذلك :

« تلوح الأشياء كلها فيحبة عظيمة ، قدعة بالية
صراخ طفل على جانب الطريق » ورفيق مركبة عتيقة
وخطوات القلاح الثقيلة ، العائصة في « وحل الشتاء
أشياء تربعت الصورة التي تخرجها عن زهرة تتفتح في قلبك . » (٤)

« بيلاجيوس » (الكاتب الكبير) أذكر فكرة النقطة الأولى (كما رواها القسيس أوغستين)
« كانت . . . كل شيء نوكلاً غير من أمهاتنا ، ولم يولدنا نحن ، لأننا لم نولد بل نضال أو شرور ،
لا بل أن نرى نهاية الأوتار الخاصة بلس هيك أني فناء ، اما هذا ما وضعه الله . »

يريد ينتهي أن يقول أن قبح العالم، أو قبح بعض مظاهره، هو الشيء
بغيره ومطلوبات الخلود.

وإن الضرر الذي ينجم من هذه الأشياء القبيحة شديد إلى درجة
لا يتيح لي أن أتحدث عنه.

وهذا ما أراد أكسكيل أن يقوله أيضاً، إلا أن فكرتي تراعبت وبذلك تختلفان
عن ذلك، فأنها يعتقد بأن الناس الآخرين هم أساس المشكلة. وعبرنا
تراعبين في مكان آخر بالحظة التي يصل فيها إلى قراره العظيم:

«ولما جئت إلى الزيت، وجعلت بين الأشجار الساكنة واللال والمراعي،
وكان وقتي كله ملك يدي، قررت أن أمشي أوقاتي كلها، مهما كلفني الأمر،
بعيداً عن السعادة، عائلتي أروي هذا الظلم اللاعب الذي أشعلته الطبيعة في ذاتي
منذ شبابي، وقد كنت مضراً على هذا القرار إلى درجة أنني كنت على
عشرة باونات في السنة وأراندت الخلود. وأكلت الخبز المبلول بالأم، وكل
ذلك لأنني أردت أن يكون وقتي كله ملكي وحدي...» (٥)

هذا قرار لا إنشائي، ولم يلغ هذا القرار شأناً حين وجدناه في (سيداركا)
ليس، لأن ذلك حدث في الحسد، أما أن تحمل هذا القرار أوروبياً على التجوال
والبحث في الزيت الأوروبي، مرتدياً الخلود، مثل جورج فوكس (الذي
كان معاصراً لتراعبين تقريباً) فإن ذلك يلوح لقلوبنا الغربية أمراً غريباً عجيماً.
وقد جعلنا على الشك في صحة عقل كل من نعرف عنه أنه يفعل ذلك. إلا
أنه مع ذلك قرار معقول صريح، ولا يتطلب الأمر من الإنسان إلا شيئاً
من الفهم المتواضع ليقول: «إن الحفاضة أمر يعتمد على السطحيات وحسب»
ولست أميل إلى السطحيات، كما أنني أميل أخذ الميل إلى الحرية والبطالة. ولست
أريد بهذا أن أقولك للامتنين جميعاً أن هذا القرار يعتبر حللاً
صحيحاً لمشاكلهم، بل أن الاعتراض العمل الذي يتوخى ضده هو أنه
حياة التجوال لا تسمح بالبطالة والتأمل، بل إنها تغفل في طغيان حادة
اللامتنى إلى اتجاه، أو عمل أكيد واضح.

إلا أن عمل «الارادة» مهم جداً، أما الشيعة، أي ما إذا كان ذلك
بجانباً أم عيباً، فهي ثانوية. وقد تعود ثانية إلى بيتس، الذي يعتبر مثلاً
أقل أهمية من البحث الذي بأيدينا الآن، إلا أنه من المستحسن أن تغفله
ولا تقتطع منه شيئاً بهذا الصدد. أنا نجد في مقدمة «وينا» شيئاً يدعى
«البيك» أو «بري» نخبنا كيف أنه شعر حين كان في المسرح ذات ليلة،
برغبة قوية في الخفاف والنمير عن رأيه في الطريقة الفاضحة التي كان الممثلون
يقدمون بها «روميرو وجوليت»:

«وفاجاني هذا الخاطر، ترى ما الذي سيحدث إذا خلعتُ فردتي هذا
والتيث واحدة على البعد..... والأخرى على الآلة.....؟ أيمكنني أن
أحب حياتي القليلة مثل هذا الهدف المحد، بحيث أنني أدع هذا يحدث،
لا في عالم الوهم، وإنما بين أشكال من التركيز والشدة؟»

وقلت بصوت خفيض:

— لست تحلك الشجاعة!

الأنثى أجبت:

— بل امكها، ثم بدأت بفتح خدائي... (٦)

إن عبارة «أيمكنني أن أحب مستقبل...» مهمة جداً، فأنها وضعت دقيق
لعمل المحد الواضح، لأنه إذا ذهب الإنسان حياته القليلة مثل هذا الهدف
المحدد فإن ذلك يعني شكلاً من أشكال التركيز. وأنني لأعرب أن عبارة «الشكال
التركيز» طامعية، إلا أن القارئ من يشك فيما يريد بيتس أن يقوله، فعندما
قرأ راسينكولنيكوف المرافقة ارتكب مثل هذا العمل، الذي كان سيهيئ حياته
القيلة هدفاً محدداً، أو على الأقل، كان ذلك أملاً. وعندما أقر من ستافروجن
فإن في العائشة من خرجها، وسرق ورقة تقليدية من كاتب المصرف، فإنه لم
يعلق في ارتكابه «شكل من أشكال التركيز»، لأنه، ولمنوه حظه، لم يكن
مختاراً النفس بما يكفي ليحميه على انتهاك الاعتراض أو السرقة، أما بما لوله
لا نكاح تحمل يحمل معنى مختلفاً عن الانفعال الذي وضعه فيه، فقد كانت فاشلة،

كانت فكرة بليك وإن الروح الحقيقية التي تنتبع بالمعطة العاجلة لا يمكن أن تشوه قط ، قد وقت عبده ، وكان على متفروحين أن يعلم أن الأعمال ليست شريفة بلذاتها وإنما يفتح الإنسان الشرف بها بالدفع الذي من أجله يتركها ، أما مقياس الدفع النهائي لدى بليك فإنه : أن الحياة والنشاط لن ينتها ، أما الشر فإنه لا يمكن أن يوجد إلى جانب الكفاح ، من أجل الحياة بوفرة أكثر ، والذي يعتبر خلع الدين النهائي ، في حين نجد أن متفروحين كان بلا دفع ، أننا لا نعرف الكثير عن حياة تراهيرن مع الأسف ، نعرف ماذا حدث حين قرر أن يعيش على الخبز والماء ويلبس الجلود ، أننا نعلم في حالة هوكس أنه لم يمتل النجاح الكامل بالنسبة للمناخس اللائقي على النجاح ، أما تراهيرن فقد صار قساً لعائلة ريفية واستطاع أن يعيش حياة تأملية ، ثم مات وهو في الثامنة والثلاثين ، فإذا أردنا أن نحكم عليه حسب « عصور من التأمل » فيمكننا أن نقول إنه نجح في التوفيق بين العالم وبين رؤاه حتى استطاع أن يرى العالم كما رآه فإن كوخ في « طريق السرو عند الغسق » ولا يمكن أن يتم هذا التوفيق إلا بالوحدة ، وقد فهم لينشه أن المجتمع ليس غير فاعه من المراه التي ينعكس العصور مشوكة .

قد يعود علينا بالنصح أن لنجأ إلى حياة التصوف الهندوسي الكبير وأما كريسنا وفكارون بيند وبين الصوفيين الغربيين الذين عشناهم ، والتميط بها مختلف ، فللهند تقاليدها المعروفة في التأمل ، والتفوق على النفس ، (لا رغم أن الأفكار الغربية كانت طائفة على تقليد التأمل هذا ، في الوقت الذي ولد فيه وأما كريسنا ، أي في عام ١٨٣٩ م) ، ويمكننا أن نرى هنا ماذا حدث حين نجد اللائقي نفسه وسط تقاليد تعتبر التأمل شيئاً مألوفاً . (سأقتطف في الصفحات التالية بعض المقطعات من كتاب « حياة » ، أما ما يشاء الذي لم يذكر اسم مؤلفه ، والتي نشرته في الأدب آثرأما ، في مدراس ، وهو

لا يمثل هذا الرأي بالصفة طمناً ، وسأعود إليه عند الحديث عن بليك

كتاب متون يحتوي على أشياء كثيرة عامة في أقسامه الأخيرة . م
ولك شري وأما كريسنا لأبوين هيراميين في قرية صغيرة من قرى الهند تقع في السغال ، ولأح منه مشابه أنه كان يرى العالم كأروا تراهيرن ، وكان إذا قام بتتمثيل بعض الأدوار في الاحتفالات الدينية ، يرق في غيبوبة من الشهوة ، حتى أن المتفرجين كانوا يشعرون بأنه كان الطفل كريسنا ، نفسه الذي كان يقوم بتتميله . وكان في طفولته عيالاً يميل إلى القصص الدينية والأساطير ، وكان يقرأها للمتلاحين بصوت عال ، ولم ينح له أن يقرأ من الأدب الخيالي غير هذه القصص ملهاً ، ولأح لأبويه أنه كان يتشخص أشخاص تلك القصص فظناً أن ذلك كان علامة على هستيريه أو اختلاله العصبي .

وحدثت لراما كريسنا تجربة عامة في حين لم يكن قد تعلّى السابعة من العمر بعد ، واليك ما يقوله هو عن ذلك :

« كنت أسير في يوم من الأيام ، في حيزران أوغور ، في بحر حقيق يفصل بين المخفول ، وكنت أأكل شيئاً من الرز حطه في السلة ، وبينما كنت على بعدة الحبال نظرت إلى السماء فرأيت سحابة منطمة ، وبينما كانت تلك السحابة تملأ بجواب السماء كلها ، كانت هناك أسراب من الطيور البيضاء تطير في مقدمتها ، وقد ألفت ذلك كله منظرأ بديماً متناقضاً جعلني أنطلق خيالاً إلى أفاق بعيدة جداً ، وفقدت إحساسي بالأشياء المباشرة فسقطت على الأرض ، والتشرت حبات الرز حولي ، ثم وجدني بعض الناس وحلوني إلى البيت .. » (٧)

ينصح أن نطعم التجربة علاقة وثيقة بشيئ لينشه ، وقد جرب لينشه ذلك وهو أكبر سنّاً ، وكان موجوداً ضمن حفلة منبهة على النقد الذاتي بضرورة لم تكن لتصبح للإنسان مثل هذا الطرف في الالفعال . ومع ذلك فإن لينشه وأما كريسنا « لا نوعاً من التوافق » وحصلاً على قابلية في النظر إلى العالم جعلت الحياة بالنسبة لهما « شكاكاً مستمراً من الشكاك التركيزي » . وهنا نجد بنا أن نذكر كيف كان لينشه يشعني حول تجربة ملهاً طامناً « دنوع الخيطة » أو « رأيت أفكاراً شرق في اعني ، أفكاراً لم أعرف مثيلاً لها من قبل » ، و« ينشر البكون والسلام

على الجبال ، والغابات ، و ، أغل من البشر والزمان ستة آلاف قدم .

الا ان هناك اختلاف كبيراً ، فقد عاش راماكريشنا في قرية صغيرة ، وكان ابوه برهياً ، وقد كان خضياً من العيش والاشياء المؤذية ، بل كانت حياته سالمة على ونبرة غائبة ، وكان باستطاعته ان يشعر بحالة اللذول متى اراد ، كما تخبرنا بذلك الاعاني الشعبية التي تعني عن حياته ، كان راماكريشنا يشبه وراً رفيقاً باستطاعته ان يذبذب بالانعام لكي يعتزل منها فقه ، وامام اي جمال او توافق في محيطه . وقد تكون معلومين اذا سألنا : اتراه سيحظى بذلك التوافق لو انه عاش في بترمبرك ، التي عاش فيها رامكولييكوف ، او في المحيط الذي يصوره لهرامم لخرين في «صخرة برايتون» ؟

كان راماكريشنا على ما اعتقد محفوظاً اذا اتيج له ان يعيش حياته وسط ذلك المحيط الهادي ، الا ان ذلك لا يؤلف جواً كاملاً ، فقد رأى نيتشه رؤياه عن الملهام والحياة ، وهو في طريقه الى بترمبرك ، بعد ان قضى اياماً طويلة وسط وحشية سوح العارك وجشها . الا اننا يجب علينا ان نعود الى هذه النقطة هنا بعد . لقد كان مزاج راماكريشنا الروحي او كما يجب ان نقول : حسانه السخيلة مسخرة على الصور خلال شبابه ، وقد اصبح أخوه الأكبر كاهناً في معبد «كالي» في جاكشيبور ، وهو مكان تخصص للعبادة بتة امرأة غنية من سندرا وقامت على شؤونه . ولحق راماكريشنا بأخيه في المعبد في الوقت المناسب

وبدا راماكريشنا يفكر بالله تفكيره في التوافق ، الذي كان طبيعياً ، ما دام عقله سائراً منذ البداية على تيج اسطورة حياة كريشنا على هذه الأرض ، وما اذامت تجاربه الصوفية ، كذلك التي رآها في الحفل ، فدا ومنه افوا الى لحالة كائنة من خالات المبدء الداخلي . لقد قال تراهرون انه كان يقش عن السعادة ، الا ان راماكريشنا قال انه كان يقش عن الله . في حين انها لها شيئاً واحداً ، اما بليك فقد دعا ذلك «الرؤيا» ، وقد أدرك راماكريشنا ، كما فعل تراهرون ، ان المبدء ياتي في لحظات الدائم بتوجيه الفكر نحو فكرة التوافق ، وعليه فقد بدأ يفرد نفسه في أماكن لم يكن يقاربه فيها أغلب

وكان يفضل الأماكن التي يقطن الناس أنها مسكونة أو مسكونة ، وكان يجلس متريماً ويحاول ان يجعل الامالاته وعقله متعاونين لتحقيق اكمل ما يمكن من الاتصال عن العلم ، وبعبارة أخرى فانه كان يحاول ان يحقق الامالة التي استطاع نيتشه ان يحققها عندما كان يستمع الى «تريستان وايسولت» ، أو عندما كان يقرأ «الاتصال» لشوبنهاور .

والآن يمكننا ان نقول ان كل من جرب ذلك يعلم ماذا يحدث بهذه مباشرة ، فاذا لم يستطع الجبال ان يحفظ تلك الفكرة السامية متطورة دائمة ، فان الانتظار تتحول الى التثبيت بالأرض ، كالطير الذي لا يستطيع ان يطير . انك لتجلس محولاً ان تجعل ذهنك يعلق الى السماء ، وتجر مناقات ، واذا يك ترى ان الاشجار والأرض صارت أكثر حقيقة من قبل ، وان فكرة المناطق السامية وتلوح عزاء ان الاشياء حقيقة أكثر مما يجب . لوها نعود الى غيتان و«كاشان ثاتية» ان هذه الطبيعة الميتة التي تميز الاشياء فتجعلها تلوح صامدة لا تسمح للعين بالغرور اليها ، هي كل ما يلقى أولئك الذين يشدون الوحدة ، أما الاختلاف بالناس الآخرين فانه يشر على الأقل روح التنافس ، ويجعل الانسان على جعل نفسه أفضل في معرض المقارنة بالغير . اكان ستيفن ديدالوس ، بطل جويس ، يقتر مثل مجرء يكونه فانيا ، اذا لم يكن في استطاعته ان يقول لنفسه ، ان اصولهم الجعقاء جعلته يشعر بأنه كان عاقلاً عن غيره من الاطفال ؟ خلا ما عليه راماكريشنا حين تخبرنا عن الوحدة المهمة :

«سباني يوم لا ترى فيه اشياءك السامية قط ، وستخاف من غرغفك وتراه كالتنج المزخرف ، حينذاك ستنهف : كل شيء زائف او ..

لقد اخبرنا راماكريشنا كيف انه مر مثل هذه المرحلة ، وكيف حصل لنام القناعة (كالي) : «هل أنت حقيقة أم أنك وهم ؟ ترى هل أخدع سبي اذا ظننت اني استطع ان اغرك ؟»

وبدا يشعر بأن كل عباداته واملاته لم تنجح له لحظة من لحظات رؤى الارادة الحرة .

فأصبحت أشد الألم لأنني لم أحصل على بركة رؤياي للألم - شعرت وكأن شيئاً بعضني فاني كالمثلي المذل - واستول على قلبي شديداً ، وخشيت أن لا يكون في استطاعتي أن أراه في هذا العالم ، ولم أجد احتمال الانفصال أكثر مما احتمله - ولما لي أن الحياة لا تستحق أن يعيش فيها الإنسان ، ثم وقع بصري على السيف المعلق في معبد الأم - ففتوت إليه وقبضت عليه معسلاً أن أضاع غيائي حذاً ، وفجأة كشفت الأم الماركة عن نفسها لي .. وانعاشت أبنائها والعبد ، ولم يعد لها وجود ، ولما بدلاً عنها غير واسع لا نهاية له ولا حداً غير وضاه من الإدراك الروحي - كانت أمواجه تنهال علي من كل جانب ، إن أهد ما كان باستطاعة عيني أن يرى ... أنماج تزيد أن تبتني ، ووجدت نفسي ألفت ، ثم اختوتني الأنماج فسقطت فاقد الشعور . (٨)

إن ما حدث واضح ككل الوضوح ، فقد اتعبه التأمل الطويل حتى أنه لم يجد يرى هدفه ، أما محاولة الاختيار فقد كانت خطراً مفاجئاً فهدت قواه الجسدية فاقطعت كل نشاطاته الجسدية . وكانت رؤياه مثل رؤيا نيشه على قمة النخل ، ورؤيا هنا كيف إن اللاهوتي يعرف قصة فجأة ، وأنها رؤيا اليوشا أيضاً من حب الأرض وحب الحياة ، لأنه كذلك الكافر في رؤيا إيفان ، الذي كان مضطراً أن يسير تلك الأميال الطويلة ، والذي أغفل أن لحظات قليلة في الحياة تساوي أضعاف شقاء ذلك المسير . وأما بقصة شرايخ كرو العليمة أيضاً ، وأوامر الانعاق التي اتفقت أمام سويدنبرغ وبوميه وإليك . وعن مثل أذهاب الجواسيس جميعاً ، ولذلك فأنها على التفتيش من شعبان وكونان تماماً .

لقد أخبرنا إليك بأن هذه الرؤيا ممكنة للجميع (إذا كانت أبواب الأذهان ندية متفتحة) وعليه فأننا نستطيع في مثل هذه الظروف أن ندفع أن الرؤيا شيء موضوعي تماماً ، كالجلوس في البياض مثلاً ، أو رافعة ما حدث في الطفولة أمام أميغينا . كلا إن ما حدث لرأيناك يشبه هو أي حشر الموت أيضاً (أفعل الآراء الثالثة ، وقالت هذه الإرادة يتصل بالقي ، وأنه لا ريب أنهم جد أن أهم هذا) لأن إدراك هذا مثل الخلاص النهائي بالنسبة للمسيح . أما حين نقرأ أن الألهام

أو القديسين الذين يرون الرؤيا - غلب إلى الظن بأن الرؤى لأحدث لهم ، في حين أنه يكون من الآسوي لو قلنا أنهم هم الذين لأجوا للرؤى . إن الشبكة الحديثة محقة في الشك في إمكانية وجود مثل هذه الرؤى باعتبارها شيئاً يمكن الحدوث - إلا أن هذه الرؤى ليست كذلك . أنها ليست غير أمثلة على قابلية الإرادة على جعل الأشياء تحدث . أما التفكير الغربي فإنه يحيل إلى الخضوع الإرادة للوجود المحدد الواضح .

من الضروري أن نعتبر هذا واضحاً قبل أن نتطرق إلى بحث حياة إيمانك يشاء ، وأنها حقيقة يصعب على البعض فهمها ، لأن أذهاننا تدرك هذا - إلا أنها لا تدرك أنها تدركه بصورة مقابلة .

أدخل أية مكتبة في لندن ، وانظر في قسم القلعة حتى تجد كتاباً عملي غزيراً مثل « ما هو الإنسان » ، أو « هل تستحق الحياة العيش » ، وقرأ نصف صفحة من وسري ما أعنيه بقولي « إخضاع الإرادة للوجود الواضح المحدود » ، فكان المؤلف يقول : « وحسناً ، أنني جالس على الكرسي ، أنظر إلى شاشة الحياة ، فلذا نعي » ، وهو ينظر خارجاً ويتأمل ما يراه ، إلا أنه لا يزال « ما هي العناصر الموجودة في نفسه والتي تجعله يرى العالم كما يراه . وبالإضافة إلى ذلك فإنه حتى لو أدار عينيه إلى الخلف وسأل نفسه هل طريقة فرويد أو كني : « إلى أي حد تؤثر جوانبي في الأشياء التي أراها فإنه سينطلق فليبحث هذه الجواسيس وكأنها موجودة تحت الجحور ، وكأنه ليس غير شخص ثالث ينظر إليها . »

يحدث عكس هذا في لحظة من لحظات الرؤى ، كواحدة من لحظات اليوشا أو نيشه . إن الاستمرار على قذف « الذات » بالافعال والمثيرات التي تشبه التيارات من الكواكب يجعل من الصعب الرؤى يدرك أن انغماسه ضاربت كاليفار المبني بدير الطائفة . وسيطر عليه هذه الفكرة القائلة بأن العالم قائم على القوى الباطنة ، في حين كان من قبل يرى العالم حاداً خادماً تحتفظ فيه التفاهات باللامية ، تماماً كما يلوح في قرية مكتبة بائنة . أنه يرى العالم الآن ساحة قتال يتجمع فيه قوى عاتلة ، ويدرك فجأة أمرين ، طبيعة العالم

الاعتماد على القوة الدافعة، وطبيعة نفسه المستعدة على هذه القوة أيضاً، وعليه فبدلاً من أن يرى الأشياء كشيء خامدة، يفسر الآن برى قوة الحياة العاملة في الاعيان، والارادة من اجل حياة اكثر وفرة، اما هذه الارادة فلها كنهني عادة، فحركة العقل المدرك مشغولاً بشؤونه، ويظل هذا العقل المدرك منفياً في عالم المادة، يحاول ان يشعر بأنه غير منفى، ياتعلق بالميزة الشخصية والثبوت، ولاذراً ما يتصل الوجود المدرك بالوجود الابدلي في الياس، ولهذا فان الهدف المدرك يحيل الى تحقيق الراحة بذلك اقل ما يمكن من المجهود.

الا ان هناك بشراً آخرين دعولاهم باللاشعير، يتصل وجودهم المدرك بوجودهم الابدلي دائماً، وهكذا فظل «عولهم المدرك شاعرة دائماً بالحاجة الى مضاعفة الاهتمام بتحقيق «حياة اكثر وفرة»، والقليل من الاهتمام بالراحة والتوازن وغيرهما من الاشياء التي ينعقل البورجوازي بها. لقد حاولت خلال قصوري هذا الكتاب أن أبين كيف ان اللاشعير في حاجة الى اكتشاف طريقة يستطيع بواسطتها ان يبدأ بالقوى الموجودة في اخافه ليساعدها في اكتشافها، ومن الواضح انه اذا كان يترك هذه القوى ادراكاً خامساً، فان الامر العقول الذي يجب عليه ان يفعله هو ان يزيد من ادراكه ما ليكتشف ما تهدت اليه، ويبدأ اللاشعير عادة بقوله: «يجب ان احصل على الافراد الذي يمكنني من النظر في احراق نفسي»، وهكذا يجده يعلق عليه باب غرقته، الا انه يكتشف ايضاً لسوء الحظ انه غالباً ما يعرف نفسه بصورة افضل تحت تأثير تجارب جديدة، بينما لا يمكن ان تتوفر له هذه التجارب الجديدة اذا كان حبيس غرقته، وينشأ الصراع في «بداية الحياة الجديدة»: «الغيزاع الذي تشهده ثابته اذا جدنا ان قرارة «شعير» تولدت».

لقد نجح راماكريشنا في توجيه انواعه ذاتها، فقبض على اليق، وأراد ان يتحرره، وفجأة كشفت قوى الحياة عن ذاتها في نفسه، وقالت له: «هذه! تلك! ان تموت، انظر الى هذه الاحمال التي أعبدتها لك لتقوم ناداً لها، وهكذا توفررت راماكريشنا رؤياه الأولى (الأم)، التي «تد» فوراً «مات».

الحقيقة أن يكون «له» بالحياة، والله ليس غير الحياة، وأن هذه الحياة قائمة بمحاولة لا نهاية لها من اجل تعزيز مطلوبها على المادة، لقد أدرك فان كجرح هذه اللزامة الاعلانية أيضاً حين رسم «طريق السرد عند الغسق» و «ليلة النجوم»، تماماً كما أدركها بينه وبين أيضاً حين ألف «هامر كلافير».

ان المشاعر الخاصة بتوافق راماكريشنا اللاتعني هي التي سهلت عليه امر المصنوع عن ذلك الادراك ثابته، اما رؤيا «كلبي» في العبد فقد صارت رمزاً لذلك الادراك.

لقد صور القاتلون «كلبي» امرأة سوداء قاسية الملامح، تحمل مبقاً دارساً بشرية يبين من ايديها الأربع، بينما تبارك باليدين الآخرين أطفالها، وانقلب على جبه زوجه «شيفا» المصطح، وعمل شيفا الحياة المدركة، أما «كلبي» فلها تمثل بواعث الحياة: في حين نجد تحول عنقها قاذلة من الجاهل البشرية، وكأنها من كان ذلك الفنان الذي صورها بهذا الشكل، فانه لا بد أن يكون فيضه آخر على الطرار الهندوسي، ولا بد قد أدرك ان بواعث الحياة تأتي من الارادة الشخصية المحضة من اجل الحياة الثانية، وأنها قد تهدف الى حياة أكثر عن طريق موت الافراد، وتصور الاعالي الهندوسية هذه النوعية من البشرية التي تتميز بها بواعث الحياة وعيد في الجسد:

«المخلوقات كلها لعب بيد أمي (كلبي) المجنونة».

ونجد في اخرى:

«ابني أخق، وكذلك أمي، (شيفا وكلبي)»

ثم نجد في اخرى (وهي تكشف عن هذه النوعية بصورة أشد):

«سألتهمك هذه المرة أينها الأم كلبي»

لاني ولدت تحت كوكب شيطاني

نفساً ان يعرف كم هي غريبة هذه الأفكار على الطبيعة البشرية، وبخبره القديم الى المثلث «الطبع» في «كلبي» أم فيكون «الطبع» الموجود في النفس البشرية، إذ يجب ق «الطبع» - طبيعة البشرية -

وان من يولد تحت مثل هذا الكوكب يأكل امه ، كما يقولون... (٩) ويشبه هذا ما يصفه دوسوتوفسكي على لسان كيريلوف : «... والانسان الذي يقترس فتاة صديرة هو خير ايضاً ، وكذلك الانسان الذي يقبل نفسه اسفاً عليها ، فهو خير ايضاً ، كل شيء خير : » وقد ادى تعبير يشبه عن هذا المفهوم نفسه الى اختياره « ضد المسيح ، » و « متخافاً » الخ ، كما أدت الفكرة القائلة بأن « كالي » قائلة مدمرة الى ظهور ملعب البالك في الهند . « تماماً كما قامت افكار يشبه الى السياسة التي اتبعها النازيون حين كانوا يعدون الاسرى بالآلاف في معسكرات الاعتقال .

صار زاماكريشنا كاهناً في معبد « كالي » بعد ان مات اخوه ، وهكذا انتشرت شهرته كقديس في مختلف أنحاء الهند . وقد كان كاهناً غريب الأطوار اذ نادراً ما كان ينجح قواعد العبادة . بل انه قدم الطعام الذي كان معداً للذقة الى فطة العيد ، وأعرض البيض على هذا ، الا انه ايجاهم قائل : « لقد رأيت ان كالي قد تحدث كل شيء ، » وكان أقل ما أيقظ « ادراكه قد » فيه ووجه تلك الغيبوبة الناعلة الشروقة التي يذهبها وسامادي ، انه رأى يوماً غلاماً انكليزياً يجلس متكئاً على جذع شجرة ، وكان جسمه متجنباً في مواضع ثلاثة ، تماماً كما كانت صور كريشنا تمر فيه ذلك دائماً . ففضله بالله .

ولما بلغ زاماكريشنا السادسة والاربعين زاره مدير إحدى المدارس القريبة ، واذا بمعلمين اثبات كويتا هذا يصغر واحداً من تلاميذ زاماكريشنا البارزين . وكان سجل كل ما دار بينها من احاديث في مجموعة تعتبر بالنسبة اليها « انجيل سري زاماكريشنا » . ويعتبر هذا السجل الوحيد الذي في ايدينا الذي ينقل اليها يوماً فيوماً اقوال ذلك القديس الذي اذكروه الله . (ونحتوي الترجمة الانكليزية على نصف مليون كلمة ، مما يجعل الكتاب ثلاثة اضعاف انجيل العهد الجديد .)

• ذلك ، مذهب غوثي . ان أتباعه يأمن عليهم ان يظنوا البشر نفسهم يهتدون إلى الامامة وكانوا يهاجمون السارقين ويطهرونهم ويغسلونهم ، ويقال انهم اقبلوا الفيرما في سبيل الله حسن قلباً .

واليك شيئاً من احاديث زاماكريشنا فيه :

« هاجبت نعمة فليماً من الماعز في احد الايام ، وما كانت تنقص على قريبها حتى ولدت نمرأ صغيراً وماتت (لان صياداً أطلق عليها النار) ، وحاش النمر الصغير بصحبة الماعز ، وكانت الماعز تأكل الحشائش . فقلعها النمر في ذلك ، وكانت الماعز تنغو فتغوا النمر مثلاً ، ومزت الايام وتماجت حتى صار نمرأ كبيراً . وفي يوم من الايام هاجم القطيع نمر آخر ، فادعش النمر المهاجم ان يرى نمرأ يأكل الحشائش ، فلحق به حتى ادركه . وبدأ النمر آكل الحشائش يتغو ، الا ان النمر المهاجم اخذه الى الماء وقال له : انظر الى وجهك في الماء ، الازراء مثل وجهي ؟ فكل شيئاً من اللحم . الا ان آكل الحشائش لم يستطع ان يزدر اللحم واستمر على التفاء ، على انه استطاع ان يبتاع رائحة اللحم . ولمع اللحم بالمران . ثم قال له النمر المهاجم : نرى الآن انه لا فرق بيني وبينك ، فمعال وانبعني الى الغابة ...

كذلك الانسان : فانه انما يأكل الحشائش باستماتة ، بالمرأة واللعب ، اما التغام والفرار كالماعز فانها يشبهان سلوك الانسان العادي ، في حين ان اللهاب مع النمر والعيش معه يوقف فيه الادراك الروحي ، فنعلم انه (والنمر المهاجم هنا هو الحكيم) مثل الحكيم تماماً . اما ان ينظر الى نفسه في الماء ، فانه يشبه معرفة الانسان لنفسه الحقيقية . » (١٥)

ويجمل هذا بنا الى تذكر ستيفن وولف واقسامه الى الانسان واللب ، أي المعزى والنمر ، تذكر مقارناً ان البوردجوازي يقوم بدور المعزى فيعزى في العالم ، اما النمر فانه دور الامتصاص ، ذلك الدور الذي اختاره رابكوليكوف حين قتل تلك المربية المعجزة ، فكان بليك وحشاً بل من الاستمرار على العيش مع الماعز . الا انه المقارنة لا تكون دقيقة في هذا المجال ، ورغم ان زاماكريشنا تشبه متعبه كلامهم ونصي حياته عموماً (اتناع الآخرين بأن يكونوا لامتصين ايضاً ، الا ان ستيفن وولف (المعزى) كان يستمتع بالموسيقى والنمر ، ولهذا فانا لا نستطيع ان اتهمه بأنه يعوز الادراك الروحي . » واذا بلغ اللامتص

مرحلة زاماكريشنا من الإدراك الروحي فإن انقساماته تنضج ، فلا ينفذ
هناك ما يدعو إلى قتل المرأة أو ارتكاب أية جريمة عظمى .

ومن أعجب تعاليم زاماكريشنا قوله أن جميع الأديان متحدة ، وبغیرها
تاريخ حياته ، بأنه جرب كل أنواع النظم الدينية ، واتبع تعاليم مختلف
الطوائف (وذلك امر عجيب جداً في الهند ، تماماً كما لو أعلن شخص ما في
انكلترا أنه وفي وقت واحد قد ومن الأصحاء وكاثوليكي وروماني) . وقد
درس زاماكريشنا المسيحية والإسلام ، فعبد العذراء بدلاً عن « كالي » ، ثم
عبد « الله » الذي يشمل كل شيء ، وقد عرف زاماكريشنا حقيقة الكون
الأساسية فلما صار في شيء ، أن يدعوها بمختلف أنواع الرموز ، وكانت
النتيجة واحدة دائماً ، أي الإدراك الروحي الداهل لله .

وقبل أن نترك زاماكريشنا علينا أن نوضح المقصود من « ادراك الله » . وبغض
صفحات في « مختلف أنواع التجارب الدينية » يتحدث فيها جيس عن
الحالات المزاجية التالية : ١

« يستطيع أغلبنا ... أن يتصوروا هذا ، إذا استطاعوا أن يستعيدوا حالاتهم
الشعورية في تلك ، والحالات المزاجية التالية ، التي نشأت إليها خبراتنا الواقعية
في الحياة ، أو مشاهد مسرحية ما ، أو قراءة إحدى القصص ، وخاصة إذا
بكينا ، فكان صرعنا فتحجم جذراً في أعماقنا وتغسل كل عطارنا السابقة
ناركة قلوبنا نظيفة رقيقة ، مستعدة لتقبل الأشياء السعيدة . إلا أن معظمنا
ينودون إلى مقاساة المشاق المألوفة ، أما أولئك الذين يتجاوزون حيزاتهم
القلبيين ، فأنهم يخلصون منها إلى الأبد .. » (١١)

لقد لاحظنا كيف أن زاماكريشنا كان حسن الحظ لأنه عاش حياته في
قرية هادئة ، ولم يهد شعوره بهذه الأمزجة الذاتية وبحساسيته التحلية ما فعله
الآخرين من التجارب خصلتهم من قوة العالم . (يتذكر قراءة « نسخة عهد
الميلاد » ، لذلك المشهد الذي يقرأ فيه سكرووج « الف ليلة وليلة » في المدرسة
ويصف قطة ذلك الكتاب ، وكيف أنه يقامى « بقايا من الحياة » ويكرر ،

ثم يذكر قطةه السابقة بذلك الكتاب . فيحصل على تلك الأمزجة الذاتية
من جديد)

وعلى أن نفهم أن زاماكريشنا استطاع الاحتفاظ بحساسية الطفولة طيلة
حياته . أما نحن ، وسط حضارتنا العقدة ، فأننا مقطرون إلى التلويح في مزاج
معين ، ولهذا فانه ليس تزييفاً أن نقول أن حضارتنا هي المسؤولة عن انتشار
النماذج الانسانية والمادية في الفكر ، أما زاماكريشنا ، الذي يعثر في الطرف
العكس ، فقد كان يستطيع أن يتعد إلى أعماق ما يستطيعه الانسان من دعوى
تقبل لشوائ ، الأمر الذي لم يستطع أن يفعله إلا عدد ضئيل جداً من الغربيين
ما عدا أولئك القديسين الذين ظهرت في القرون الوسطى ، والذين كانوا
قادرين على أن يهبوا عقولهم أيضاً للتأمل والهدوء .

لقد صاب الناس يخبرون زاماكريشنا في السنين الأخيرة من حياته تجسداً
له ، كالسج وكرشنا وكوتاما (بل أن الآلاف تعيد عصوره اليوم باعتبارها
تمثل الله) . وأحسب زاماكريشنا في عاينه التامع والأربعين بالتهاب في بطنه
تحول إلى سرطان قتله في آب عام ١٨٨٦ . ودخل كمبر من تلاميذه المعبد
وتفاعلهوا فيها ، إلا أنهم عادوا بعد ذلك إلى التعلل بين الناس ناشرين تعاليمه ،
ويعتبر فاريندا أفضلهم ، إذ أنه نشر تعاليم زاماكريشنا في انكلترا وأمريكا .

انضمت لنا من الفصلين الآخرين نتائج معينة عن اللامتعي ، وبمكتنا
أن نخرج عن أشدها أهمية يقولون أن اللامتعي يلوح في أساه رجل دين ،
يرفض أن يعود نفسه على ما يفعله أصحاب التفكير العلمي من أشياء
تعتبر الوسائل الوحيدة التي تتيح للانسان البقاء على قيد الحياة في حضارتنا
المعقدة . ويجب أن نؤكد ثانية أننا لا نعني « بالدين » أي دين معين ، لأن
« الخطية الأولى » و « الخلاص » و « الجنة » أشياء يفكر بها اللامتعي
بصورة طبيعية ، مهما كان ، وأينما كان .

وبالإضافة إلى ذلك فإن الطريقتين الشرقية والغربية في التفكير تميلان إلى
القول بأن الخطية الأولى هي مجرد وهم . وقد نقل زاماكريشنا بطلب من

تلاجه ان لا يعجزوا أنفسهم بخطة الآله لم يكف عن اعتبار الناس الذين
يشغلهم العالم « اربوياً مقيدة ، اربوياً خائفة . أما الطريقة المثلى للتخلص من
الضلال ، فإن الآراء على اختلاف أنواعها تنق على طريقة واحدة هي : في
الطرف ، فإن التطرف يمثل الضرورة الأولى . أما يوداً فإنه دعا الى وحل وسطه .
الا أن ذلك حدث بعد تجربة التطرف أيضاً ، وتجربتنا الملتصقة نيكانيا كيف
« أنه كان يجهد نفسه في العمل أكثر من الآخرين ، ويعيش حياة خشنة ،
بل أشد خشونة من حياة الآخرين ، ويقرعه صبره أكثر مما فعله غيرنا
الآخرين ويريد ان يعيش وحيداً ، فينبذ جميع الآخرين . » « والبك مثلاً »
أكثر على التطرف ، (ويستطيع القراء الذين يريدون أمثلة أخرى أن
يقرأوا « أقوال يودا » ترجمة وودوارد) .

« قلت في نفسي : لنفرض يا أكجيفيزانا أنني أغنى أكثر فأغنى
أنفاسي ، ثم كتبت أنفاسي وسدت أذني .

وفجأة شعرت بالهوان يلف في دماغي بعد أن سددت أمامه منافذ الاصلية ،
تماماً كما لو غاص في دماغى سيف بضربة قوية ، وتلاشت قديالي ، بينما تحز
ادراكي العقلي ، الا أن جسدي لم يعد يتحمل مرارة ذلك الكفاح ، رغم أن
شعوري بذلك لم يستطع أن يسيطر على ذلك التجرد العقلي . »

ثم تعلم أن كنتما أحتاج نفسه حتى صار هيكلاً عقلياً ، وبينما كان يسبح
في النهر ذات يوم ، وجد أنه لم يكن لديه القوة لابقاء نفسه خارج الماء ، وأوشك
على الغرق . الا أنه عثر على غصن مثلك ، فثبت به . الا ان هذه التجربة
التي أتاحت له الشعور بمشاعر الانسان مباشرة قبل الموت ، فعلت فيه ما
فعله شيلته في راماكزينسا ، اذ وجهته اجراً كما لحقيقة هامة : يعني أنه كان
يريد حياة أكثر ، لا حياة أقل ، ثم تذكر :

« وفكرت بعد ذلك ، وقد ذكرت كيف كان أبي السبعني يحزن الأرض
يوماً ، وكنت جالساً في ظل شجرة التفاح الوارف ، بعيداً عن التفكير في
الملاذ الحسية والحالات المرضية ، إذ غرقت في تأملاتي ، المدحومة بالتفكير

الموجه ، والتي ترافقتي متى كنت وحيداً ، مرناً ، أشعر بعنتي الحسية .
ثم قلت في نفسي : أهدأ عي طرير الحكمة ؟ »

لقد جعله هذا الإدراك يقرر أن يأكل ويشرب بصورة اعتيادية ، وأن
يعتمد على حسابية خياله ، ومقدوره على التمييز بين الأشياء من أجل الحصول
على النتيجة النهائية المشهودة .

ثم جئت بورامبلا ، وهي ضاحية قرية ، ورأيت هناك بقعة جميلة ،
تألف من غابة ساحرة وشجر ماءه مسيل صاف يجري في دقة ... وكانت على
بعدة القرية التي يمكنني أن أسجد من أهلها طاعمي .. وهكذا أما الاعوة ،
جلست أكره . وقلت في نفسي : أنه المكان المناسب للكفاح . (١٢)

وكان هذا المكان هو الذي شهد تأملات كورتانا في « الحرية » ، وتأملات
ترافانا عن المبرقة الكاملة والإدراك الذاتي . (قد نشك في إمكانية تحقيق ذلك ،
الا أن هذا على أية حال شرح للطريقة اليوزة وجب .)

ويمكننا أن نجد أمثلة أخرى في التطرف لدى القديسين المسيحيين ، فهناك
مثلاً هاينريخ سيوب (أو سورسو) الذي عاش بين ١٢٩٥ - ١٣٩٦
والذي غرقنا في « تاريخ حياته » كيف أنه كان يقف في الحراش وسائل تعذيبه
رجعية لجسده ، فكان يرتدي وشاحاً من الشعر ، وسلسلة حديدية كانت تحرق في
جسده خراً ، بينما كانت تشد جسده أربطة جلدية ذات رؤوس وحطافات
برونزية مجوفة ومغرورة في جسده ، وكيف أنه ليس تلك الأشياء سنوات
عديدة ، وحمل على ظهره صليباً من السامير اللدنية المغرورة فيه طيلة ثمان
سنوات ، وكان يتم على باب خشية منحورة ، مغطياً نفسه بحصير سيباً
وشحاه . واستمر على ذلك ستة عشر عاماً ، ظل بعدها أنه أخضع جسده انحصاءاً
تاماً ، وقد أفتحه بذلك أنه قرأ سطوراً من كتاب « مايسر إيكهارت » :

« هناك قابلية أخرى خالصة أيضاً تصدر عن الروح .. أجل ، ان في هذه
القابلية لمعة خالدة ، فاسية ، ونظرة خسة عيفة لا يستطيع أن يصفها الانسان .
التي الأضيف انه اذا استطاع الانسان أن يجد في ذلك شيئاً من البهجة والمتعة ،

عن طريق رؤيا عقلية ، فان كل ما يعانيه من عذاب يصبح تلقائياً ما لم لا يكون شيئاً مذكوراً . . . (١٣)

لقد أراد سيوسه أن يحصل على تلك المثبة « اللامية » .

إن قيمة هذه الاشياء المتطرفة هي بالطبع في حيوية الارادة الكامنة فيها ، أما اذا كانت مجرد باعتبارها عقوبات مقصودة ، وعقبة متعمدة ، وحسب ، فانها تكون عديمة النفع بل ضارة ، لأن الأمر الوحيد الذي يبررها هو وجود « الارادة » .

لقد صار بحث هذا الكتاب حلقة كاملة ، ولست أعدت الى إيجاد حل نهائي كامل « لمشاكل اللاهوتي » ، وإنما الى الإشارة الى أن هناك حلولاً تقليدية ، أو محاولات بذلت من أجل الوصول الى تلك الحلول . وقبل أن تعود الى تلك الحلول وتبنيها ، ينبغي علينا أن نبحث محاولة جديدة أخرى من أجل الوصول الى حل ما ، وهذه المحاولة هي من الاهمية بحيث لا يصح اهمالها في هذا الكتاب . تلك المحاولة هي « النظام » الذي اتبعه غورديف غريب الأطوار .

كان غورديف في السبعين من عمره تقريباً حين مات عام ١٩٥٠ (ولم يعرف أحد غمزه بالضغط) . وقد قضى حوالي أربعين عاماً من حياته مباشرة « بنظامه » بين اللاهية . ولما تعرف عنه الشيء الكثير ، وانما نعرف أنه يوناني من أصل قوقازي ، وقد بشر بتعاليمه في موسكو وبرسبرك ، وأخيراً في أوروبا وأمريكا .

ويعتبر كتابه « الجميع وكل شيء » المعرض الرئيسي لنظامه . ولم يهتم في أكثره إلا القسم الأول منه ويضع هذا القسم في ١٢٠٠ صفحة ، ويؤكد أن يقال عنه أنه غير جدير بالقراءة لأنه شديد الصعوبة . إلا أننا نعلم أنه جعل تلك الصفحة ليلاً يقرأه الخوذة ويقولون « ألهم فلهذا غورديف » . وقد أدى ذلك الى الجيوب بهذا الكتاب تحت مستوى « بقعة فينيكس » .

ولحسن الحظ (أو لسوءه كما يقول غورديف) فان هناك تحقيقات بسيطة لفلسفته ، كالانتماء الى كتابها ككتيب وكر « مأمورة مع الأفكار »

وكتابات أحد اللاهية البارزين « د. أوسينسكي » مثل « في البحث عن المعجزات » ، ويضع هذا الكتاب ما حدث هذا التلميذ حين كان يتعلم على يد غورديف ، وهو يصفه بأنه كان بالنسبة إليه كما كان مقراط بالنسبة الى أفلاطون .

ويمكننا اعتبار نظام غورديف أكمل وأشد الفلسفات الوجودية مثالية ، ولا يتعلق هذا النظام بالأفكار لمجرد الأفكار ، وإنما بهم بالتابع ، ولهذا فإن « النظام » نفسه يتألف من تقارير وقواعد مختلفة ، لا يعرفها الآن غير تلاميذ غورديف واتباعه ، ونحن معتنون هنا بالكتاب النظري من هذا النظام . يبدأ غورديف أشد حالات الانسان « حيلولة » ، فيقول إن الانسان غارق في هذه الضلالات والادغام الى درجة أننا لا يمكننا أن نعتبره حياً يعيش ، وإنما هو آلة ، أي أنه ، بعبارة أخرى ، لا يملك شيئاً من الارادة الحرة قط !

يلوح هذا أشد الآراء تشاؤماً ، إلا أن هذا لا يحل كل فلسفته ، لأنه بعد أن يؤكد على أن البشر للموت وأنهم انما يسرون في نومهم دون أن يتوفر لهم شيء من الإدراك الحقيقي ، يستمر فيقول إن الانسان يستطيع أن يحصل على شيء من الحرية « واليقظة » . إلا أن الخطوة الأولى للحصول على الحرية هي أن نترك أننا لسنا أحراراً . وما هنا قرأنا في القصول التالية السابقة عن لا متغير صرخوا بهذه الحقيقة ، فانه لن يشكل صعوبة ما في طريقنا . ويشتمل جانب من جوانب فلسفته على ملاحظة الانسان لنفسه وللآخرين . لأنه يكشف بهذا عدداً كبيراً من الاعمال الميكانيكية والتقليدية .

ومن أطرف ما في نظام غورديف بالنسبة البنا توضيحه للطرق الثلاث ، طريقة الفقير ، وطريقة الراهب ، وطريقة الوجودي . وتتل هذه الطرق الثلاث الوسائل التي بحثناها في الفصل الرابع : أي محاولة السيطرة على الجسد ، وعلى الانفعال ، وعلى العقل . إلا أن الطريقة تكمن في أن غورديف يدعي بأن نظامه يمثل طريقة رابعة تتضمن الطرق الثلاث الأخرى . وقد غابت جامعة غورديف في جنوب فرنسا « معهد التطوير التواقي لانسان » أي تطوير الانسان الثلاثة

ويقول لنا غوردفيت: أيضاً إن الإنسان يخضع كمية لا يستهان بها من حيويته فيما يدعوه بالانفعال السلي ، كالتخوف والاشمزاز والغضب ... الخ ، وهو يدعي بأن هذه الانفعالات هي غير ضرورية بالنسبة للإنسان ، وأنها تنبئ في كونها اسرافاً وضع عود قلاب مشتل في حكومة من البارود . إن الانفعال السلي هو أمر مخرب لمصنع الحيوية البشرية .

وفي الإنسان مراكز متعددة . لمركز الفعل ، ومركز حركي ، (يقوم بكل الاعمال الحركية التي يتطلبها الجسد) ومركز عقلي ، ومركز فطري ، ولديه كذلك مركز جنسي ، ومركزان ساميان لا يعرف عنها لأشياء يمتازان في أعماق العقل الباطن ، (رغم أن ادراك هذين المركزين يمثل رؤى للتبسين) . ونميل الإنسان إلى مزج هذه المراكز ، واستعمال الحيوية المخصصة للمركز الحركي في الانفعال ، أو الحيوية المخصصة للانفعال في العقل ، أو الحيوية المخصصة للمركز الفطري في الجنس . ومن الواضح إن المراكز جميعاً تقبل إلى سلب الحيوية التي يمنع بها المركز الجنسي ، وتعطيه بدلاً عن ذلك نوعاً من الحيوية التي لا تقبله قط . (وقد قال غوردفيت لاويشكي أنه لأمر عظيم أن يعمل المركز الجنسي بحويته الخاصة) . ومن الجواب المهمة في نظام غوردفيت طريقة ملاحظة المراكز والتفريق بين الأعمال التي يجب أن يقول بها كل منها .

الصالح في زاوية من زوايا الفلسفي اعتقد أن أكثر من هذا ما أحتاج إليه - والتجارب ، فبرزت وأنا ما زلت محطاً بطريق نفسي أن أكثر شيئاً من الصالح .

ومرت بجانها ، واستيقظت في الظروف صالحة ، أي في حال إيمانية من العمل لم تكن فيه ووجداني مستقر عري ، في طريق إلى الطبيعة . وكان الفاعل هنا قطعة من قوتها بدرجة مريبة بل يمكن أن أقول إنني تذكرت كل شيء بدقة واضحة . تذكرت كيف التي كانت أسمع في التلويح صالحة ، وكيف التي كانت الأفكار غسي ، وكيف فكرت في الصالح ، وكيف أنني فكرت منذ ذلك في يوم غسق ، وفي الوقت نفسه ، وبدا كأنني كنت في ذلك اليوم ، كنت أقوم بأعمال معقدة مأهولة ، إذ فارت من عيني ، وصحت عيني في البصيرة ، والتعب ، والطبيعة تتوالت ، وبعد في الطريق بينا كانت البصيرة تقا إلى صابون صالحة ، وأنت أكثر بعد صالحة ، وأنت كنت قد فقدت شيئاً من صالة الصالح التي كانت في ذلك اليوم .

الإنسان الصغوية الرئيسية التي يجب أن يدلها النظام هي ميل الإنسان إلى النوم وإلى عمل الأشياء بصورة ميكانيكية . فقد تعلمنا قصيدة أو قطعة موسيقية في يوم من الأيام ، وإذا بالعالم كله يصبح حقيقياً ذا معنى عشر مرات أكثر مما كان من قبل ، وقد نقرأ القصيدة في اليوم التالي أو نستمع إلى القطعة الموسيقية ثانية ، وحينئذ نضل ذلك بصورة ميكانيكية ، لئلا نكون قد اعتدنا عليها . إلا أن هناك أموراً أخرى من الأفضل أن نعملها بصورة ميكانيكية . ويمكنني أن أطبع هذه النصصة على الآلة الكاتبة بسرعة معقولة ، لأن هذا العمل يخرج من نطاق المركز العقلي (الذي عني كيف استعمل الآلة الكاتبة) ودخل في نطاق المركز الحركي (الذي يستطيع أن ينتج عملية الطبع بصورة أفضل) . فإذا أدت كل المراكز أعمالها الخاصة بها فلن يكون هناك تذبذب في الحيوية . وأما يمكننا أن نحصل على أقصى ما نستطيع الحصول عليه من الإدراك المركز .

وتعتبر آخر مرحلة ، للزروة التركيز ، حد التعبير الذي يملكه الإنسان ، (راجع كتاب (أومسكي : ميكولوجية إمكانيات التعبير الإنساني) ، وفلسفة غوردفيت في هذا) (وهو الإدراك السامي) والأهمية التي يسبغها على مفهوم التعبير ، علاقة وثيقة بفلسفة برنارد شو ، ولا يختلف غوردفيت عن برنارد شو إلا في أن شو لا يضع حداً لامكانية التطور : (بالنسبة لما قد يكون بعد ذلك ، يمكنني أن أقول أن بليت لا ترى الآن الأشياء قليلاً ، ويمكنني أن يكون هناك شيء بعد ذلك) . وقد يأتي يوم ، ولعل ذلك يكون بعد قرون عديدة ، ينطلق فيه العقل آخر دورة أو يتبع شيء في المكان الذي كان فيه العالم المادي يوماً ما . وحينئذ يستقل الله إلى تلك المياه . وهذا ما يقوله بدييه ، لورنس . إن لورنس هنا الأفكار الثلاثة شوية ، لا أفكار غوردفيت ، الذي يحده المذهب . قصد في الخطوة الأولى هي أن نكف عن النوم الغنائسي الذي نعيش فيه الآن ، وفي هذا يقول غوردفيت :

هناك قصة شرقية تقصص علينا كيف إن ساجراً غنياً كثيراً كان يملك دسماً كبيراً من المرافد ، ولم يشأ أن يستلجها راعياً ، كما لم يشأ أبقاً أن يبي

سباحاً للحرى الذي كانت ترعى فيه ، ولهذا فقد كانت الخراف تتبعه في الغابة ،
وتسقط في المستنقعات ، بل كانت تغر ، لأنها كانت تعلم بأن الساحر يريد
أن يأخذ لحومها وجلودها ، الأمر الذي كانت تكرهه جداً .

وأخيراً وجد الساحر علاجاً للأمر ، فترجم الخراف مغناطيسياً ، وأوحى إليها
بأنها خالدة وأن سائح جلودها لن يؤذيها في شيء ، وأن هذا على العكس سيكون
منفعة ومسروراً عظيمين لها ، ثم أوحى للخراف بأنه كان سيبدأ ملياً بقطع
الذرة التي كانت مستعدة لتعمل أي شيء من أجله ، ثم أوحى بأنه إذا حدث شيء
لهما فانه لن يحدث في ذلك اليوم على الأقل ، ولهذا فلا حاجة بها إلى التفكير
به ، وأخيراً أوحى الساحر للخراف بأنها لم تكن غرافاً قط وإنما كان
بعضها اسوداً ، وبعضها صفوراً ، وبعضها بشراً وبعضها سمكة .

وانتهت بذلك متاعبه بشأن الخراف ، فلم تغر ثانية ، وإنما انتظرت
بنيوه ذلك اليوم الذي يحتاج فيه الساحر إلى لحومها وجلودها .

إن هذه الحكاية تصور الإنسان البالغ تصويراً ... (١٤)
وتتحدث غوردبيف في صفحة سابقة بالنزعة الأصلية التي يتميز بها
الدين الصوفي :

« الإنسان مرتبط بكل شيء في حياته ، مرتبط بالخيال ، مرتبط بحقيقته ،
مرتبط حتى بعلمه - بل انه مرتبط بعلمه أكثر من ارتباطه بأي شيء آخر .
ويجب عليه أن يحرر نفسه من هذه الروابط لأن الارتباط بالأشياء والتفكير بها
يفسد المجال لظهور الله ، وأنا ، في الإنسان . يجب على هذه الآلة الكبيرة أن
تحرر لكي تولد . والآلة الكبيرة ، ولكن كيف السبيل إلى موتها ؟ »

إن إمكانية « البقعة » تستطيع أن تفعل ذلك ، إن بقعة الإنسان تعني أنه
بدأ يترك لأشبعته ، أي أنه صار يترك ميكانيكية التامة ، واستسلامه وضعفه
النهائيتين ، فإذا لم يكن الإنسان يخشى نفسه فانه لا يعرف شيئاً عن نفسه ... (١٥)
ولرصد ثانية :

« يجب أن يموت الإنسان حالاً ، وإلى الأبد ... »

ويشرح ذلك القديس يوحنا :

« أنتي تعيش ، إلا أنه لا حياة بيني »

وهكذا ، وعلى هذه الطريقة المألوفة بالأمل

أموت ، لاأنتي لا أموت ... (١٦)

ويشرح غوردبيف في « الجميع وكل شيء » عبودية الإنسان بطريقة
أشد تعقيداً ، إلا أنها واضحة بالنسبة اليها ، لأنها ليست غير محاولة للحلق
أسطورة ثانية عن الخطيئة الأولى .

انه يقول إن كرامة كولية قد شطرت من الأرض قسمين : القمر ،
وقرأ آخر أمتهم منه نسبة الناس (رغم أنه ما يزال موجوداً) . ويجب
أن يرسل الأرض « طعماً » للذين القمرين ، (وقد ذكرت كيف أن
غوردبيف يعتبر الإخترام السأوية كالتلذذات حية) ، أما هذا « الطعام » فهو
توع من الشاع يفتنم البشر ، وبعبارة أخرى فان القرص من وجود البشر
على الأرض هو أن يصنعوا « طعماً » للقمرين .

إلا أن البشر لم يفهمهم أن يلعبوا مثل هذا الدور التافه في النظام الشمسي ،
إذ أنهم طوروا في أنفسهم « العقل الموضوعي » (الذي يعتبره غوردبيف الحالة
الرابعة من حالات الإدراك) ، وهكذا فإن ضجرهم من القيام بهذا الدور صار
يهدد وجود القمرين بالخطر ، وعليه قررت بقعة من كبار الملائكة أن تضع حداً
لنمو هذا العقل الموضوعي عند البشر ، وهكذا أوجدوا في الإنسان عنصرًا يهدد
« كرامته » بوفر ، يجعل البشر يقضمون الخيال على الواقع ، ومنذ ذلك اليوم
حتى الآن ، ظل البشر تائهين في أحلامهم ، ولم يتكفروا بذلك قعسب ، بل
صاروا يقدمون « الطعام » إلى القمر وهم يبدون إعجابهم به أو لئلا يخطئ ،
لأن عدم قدرتهم على رؤية الأشياء بصورة موضوعية مازالت تقودهم إلى المذلة
خطئ مبررة للغاية وأنه من الضروري لبعض الناس على الأقل أن يبنوا في أنفسهم
نوعاً جديداً من الإدراك ، وأن يفعلوا ذلك ببطء وبحسبوا في سبيله كل المشاق
على أن يكون ذلك بصورة نظرية ، ومن غير أن يشعروا عا شعيت لهم . إلا

يكون مثل هذا الانسان لامنتمياً ؟

كلهم قالوا ، ويعود غوردليف الى هذه النقطة دائماً : يجب ان يشعروا بضرورة الاستيقاظ ، ان تسمية هؤلاء البورجوازيين القانعين ، بالخراف ، كما تحدثنا بذلك حكاية الساحر امر ذو مغزى هائل ، ان حفيد يلزجول الحكيم والشيطان ، (والذي يجبر المتحدث بلسان غوردليف) يسأل في نهاية الجميع وكل شيء ، عما اذا كان بالامكان انقاذ البشر وتوجيههم نحو الطريق المستقيم ، الا ان يلزجبول يجيبه قائلاً : « ان الطريقة الوحيدة لانقاذ سكان الارض هي في ايجاد عنصر جديد فيهم ، عنصر أكبر مثل - كوندرايوفر - ... قوي بحيث يجعلهم يشعرون بأن الموت أمر لا مفر منه بالنسبة اليهم ، وبالنسبة الى غيرهم ممن تقع عليهم غيوبهم . » (١٧)

ويشبه هذا ما يروي به الدين أيضاً : « تذكر النهاية » ، ولكننا نستطيع ان نرى أيضاً انه لا تقع في فكرة ايجاد مكان خيالي لا وجود فيه ولا حياة ، لان الامر متوقف الوجود ، وعلى الانسان ان يعيش أكثر ، وان يكون أكثر ولهذا فعملية ان يدرك دائماً مبدأ التحديد ، وقد قال غوردليف لاريسكي : (هناك وقت معين واسم معين لكل شيء . كما ان الاسكانيات التي يمكن ان تتوقف لأي شيء موجودة لوقت محدود وحسب) .

نرى اذن ان بحثنا قادنا الى تشكيل عدد من المفاهيم التي وجدناها انها دينية فكاننا قطعنا كل مراحل الحياة الانسانية وخططنا اصول الدين من جديد ، ولم نذكر عدداً كبيراً من المفاهيم التي يعتبرها رجال الدين ضرورية لفهم الدين - الله والجنة والجحيم - ويمكننا ان ندعوها كونا ، حتى الآن ، بضروريات الدين الاساسية المطلقة الجوهرية . وأظن ان هذا هو هيكل الدين كما نشأ لأول مرة في أذهان البشر . أما التدقيق العقلي المستمر فانه ضروري للاحتفاظ بهذه الخطوط غير مشوشة او غامضة . اما قياسنا فقد كان كما يلي : « اية حقيقة دينية انما تتغير ذاتياً » ، ونحن حين نتحدث عادة عن حقيقة فكرة ما فالتا نعي علاقتها بحقيقة ما خارجية ، وقد قال كيركغور : « الحقيقة هي الذات » .

وهذا هو المفهوم الوجودي ، ولكن هل يمكن ان تكون عبارة « الكلب ازرق » حقيقة دينية ؟ كلا لأنها حتى اذا كانت صحيحة موضوعياً فانها تظل موضوعية ولهذا فلا علاقة لها بحقائق الدين . وقد يكون صحيحاً ان نقول : ان هناك عالماً روحياً تنسحب اليه حين نموت ، تماماً كما نقول « الكلب ازرق » ، ولكن هذه الحقيقة في هذه الحالة هي حقيقة عن العالم الخارجي ، ولهذا فانها ليست حقيقة دينية . ولا يمكن ان توجد الحقيقة الدينية بعيدة عن العقل ، بعيدة عن الجهود الشخصي من اجل امراكها . ونحن كتب ابيكهارت : « لا يستطيع الانسان ان يعيش بدون الله ، كما ان الله لا يستطيع ان يعيش بدون الانسان » . فانه كان يتحدث عن حقيقة ذاتية ، ولكن ، حين اتحدث « إخوة الروح الحرة » من هذا علماً لاراحة اراذهم والقضاء على المقاييس الاخلاقية ، فان هذه الحقيقة لم تعد صحيحة بقدر ما كان الأمر يعتهم . ان أقوى الحقائق العقلية المطلقة لا تعود صحيحة حين لا تستند على حياة ما . ان يومه حدثنا عن تقليد يسأل : « أين تلعب الروح بعد الموت ؟ » ، ويجيب استاذة قائلاً : « لا حاجة بها الى ان تلعب الى أي مكان ، لأن الجنة والجحيم بخلاف هذا الكون بصورة متعادلة » ، ويمثل هذا القول محاولة لاطلاق عبارة موضوعية عن الحقيقة . الا ان يومه نفسه يجبر قراءه بقوة يشبه قائلاً في اول كتابه : « اذا لم تكن تحاول ان تسبق نفسك روحياً فدع كتابي هذا جلياً ، ولا تحشر نفسك معه ، واعا التزم بفاهمك » . وهذا يمثل جوهر الدين .

وحين قتل م. ي. حوله في فرنسا عام ١٩١٧ ترك خلفه عناصر جهود ضخم ، وكان ينشئ باليدى هذا اليهود ، مفلساً ، بالطريقة ، اما اول خطوة بخطوها للعودة الى تعريف الدين ثانية فهي ان يزيل ما خلقه بالقيم الاسلية من مقبليات وأن يحاول ان يرى شكلها الاصيل كما وضعها فيه اولئك الناس الذين ابتدعوها .

الا ان اللامنتهي ظل ما يقارب قرناً كاملاً من الزمان يلوح بالطريقة ، دون ان يدرك ماذا كان يفعل ، وهكذا فقد كان خلق قيمياً جديدة عن طريق النفس ،

ويمكننا ان نرى بعد مضي اربعين عاماً على موت هؤلاء تاليف قرن كامل من البحث العقلي . لقد انقصر هؤلاء الاشياء التي كان يتوقعها وبأمانها مقدمة لـ « الافكار » لبايكل ، الا انه كان من الانفصل له ان يعتبرها تمهيداً للأدب الا اننا الذي لا نرى عنه بعد الآن ، ذلك الأدب الذي بدأ بدوستوفسكي في كتابه ومشاهدات من تحت سطح الأرض ، متضمناً ، ستيفن وولف ، و« الحياة البرية » ، و« مذكريات بحسكي » ، و« العقل في تنبهي حدود الاحتمال » .

ويمكننا ان نعهد لتحليل هذه « الآمال » بوضع كلمات تحدث بها عن تطور الوجودية . ويجب ان نقول ان تفكير هؤلاء لم يطلق انطلاقاً منطقاً ، اما انسط الطرق لنهم اسلوبه وشعوره الفلسفي ، فذلك ان تفهمه عن طريق كبر كغارده . حين اعتبر كبر كغارده عن ثورته ضد جيجل في « الملحق الاعلمي » ، فانه كان يحاول ان يقيم فلسفة ضد فلسفة ، ولكننا ان ندفع هذا غيرنا في محاولتنا التعرف على ما كان يقوله . لقد قذف أرسطو بالوجل في وجهه سقراط قبل ما يقرب من ٢٤٠٠ سنة بنفس الطريقة ، التي بالاحتقار الذي يشعر به الشاعر نحو النبطي ، الا ان الحضارة الغربية تسرعت في الحكم على أرسطو ، لأن المسألة الحقيعية ليست متعلقة بمشكلة هل ان $2+2=4$ أم لا ؟ وانما بمشكلة : هل نتقدم الحياة بأولئك الذين يحبون الكلمات أم بأولئك الذين يحبون الحياة ؟ ان مفهوم سقراط للتاريخ (الذي يعتبره البروفيسور وايت عهد في عصرنا) يقول ان الحضارة تتقدم بالنسبة التي يكون بها المفكرون مولعين بالتجريد ، اي بالمعرفة من اجل المعرفة . أما أرسطو فقد انغمس باللائمة على هذه الطريقة وعرض شروطاً للسخرية في كل مناسبة . ان أرسطو مثل تيتشه يعتبر المعرفة اداة وحسب من اجل العيش ، ويقول انه ليست هنالك معرفة مجردة ، وانما هنالك معرفة مفيدة وتطبيقات لا فائدة فيها . ولو تصورنا ان الناس أخوا على سقراط ان يعرفوا المعرفة الحقيقية ، فانا نتوقع منه ان يقول : « كل ما يمكن الانسان من ان يعيش اكثر » ، وبهذا ما تفهمه من المسرحيات ايضاً .

لقد شعر كبر كغارده مثل هذا ، ولم يكن باختياره اسلوباً ناعماً حياة مكررة ،

ويقاسي من عذاب شديد ، معباً عما اذا كان باستطاعة الانسان المخرد ان يتناسب نظاماً كونياً مجرداً . وانما كان يقينه المخلوق البسيط المجلود الخاطيء الملعوب الذي يدعى « سورين كبر كغارده » ، والذي كان عليه ان يقرر شيئاً ما في وجه الله ، والذي كان بحاجة الى ان يشعر بأن لذلك القرار كل الاهمية مطلقاً . ونفسرة نهائية ، وليس ذلك لأنه اذا اختار بين الله وبين الشيطان فان النظام الكوني سير بصورة افضل .

لما تذكرنا الخلاف المتبع شيئاً فشيئاً بين سارتر وبين هايدغير بخصوص معنى الوجودية فانا منهم ما يلي : ان معارضة كبر كغارده كانت من اجل المصلين والمتورطين ، وخيد المجرى واللاشخصي . اما قلب سارتر الذي لا نهاية له ، بين « الوجود لذاته » و« الوجود بقائه » ، في « الوجود والعدم » فانه لم يقل ازحاجاً لكبر كغارده عن ثورته « هايدغير » عن الوجود والزمن . ولعل كبر كغارده كان يفضل على ذلك كله « مدينة الليلة المفترقة » لشمس : و « ارباع الرماد » لأليوت ، وليس هنالك من شك في ان لامتنبياً يشارك معه في هذا التضليل . ان سلوك كبر كغارده هو من الوجودية بحيث ان ذنبه يعتبر الله واسطة بينه وبين رفاقه من البشر ، ولا يستطيع ان يقبل وجودهم بدون قبول فكرة وجود الله ، انه مثل حالة منطوقة من حالات الشاعر ستيفن ديدالوس الذي يقول : « ان أخدم » ، ان أخدم شيئاً ما عدا الله وزوجي انا ، سأخدم كل مقامهم المعركة والحضارة والعوامل الاجتماعية وعمل الخير .

من الضروري ان نؤكد على هذا السلوك المتطرف لكي يكون في امكاننا فهم ما يؤلف جوهر الدين : انه لا ينفي المعرفة والحضارة وعمل الخير . وانما يرفض ان تكون هذه الاشياء الاهمية الاولى . ان سلوك ابراهيم آدم (يعطى في هبط) الذي يقر بأنه لا يحب الله وانما يطلب من الملاك ان يهبط الى الارض ليعب رفاقه ، هذا السلوك كبريه بالنسبة اليه مثل النضفة العاطفية تماماً . كان هؤلاء مثل كبر كغارده ، أي ان الذين كان امراً فطرياً بالنسبة اليه ، وقد كان شاعراً ، أما مفهوم الدين بالنسبة اليه فهو مفهوم شاعري . انه لا يقارن

طفلاً يتركب (كما يفعل الفلاسفة) وإنما يقارن الكواكب بالأطفال :

ورعدة من البرد في ليلة من ليالي الخريف ..

وانطلقت خارجاً

ورأيت القمر ورفياً ، يكتفي على سياج

كفلاج البحر الوجه

ولم أتوقف لأقول شيئاً ، وإنما أومات

وكانت هناك نجوم يتألق فيها الشرق والجنين

بضياء الوجوه ، كأطفال المدن ... (١٨)

إن مفهوم الدين لديه يشبه مفهوم ج. ك. تشيستر تون ، فإن الأخير غدنا
عن بطله الذي يجب لندن إلى درجة أنه لا يعلم بأن يقول : « ودارت سيارة
اجرة حول الزاوية كالرياح » ، وإنما « ودارت الرياح حول الزاوية » وكأنها
سيارة اجرة (١٩) وهذا هو المفهوم الزيجودي أيضاً . إن طريقة « التعرب »
(عبارة من عبارات هيجل) تشير إلى الخارج ، إلى التجريد ، أما طريقة التصوف
فأما تشير إلى الداخل ، إلا الموجود .

لقد عبر هوله عن كراهيته للطريقة الخارجية ، الطريقة الرومانسية ،
في مقالته « عن الرومانسية الكلاسيكية » :

« يظن الرومانسي أن الإنسان غير نهائي وظناً فإنه يجب أن يتحدث عن
الانتهائية دائماً ... » أنه « غالباً ما يطير ، يطير فوق المهوي ، يطير في الأجواء
الخالدة » ، وأنك لتجد كلمة « لا نهائي » في كل بيت من أبياته ...

وهنا يكمن جوهر كل « رومانسية » : إن الإنسان ، الفرد ، هو خزان
لا نهائي من الامكانيات ، وأنك إذا استطعت أن تنظم المجتمع بهدم النظام
الظالم ، فإن الفرصة ستوفر لهذه الامكانيات ، وستقدم إلهم ... (٢٠)

« أما الكلاسيكية » ، فيمكن تعريفها بعكس ذلك تماماً ، فالإنسان حيوان
ثابت محدود جداً يتميز بطبيعة مستمرة ثابتة ، ولهذا فلا يمكن أن يعبر
عنه أمر معقول بدون التقاليد والأنظمة ... (٢١)

وتجد هذا التمييز في جذور كل أقوال هوله ، فإنه يتحدث عن الفن الحديث

(والفن الحديث بالنسبة لهوله هو فن بيكاسو وكودنيه بريسكا) ، ويقول :

« هنالك نوعان من الفن ، هندي وحيوي ، وهنالك طرق نوعي كبير بينهما ،

ولا يمثل هذان النوعان تعبيراً عن فن واحد ، وإنما يتبعان هدفين مختلفين ، وقد

وجدنا لطعنين ضروريين متباينتين من ضرورات العقل ... وينتق كل من

هذين النوعين ويتعلق بسلوك عام معين نحو العالم ... » (٢٢)

يلوح للقارئ الآن أن ما عمله هوله فعلاً كان أنه أوجد تمييزاً بين الطريقة

الضالوية ، والطريقتين الإنسانية والتشاؤمية في النظر إلى العالم ، وأنه دعا الطريقة التشاؤمية

« بالطريقة الدينية » ، إلا أن هذا ليس صحيحاً تماماً بالنسبة لأفكار هوله ، ويمكننا

أن نوضح ذلك أكثر بالإشارة إلى تطور نظرة شوبنهاور إلى العالم لدى نيتشه ،

أما رأي شوبنهاور ، الذي هو رأي بودي في أساسه ، فإنه يقول إن الإرادة

هي الحقيقة الكامنة خلف العالم ، إلا أنه أضاف أن الإرادة تخدم علم الفكرة

والوهم في أنها لا تنهض للعمل إلا بخائر خارج عنها متعلق بالعالم ، يعلم

الفكرة . أما حرية الإنسان فإنها كاملة في رفضه العمل . إلا أن أعمق تجارب

نيتشه للإرادة ، أي تشيئته ، جعلته يرفض نتائج شوبنهاور ، ولكنه لم يرفض

تحليله للعالم كإرادة وللعالم كوهم . إن مفهوم نيتشه العظيم لقول الـ « نعم »

وهو فكرة عن الهدف ، فكرة تلوح إيجابية . وهكذا وبعبارة أخرى ، فقد

كان نيتشه دينياً متشوقاً .

وقبل أن تقتطف شيئاً من الصفحات الهامة في « الآمال » يجب علينا أن نوضح

هذا الخلاف بين حيوية نيتشه وأسلوب هوله الديني ، وليس الخلاف واسعاً

بينهما كما يبدو لأول وهلة ، فإن هوله لم يكن راغباً في الاهتمام بالمشاهبات ، لأن

المحسنين لنيتشه ورنارد شو كانوا يدافعون عن تطرف حيوي بلغ حد الإنسانية ،

أما الآن فإن شو قد مات ، ولم يعد أحد يقرأ كتب نيتشه في انكلترا ، بينما أوت

هيجات إليوت عليها إلى تغطية عناصر التوافق بينها ، فصارتا مثالاً لفكرات عميقة

بالنسبة لكثيرة نقد اليوت . ويعرف الجميع تأثير هوله على اليوت ،

كما أن حلفها الشديدتين ضد الحيوية تحيلان إلى السير على خط واحد ،
واليك ما يقوله اليرت :

« يقول المرء بآيت : « أن إعطاء المحل الأول للإرادة يمثل طريقة
أخرى لإعلان أن الحياة هي عمل من أعمال الأيمان » . وهذا صحيح ،
ولكن إذا كانت الحياة عملاً من أعمال الأيمان ، ففي أي شيء هي عمل
من أعمال الأيمان ؟ إن المتأدين يواحد الحياة وعلى رأسهم شو يقولون ،
كما أظن : « في الحياة نفسها » : إلا أنني لن أسهم المرء بآيت بآية همة
حقاء مثل هذه ... » (٢٣) واليك ما يقوله هول :

« أن علم الحياة ليس كعلم اللاهوت ، ولهذا فلا يمكن تعريف الله بمصطلحات
الحياة » . « والتقدم » ... » (٢٤)

وهكذا فرى كيف أن اليرت قدم لنا شو بصورة خاطئة ، بينما نجد أن
عبارة هول صحيحة ، إلا أنها لا تنطبق على نيته أو برنارد شو أيضاً . لقد أدت
رغبة هول في أن لا يعتبره الناس شيئاً إلى اضطراره إلى التصريح بعبارة غير
معتولة بعيدة العلاقة بين آرائه وآراء نيته ، فقد استعمل في أحد أبحاثه
الطويلة تشبيهات جية للتعبير عن شك في الفلاسفة وفي نظمهم :

« وقد يرتدي الإنسان درعاً مقدساً مزخرفاً ، حيث يلوح لساكن كوكب آخر
لم ير درعاً من قبل ، مثل شيء لا إنساني يمنع بقوة ميكانيكية هائلة ، أما إذا
رأى البرج يسير خلف فتاة ، أو يأكل شيء في البطيخ ، فإنه سيدرك حالاً أنه
لم يكن قوة إلهية أو ميكانيكية وإنما هو إنسان عادي يرتدي درعاً غريباً » . (٢٥)
وهذا هو جوهر نقد نيته للفلاسفة في « وراية الخير والشر » . وفي بحث
« تحامل الفلاسفة » . إلا أن هول لا يريد أن يعتبره الناس شيئاً ، ولهذا
فانه يقول :

« لست أريد أن أشير إلى أي شك في إمكانية وجود فلسفة علمية ، ولست
أعني ما عناه نيته حين قال « لا تفكر فيما إذا كان ما يقوله الفيلسوف صحيحاً
أم لا » . ولكن أسأل كيف ظن أنه صحيح » . « لأن هذا يمثل نوعاً من « الشك »

الذي لا يبدو كونه حلاً . إن الفلسفة الشية يجب أن تكون موضوعية
وعلمية تماماً . » (٢٦)

لقد فشل هول في معرفة ، أو أنه لم يشأ أن يعرف ، أن نيته لم ترفض
إمكانية وجود فلسفة موضوعية ، وأما رفض أن يعترف بصحة أية فلسفة علم
وجودية . وهكذا فإن نيته وهول على أمر واحد ، بأنهما الفلاسفة
قد يتضح هذا أكثر لهول إذا كان قد قرأ أعمال كبريتلارد .

وقد يلوح هذا للقراء الذين لا تفهم الفلسفة ثلثة نحيات من بحثنا وتحليلنا
للإشعي ، ولكن دعني أجادل أن أوضح هذا ببعض العبارات : إن مشكلة
اللامتناسي تصل به إلى طريقة في النظر إلى العالم يمكن أن تدعى « تنازوية »
(طريقة روكافان مثلاً) . وقد حاولت أن أناقش أن هذه التنازوية صحيحة
معتولة . وعليه فإننا ننفذ من الحساب كل المثل العليا الإنسانية (كالقول بأن
الإنسان يرضي على درجات من موتى البشر إلى أشياء أخرى ... الخ) ، وننقد
الفلسفة بشوا أنه لا يمر هناك لمحاولة الفيلسوف أن يعرف العالم ما دام لا يعرف
نفسه . إن هذه الطريقة تقول بأن المثل الأعلى (الفلسفة الموضوعية) لن تألف
من المفكرين وحسب وإنما من البشر الذين يجمعون بين الفكر والشاعر والإنسان
العلمي . وليس أول أسئلة الفلسفة « ما هو الغرض من وجود هذا الكون ؟ »
وإنما « ماذا يجب علينا أن نفعل بحياتنا ؟ » ، أي أن هدفها ليس نظاماً
منقولاً من الناحية العقلية ، وإنما هو خلاص الفرد . والآن يمكننا أن
أصرح بأن هذه العبارة هي قاعدة دينية ، سواء وجدناها لدى الفيلسوف
أرسطين أو لدى شو . وإن أهم تجانب من جوانب هدف هذا الكتاب
هو أنني حاولت إضاح هذه النقطة .

لم يسبق أن أوضح مفكر قبل هول تمييزه بين رأي الفيلسوف (الإنسانية)
والرأي الديني ، ويمكنني أن ألفت أسس اختلافه مع نيته من الصفحات
الأول من « الآمال » حيث يقسم الواقع إلى ثلاثة أقسام : المادي ، والحيوي ،
والديني :

ودعنا نفترض ان الواقع ينقسم الى ثلاث مناطق ، منفصلة عن بعضها البعض محدود مطلق ، او بانقطاعات واقعية حقيقية : (١) العالم اللاعضوي ، الذي تعالج امره الرياضيات والعلوم الفيزيائية (٢) العالم العضوي ، الذي يعالجه علم الحياة وعلم النفس والتاريخ ، (٣) عالم القيم الخلقية والدينية . (٢٧)

ان نيشه يتفق مع اللاهوت الأوغسطيني في اعتبار العالم مؤلفاً بصورة جوهرية من المادة والروح وفي اعتبار الحياة منطقة عملها المشترك ، اي انه لا وجود هنالك لواحد مطلق منها . كما ان المادة اللاعضوية هي دائماً التحول الى مادة عضوية ، ويدرك هوله هذا في مقالة اخرى عن « برغسون » :

« يمكن ان توصف عملية التعبير بأنها اضافة الحرية بصورة تدريجية على المادة . ويمكنك ان تقول بخصوص الاميا ان الباعث صنع ثفرة يمكن ان تدخل منها الفعالية الحرة الى العالم ، ولهذا فان عملية التعبير كانت توسعاً تدريجياً لهذه الثفرة » (٢٨)

ويستعمل هوله هنا ، كما في اي مكان آخر ، اصلاح « التعبير » بدون ان يضمه اي نقد معين ، اما جوهر نقده للانسانية والرومانسية فانه مستمر في عبارته التي يصف بها الكلاسيكية : « انت تخلص دائماً لمفهوم الحديد » ، وهو يقول :

« ان مقدار الحرية الموجودة في الانسان مبالغ فيه . ان ديني والاراء التي حصلت عليها من الفلسفة الميتافيزيقية يدفعاني الى القول بأننا احرار في بعض الأحيان النادرة ، الا ان كثيراً من الاعمال التي نفلن أنها حرة ليست غير اعمال اوتوماتيكية . » (٢٩)

ولا حاجة بنا الى الاشارة الى التشابه الموجود بين هذا وبين حيوية غورديف فان لديه مفهوماً مثل هذا عن الحديد ، ويلخص هوله هذا قائلاً : « يمكنك ان تصف حقائق التعبير بقولك انها تترجس وكان تياراً هائلاً من الأحرار قد تغفل في المادة ، عموماً ان ينظمها ليستطيع ان يبرز فيها الحرية . »

ولكن الإدراك ، بعينه هذا ، سقط في شرك بعض الاتجاهات ، وقد سيطرت المادة على الإدراك الذي كان يريد أن ينظمها وقيدته باوتوماتيكيته . لقد أصبحت الأوتوماتيكية . والإدراك يحكيان غلام النبات مثلاً ، أما في عالم الحيوان فان الإدراك ما زال يبال شيئاً من النجاح ولسيطرة ، الا أن الأوتوماتيكية تسبح الحرة خلال عملية التعبير وهكذا يؤدي ذلك الى اختناق هذه الحرية . ويستطيع الإنسان ان يحصل على صورة لهذا التعبير من هذا التوضيح . وممثل الصورة شيئاً من الإدراك يتدفق في المادة وكأنه يتدفق في قنال صغير محاولاً أن يوسع مجراه من الناحيتين ، ويغمر الثغرات ، الا أنه غالباً ما يتوقف أمام صخور شديدة الصلابة ، في حين يستطيع ان يتدفق في صخور اخرى يعود الى الحياة ثانية ... ان الطريق المارة بالمادة قد تسبب جانباً من تيار الإدراك شيئاً من التماسك الذي يساعد على البقاء دائماً بعد مروره . » (٣٠)

يمكننا ان نقارن هذا بكلام ليلث في نهاية « العودة الى ميتو شالغ » : « نحن نقول : « لقد جلبت الحياة الى دوامة القوة » وأجبرت عودتي المادة على اطاعة روح حية ، ولكنني باستعادي عدو الحياة جعلته سيد الحياة ، لأن في ذلك نهاية كل عبودية ... » وتحتوي عبارات ليلث هذه على عقيدة اللاشمسي : « أقول دعهم يحشون التوقف والانقطاع قبل اي شيء آخر ... » (٣١)

وتجد لدى شو ، كما نجد لدى غورديف ونيشه ، ادراكاً للمجهود العظيم الذي تقوم به الارادة الضرورية من اجل التعبير حتى عن اقل ما يمكن من الحرية . ويضع هذا اولئك الرجال بجانب باسكال والقدس أوغسطين كمفكرين دينيين ، ولا يتفق آراءهم من الشاؤمية الا ادراكهم الصوري لامكانيات الارادة الحرة ، النقية من مركبات الأوتوماتيكية . ان « بيت اليوت في التام شمل العائلة » : « والملاحظة الجزئية التي يسلطها الانسان لمعرفة اوتوماتيكيته ، يضعه في مستوى واحد مع هوله وغورديف وبرغسون ، تماماً كما يؤكد عبارته « دج ارادتك تكون كاملة » في « الصخرة » على علاقة افكاره بنيشه وبوهمه وايكهارت . لقد نبأ هوله بنهاية الفترة الانسانية الحالية ، هذه الفترة التي افتتحها ، كما

قال هولم ، عصر النهضة وتبدل فكرة الخطيئة الأولى التي تعتبر المبدأ المحدد المطلق .
لقد آمن بأن هذه الفكرة لا يمكن ان تبدل بدون نحو كل سطور التفكير الواضح ،
وفتح الابواب لتمازج التناؤل العاطفي الفكري . اتخذ افرك ان :

« الايديولوجية الجديدة ضد الانسانية لم تستطع ان تولد انتعاشاً تاماً
لافكار القرون الوسطى . ان الفترة الانسانية طورت في العلم شيئاً من الامانة ..
ومفهوماً للحرية الفكرية العملية سيظل .. » (٣٢)

لقد كان التبدل الذي حصل في العالم العقلي ، مثله ان كتبت هولم هذه
العبارة مسؤولاً عن كل هذا : كما ان الفترة الحديثة ضد الانسانية ليست
غير نتيجة للتخصص والاختيار الشديدين اللذين قام بهما افراد مثل بليك ونيته
ودوستويشكي وشو . اما الانسانية فهي اسم آخر للكسل الروسي ، أو عقيدة
تصفية غامضة تبناها علماء ومناطقة كانت أذهانهم مشغولة بالعالم الرياضي والفيزيائي
بصورة لا يتيح لهم ان يفتقروا بشأن الامانة الدينية . ومن الضروري هؤلاء
الناس ان يضعوا الخطوط الاولى والاشتقاقات الخاصة بهذه الاصناف لأظهارها
بصورة اوضح حتى تكون قابلة للفهم . الا اننا لا نتوقع منهم ان يكون بإمكانهم
تصنيف كل ما خلقه عصر النهضة من نزوات ، فان هذا يدخل في اختصاص
الفراد يحسون بالعامل الدينية احساساً عميقاً يتيح لهم ان يعملوا ذلك بسهولة . وقد
وضع شو اصبعه على الحاجة الحقيقية في مقدمة « العودة الى ميثو سالخ » :

« دع الكائنات تسأل نفسها : لماذا لا نتحدث ثورة ضد قوانين الرياضيات
كما تحدث ضد الدين ؟ ليس ذلك لأن قوانين الرياضيات مفهومة أكثر . ان
قانون اكمال المربع هو غير مفهوم بالنسبة للانسان العادي تماماً كما لا يفهم هذا
الانسان نفسه العقيدة « الألفايزية » . وليس هذا لأن العلم خال من السحر
والاساطير والمعجزات وتواريخ الحيلة التي يفاخر بها « الأصديقاء » ينظرون لهم
وقديساتهم ، ومن التاليفين والطارئين اللذين يدهون بأنهم مكتشفون ، بل على
العكس ، فان تصورات وقديسات العلم كبيرة جداً وجديرة بقدر تكميلها . الا
ان غالب العلوم لم يعلم ان قانون الوزن النوعي يتألف من الاعتقاد بأن الوحش

تفر من الحرام وتركض عارياً في شوارع سيراكوز ضالماً : وجديتها ،
وجديتها ، أو ان قالون اكمال المربع يجب ان يتبدل اذا استطاع احد ان يثبت
انه ليونتن لم يدخل بستاناً في حياته ... اننا نجد في الرياضيات والفيزياء ان
الامانة ما يزال تقيماً ، وبإمكانك ان تتسكك بالقانون وتترك الاساطير دون
ان يتسكك احد بالخرطقة ... » (٣٣)

دعنا نربط هذا بما يقوله بطل هولم الذي لا يعترف : « عاطفية ، النهر
في الآمال » :

« ليس عذري شيء . من مشاعر الرضى بالجين ، واحترام التقاليد ، والرغبة
في الحصول على العاطفة التي شعر بها انجيليكو ، والتي يلوح انها تؤثر في معظم
المدققين عن الدين ، فان ذلك كله يلوح عيباً . اما المهم فهو ما لم يدركه احد
العقائد التي تشبه فكرة الخطيئة الأولى . ان الانسان ليس كاملاً ، وانما هو
مخلوق نقص ، الا انه مع ذلك يفهم الكمال . وعليه فلتس لأحصل العقيدة من
أجل العاطفة ، وانما قد انقطع العاطفة من أجل العقيدة . » (٣٤)
ان فهم الاسلوب الكامل وراء هذه السطور هو ، كما اظهر ، من اهم
الأمور التي يحتاج اليها عصرنا .

لقد اعترف هولم « آياله » مقدمة لقراءة باسكال . وقد هدفت الى ايضاً من
تأنيهي لهذه البريانية عن اللاتسي الى إيجاد مقدمة لحقل لانتهاء له ، لحقل
عنده شو وغورديت من قاحية : بينما يعده من الثانية الاخرى برونسائي
متعصب مثل كير كغارد ، أو كاتوليكي متعصب مثل ديومان . وقد بحث في
هذا المجال اشياء كثيرة بحثها قبل واينتهوله نيور وكثلك قبل بريديف ، ويجب
علي ان اعترف بالدين الذي في عيني لها ، (ولايوت الذي يدين له بذلك
كثيرون من افراد جيلي) بالنسبة لقلائد الغافة عن الانسانية والسلوك الديني .
ويجب ان اقول هنا انه لم يحقق كتاب يضم مائة ألف كلمة هذا الهدف قبل
الآن ، فاذا استطاع هذا الكتاب ان يكون دافعاً للعودة الى قراءة شو فيمكنني
اذن ان اقول انه قد حقق الهدف . ان شو يمر الآن بفترة يقتل فيها الناس من قيمته

- ٤١٢ د. م. رينكه (مذائع توتو)
٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ (جورج لوكس)
٤١٨ هـ. أ. راجيون (أيشة)
٤١٩ أرنست دانوس (الأمم المتحدة)
٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ وأيم بليك (الأمم المتحدة)
٤٣١ (كتاب البرهان)
٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ وأيم بليك (الأمم المتحدة)
٤٣٩ جرمان هيس (ستيفن رولف)
٤٤٠ ج. هـ. ليونان
٤٤١ وأيم بليك (الأمم المتحدة)
٤٤٢ ت. م. ألبوت (الزيقات الأربع)
٤٤٣ و. هـ. بيتس (القضايا الكاملة)
٤٤٤ سوزن كركار (طريقة التتابع المركزي)

الفصل التاسع

- ٤٤٥ ترجمة مأخوذة من الممثل الأخير من (قصة أكسيل)
٤٤٦ توماس تراهرن (عنون من التلغات)
٤٤٧ و. هـ. بيتس (القضايا الكاملة)
٤٤٨ توماس تراهرن
٤٤٩ أ. (حياة زانا كريشنا)
٤٥٠ ٤٥١ (تاليم تري زانا كريشنا)
٤٥٢ وأيم جيسن
٤٥٣ ل. و. وفورارد (الحوال يوتا)
٤٥٤ أيشلوت
٤٥٥ د. م. أوستنكي (في البحث عن المعجزات)
٤٥٦ قضايا القديس جون
٤٥٧ جورج ثورديف (الجميع وكل شيء)
٤٥٨ ت. ي. حوله (الأمم)
٤٥٩ ج. ل. تيسسترون (تاليم لوتك هل)
٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ت. ي. حوله
٤٦٣ ت. م. ألبوت (مقابلات مختلفة)
٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ت. ي. حوله
٤٧١ برنارد شو (المسرحيات الكاملة)
٤٧٢ ت. ي. حوله
٤٧٣ جورج برنارد شو (المسرحيات الكاملة)

فهرست

صفحة

٥

٩

٢٧

٥١

٨٠

١٢٦

١٧٣

٢١٠

٢٤٢

٢٩٥

تقديم

١ - بلد العميات

٢ - عالم بلا قيم

٣ - اللاتيني الروماني

٤ - محاولة البطولة

٥ - فاصل الأمم

٦ - مسألة النائية

٧ - التركيب العظيم

٨ - اللاتيني كائنات يوتي روي

٩ - تعظيم الخلق المزعومة